



الحلّة السنيّة في الرحلة الشاميّة

تأليف

محمد الكيالي بن عمر بن الجد الرابع اسماعيل الكيالي

(1184هـ 1735م / 1252هـ/ 1836م)

تمت الرحلة سنة1231هـ 1815م /1232هـ 1816م

تحقيق ونشر المؤرخ

فاير قوصرة

٢٠١٩ م / ١٤٤٠ هـ

تقديم (الحلّة السنيّة للرحلة الشاميّة)

اهتممت بكتب الرحالة ،خاصة المتعلقة بمحافظة إدلب، لكن أن يقع في يدي مخطوط لرحالة إدلبي[1]، فهذا منتهى سعادتي. تركته سنوات، حتى أعود إليه وعمري ٧٤عاماً. أقدمه للقراء كما هو، مع بعض التحقيقات والحواشي التوضيحية، ووضع عناوين جانبية...

نعمل على تحقيق هذه الرحلة لابن ادلب ..صدرها بقوله((برسم القطب الرباني والعارف الهمذاني العالم النحرير الولي الشيخ الأستاذ الأكرم والملاذ المحترم السيد الشيخ اسماعيل بن حضرة الشيخ عبد الجواد الكيالي الرفاعي قدس الله سرهم آمين)) ألف هذه الرحلة محمد الكيالي بن عمر بن الجد الرابع اسماعيل الكيالي. ولد في إدلب سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٣٥م م وتوفي فيها١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م

تمت الرحلة سنة١٢٣١هـ= ١٨١٥م /١٢٣٢هـ=١٨١٦م أي كان ذهابه مع الأستاذ في الرحلة وعمره ٤٧عاماً.

صدر رحلته بهذه الأبيات :

إن رمت تجلو الغمة القلبية** فاقرأ كتاب الحلة السنية

تجد محاسن اللطائف التي ** قد خصصت بالرحلة الشامية هو في أسلوب بسيط، وأفكار صوفية،لإثبات مكانةالشيخ اسماعيل الكيالي. في المخطوط هوامش وتعليقات أخذنا ببعضها للتوضيح. هي في أغلبها للشيخ سامي الكيالي مفتي ادلب ..يقول كاتب الرحلة محمد الكيالي((

[1] -المخطوط الذي اعتمدنا عليه هو عند ورثة المفتي الشيخ طاهر الكيالي ،وابنه المفتي الشيخ سامي الكيالي

وقد تم ما أردنا جمعه من الأخبار الشامية وشهدنا لمعة من البوارق الحاتمية والنابلسية برسم قطب دائرة الأولياء ونخبة الأفراد والأصفياء الأستاذ الأفخم والملاذ الأعظم من نلت بخدمته ولله الحمد مرادي حضرت السيد الشيخ إسماعيل الرفاعي الكيالي الجوادي رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأنزل على جدثه من بركات فيوضاته الهامعة ومددنا بمدده الرباني وهدانا إلى الرشاد بهديه الصمداني قاله بفمه ورقمه بقلمه أحقر الورى وخادم نعال الفقراء محمد بن السيد عمر ابن الشيخ إسماعيل الكيالي نسباً الرفاعي أيضاً وطريقة النفشبندي مشربا غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه فستر ولكل المسلمين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الأشراف وسيد السادات وعلى آله وذريته وصحبه وحزبه وكان الفراغ من هذه النسخة الشريفة المباركة ليلة الأربعاء لثلاثة عشر يوماً خلون من شهر جمادى الثاني من شهور سنة الاثنا عشرة بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له في مقام النبوة أعلا وأغلا مقام ووصف بقلم من هو أقل الناس جرما وأكثرهم جرما الفقير..))

هنا يشيرإلى نسخ المخطوط١٣١٢هـ/١٨٩٤م..وقعت في حيرة، هل تم النسخ بعد وفاته؟! ام هو خطا من الناسخ؟!

ينوه محمد الكيالي إنه زار حلب والتقى الشيخ السيد إسماعيل الكيالي الجوادي. قرر السفر إلى إدلب مع بعض واصفاً استقبالهم الحافل، ثم تجولا في المنطقة سرمين- كفر دريان- الكفر- كله مع لقائهم لوفود من كفر دخارين(الآن كفر تخاريم)- قرقنية - أرمناز- بعد جولتهم في محيط محافظة إدلب، باعتبارهم من أتباع الصوفية، فقد كان هدف رحلتهم كما يقول((زيارة الأنبياء وضرائح السلف الصالحين والأولياء))

توجهوا غرباً إلى سهل الروج، وديركوش وتعرفوا على وجهاء المنطقة كآل رستم ..تابعوا سيرهم إلى نواحي ريف لاذقية. في لاذقية استقبال الحفاوة خاصة من قبل آل قريد،و الأدالبة ،والجسرية بعدئذ سافروا إلى جبلة- طرطوس- طرابلس- بيروت ليلتقوا بحكامها ،ووجهائها ،وعلمائها، مشيراً إلى حسن تعامل الجميع، واحترامهم لهم، ثم عادوا إلى دمشق ليقدموا لنا وصفاً للحياة الاجتماعية فيها، وتعرفهم على شخصياتها.. المهم اينما حل الشيخ اسماعيل الكيالي سيكون في استقباله وجهاء البلدان والقرى ...

كان يشير إلى عبد الغني النابلسي ،ورحلته ،وهي بعنوان (الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز) التي رحل فيها سنة ١١٠٥هـ/١٦٩٣م.ينقل عنه في شعره ،وأفكاره..

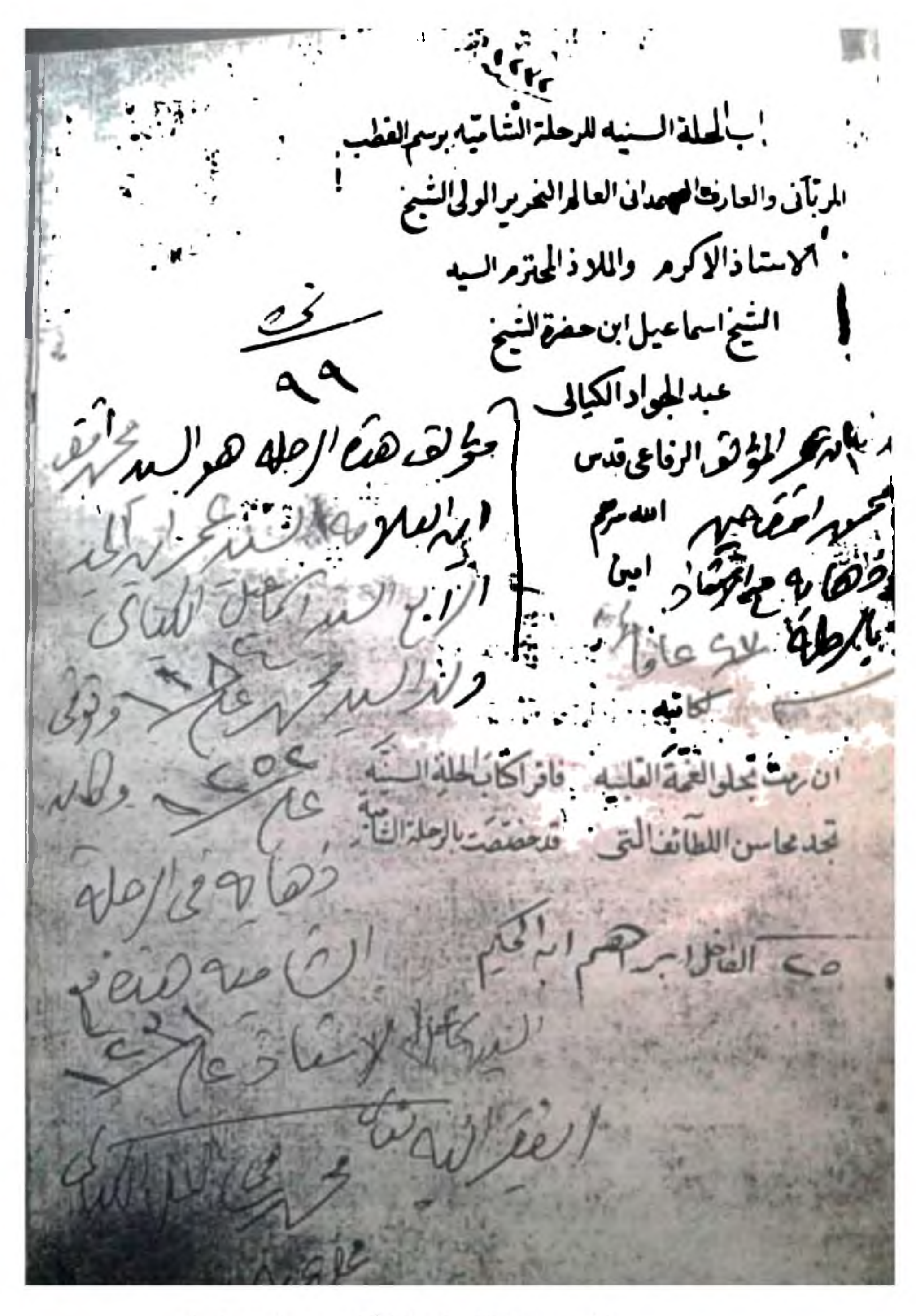
يظل في أسلوبه البسيط، وعباراته التي لا نتقبلها في عصرنا، لكن هو ليس بالأديب، بل شارح يصف لنا كمرافق للشيخ إسماعيل الكيالي، لكن اللافت للنظر- حسب وصفه- هو ذلك الاستقبال الحافل له كلما دخل بلدة، أو قرية، حتى في الشام(دمشق) يظل مدة طويلة يحتفى به عند الجميع ..بعددمشق عادزوا في طريق حمص – الرستن – حماة–اللطامنة–معرة النعماون– ادلب..بقي الشيخ إسماعيل الكيالي في ادلب يحس بالمرض،فيقرر العودة إلى حلب مسقط رأسه..مروا في بنش–خان طومان –الأنصاري–حلب،وهو نفس الطريق الذي سلكه من قبله الرحالة (بوركهارد١٨١٢م)..توفي شيخنا بعد أيام في حلب ١٢٣٣هـ/١٨١٧م ،ليرثيه ابن عمه أبو النور الكيالي ،والشيخ محمد الغزالي ،وغيرهما

أما الطرق الصوفية التي كانوا يتبعونها ،أهمها هي: الطريقة الرفاعية هي طريقة سنية صوفية ينتشر أتباعها في العراق ومصر وسوريا وغرب آسيا. لهم راية باللون الأسود تميزهم عن باقي الطرق الصوفية. تُنسب إلى الفقيه الشافعي الأشعري، أحمد بن علي الرفاعي (٥١٢ هـ - ٥٧٨ هـ) الملقب بـ "أبو العلمين" و"شيخ الطرائق" و"الشيخ الكبير" و"أستاذ الجماعة".وبالطبع أشارو إلى الطرق الأخرى في زمنهم،وهي:النقسبندية،هي واحد من أكبر الطوائف الصوفية والتي تنتسب إلى محمد بهاء الدين نقشبند، واشتق اسمها منه، ومن ثم عرفت به. ا لطريقة السعدية العلية عرفت الطريقة السعدية في بلاد الشام منذ مطلع القرن السادس الهجري وهي تنسب للقطب العارف بالله الشيخ سعد الدين الجباوي الشيباني الحسني رضي الله عنه (مولده ٤٦٠ هجرية وفاته ٥٧٥ هجرية) دفين قرية جبا التابعة لمحافظة القنيطرة في سوريا

والطريقة السعدية من الطرق الصوفية المهمة و المعدودة في بلاد الشام بشكل خاص وفي بلاد الحجاز ومصر وتركيا ويوغسلافيا وألبانيا وغيرها من بلاد إسلامية بشكل عام وهي طريقة العلماء والفقهاء والسادة الأشراف والأعلام وكبار رجال الدولة في دمشق والباب العالي وشتى البلاد وقد أسهم رجال هذه الطريقة في مجالات علمية وإنسانية واجتماعية وكان لهم دورا بارزا في مجتمع مدينة دمشق على وجه الخصوص ولدى رجال الدولة والحكام حتى في دار الخلافة باستنبول..الطريقة الشاذلية التي تنسب إلى الحسن الشاذلي..

وزعنا نصوص الرحلة حسب تجوالهم في المناطق ،ووضعنا الفهرس بموجب ذلك،مع صور لبعض الأماكن التي زاروها هي من وضعنا ،وليس في أصل النص..آملين أن نكون قد قمنا بوضع بصمة في تراث البلد ،والمساهمة في حفظه،والله ولي التوفيق

سورية-ادلب-شباط٢٠١٩م- المحقق فايز قوصرة



كتاب الحلة السنية للرحلة الشامية برسم القطب

الرباني والعارف الصمداني العالم النحرير الولي الشيخ

الاستاذ الاكرم والملاذ المحترم السيد

الشيخ اسماعيل ابن حضرة الشيخ

عبد الجواد الكيالي

الرفاعي قدس

الله سرهم

لكاتبه

ان رمت تجلو الغمة القلبية فاقرا كتاب الحلة السنية

تجد محاسن اللطائف التي قد خصصت بالرحلة الشامية

(الصورة١)الصفحة الأولى من المخطوط

مقدمة المؤلف،واستعدادهم للرحلة:

بسم الله الرحمن الرحيم و به ثقتي وعليه اعتمادي . الحمد لله الذي جعل السفر جلاءً لصداء مرات القلوب ومقشعاً لغيم الغم والأحزان والكروب وفكه النفوس في قطع المفاوز والمراحل ونزه النواظر بالإطلاع على ما أبدعه في السواحل من مرغوب ومرهوب ، فسبحانه من إله حرك الهمم لزيادة الأولياء والصالحين لتدرك بذلك المأمول والمطلوب .

والصلاة والسلام على حضرة الشفيع يوم العرض المنزل عليه أولم يسيروا في الأرض فينظروا ما في الزوايا بالإقامة من مستتر عنهم ومحجوب وعلى آله وصحبه المسافرين من مكة النفوس فراراً من الجاهلية إلى مدينة القلوب الروحانية المبرئين من النقايص والعيوب وبعد فيقول العبد الحقير حليف الذنوب والتقصير محمد ابن السيد الشيخ عمر الكيالي سلكه الله المنهج القويم ورقاه بكرمه ذرى المعالي أنه مما منَّ الله عليَّ وحياني به أن ألهمني النزول لمدينة حلب حتى تشرفت بخلاصة أهل قرية قطب دائرة العارفين ومركز إحاطة الأولياء المقربين الملاذ الأعظم والأستاذ الأكرم من رؤياه غاية سؤلي و مرادى حضرة الشيخ سيد إسماعيل أفندي الكيالي الجوادي متعني الله والمسلمين ببقاء حياته وأفاض علي وعليهم من فيوضات إمداداته فبعد أن تشرفت بلثم راحته وتمتعت بجمال طلعته استقمت أياما أتردد إليه وأريد مشافهته بتشريفه لي فلم أجسر عليه غير أني أتخيل ذلك فكراَ ً وأضمره في الفؤاد لعل أن تلوح منه إشارة إلى القصد والمراد ولم أنزل بين يديه منخضعاً ولما أومله من سعادته

متوقعا إلى أن لاحت منه إشارة شممت منها روايح البشارة فحينئذ تجاسرت على تلك الذات طمعا في مكارم هاتيك الشمائل والصفات فعرضت له بصلة رحم القرابة فآذن لوقته عطفاً منه بالإجابة ففرحت بذلك الفرح التام وكاد أن ينفى من عظم المسرة عني المنام ومع ذلك فالذي يخطر في فكري ويثلج له صدري أن الإشارة منه ربما تكون كأضغاث أحلام أو هي من قبيل هجر الكلام لاسيما ما نشاء عن الحواشي واللائذين من استبعاد ذلك وإن إشارة الأستاذ مراده منها غير ما هنالك فبادرت بعرض القضية تأكيد الحصول الأمنية فرأيته على السفر عازماً وبصلة رحم القرابة جازماً فعند ذلك هيأنا له من حوايجه ما يلزم وكل منّا ومن لائذ بسعادته لخدمته قد تقدم..

خروجهم من حلب:

فكان خروجنا من(حلب)ثاني عشر جمادى الأولى وفي سيرنا عليه سبحانه وتعالى التكلان والمعول . ولم نزل نرفل في أبراد الأفراح ونميس في حلل البسط والانشراح وكلما مررنا على قرية خرج أهلها للقيانا وطمعوا في نزولنا عندهم وقِرانا فلم نحببهم لما هم فيه من الصدد حيث سبق البريد من قبلنا إلى البلد فحين جاوزنا قرية(بنش)بميل أقبلت وفود الملاقين غائرة على أجنحة التعجيل ولم نزل بهم أفواجاً مقبلين ولأقدام حضرة الأستاذ مقبلين إلى أن وصلنا إلى قرب البلد فنظرنا بعين الاعتبار كأنه لم يبق فيها أحد حيث خرج المشايخ والأعيان والشباب والنساء والصبيان حتى حضرة المفتي والحاكم وكل لركبتيه ورجليه لاثم قد غصت بهم الأرض وضاقت فيهم بالطول والعرض وخرجت النوبات والأعلام وحصل ما شاء الله أن يكون من الوجد والهيام وكل من الناس

لرؤية الأستاذ والتبرك مزاحم مع عدم الالتفات تلك السّاعة لمراعاة حرمة الرؤساء والحاكم ومن كثرة الازدحام والحال المطرب لم يتيسر لنا الدخول إلى قبيل المغرب، فدخلنا صحبته بالسلامة وصيرنا الدار الغربية مقامه فنلنا بذلك المنا وأقبلت بشائر السرور و الهنا وقبل قدومه كانت غيوم الغم والظلم مطبقة، فساعت إذ انجلت وظهرت شمس المسرة مشرقة، فالأيام بوجوده أعياد ومواسم وتهاني والليالي أذكار وصفاء ومغاني ونظم عقد الانشراح على هذا الحال ونسج برد الانبساط على هذا المنوال ثم جاء لزيارته من هو بالخلق الجميل موصوف ابن عمه المحترم السيد الشيخ الحاج عبد الرؤف فدعاه لصلة رحم بضعته ،وأحفاده وزيارة ضريح ولده وضرايح آبائه وأجداده فأجابه حضرة الأستاذ لذلك فذهبنا صحبة سعادته إلى هنالك...))

وصولهم إلى سرمين[٢]:

فلما أقبلنا على قصبة(سرمين) ورأى الأستاذ الاشائر والأعلام خانقة بأيدي الحاملين أسرعت مهرولة لديه وعكفت من كل الجهات عليه فأخذه المقيم المقعد من الهيام فنزل عن المركوب يمشي على الأقدام فبدأ بزيارة الشيخ عبد الكريم أبي جده وخرج لزيارة جده الشيخ أحمد مسرعا بكليته وجهده فدخل لمزاره ثم لمزار شقيق أبيه وزار ضريح أبي الشيخ عبد الرؤف ومن يليه ثم كر راجعاً لزيارة ولده الشهيد الولي المرحوم المبرور السيد الشيخ علي فحين وصوله جلس مستلقياً على رمسه فحصل له من الجلال والحال ما غيب كلا منا عن شعوره وحسه ثم أفاق من الغيبة ودقت له عند مسيره إلى الزاوية النوبة فاستقام إلى أن أقبل الليل فأمر بالرجوع إلى المحل وتوجيه الخيل فبادرنا بالركوب وسرنا إلى أن

---

[٢] -سرمين تقع شرق ادلب مركز ناحية-سيرد تاريخها في كتابنا (ادلب ..البلدة المنسيةج٣)

على البلد أشرفنا وإذا بالأحباب قد خرجوا لملتقانا بالفزات والقناديل وابتدروا لأيدي حضرة الأستاذ بالتقبيل ...))



(الصورة٢) سرمين عام١٩٣٠م المدخل الشمالي



(الصورة٣)الجامع الكبير في سرمين-العصر المملوكي

وصولهم إلى معرة مصرين، و كفر دريان[٣]:

ثم مضى مدة أيام من الزمان أمر بالتوجه إلى قرية كفر دريان قاصدا لزيارة ذي المجدة المهاب الأنور حضرة والد الجد السيد الشيخ عمر قدس الله تعالى سره . وأعلى في عليين مقره فامتثلنا أمره المطاع وعلونا متون الخيل بالإسراع فلم نزل سائرين إلى أن أقبلنا على معارة مصرين فخرج أهلها للقيانا بالعلامات والمزاهر واستدعوا المبيت عندهم لحصول جبر الخاطر فلبينا دعواهم ودخلنا حصنهم

---

[٣] -معرة مصرين شمال ادلب١٠كم-مركز ناحية سيرد تاريخها في كتابنا (ادلب ..البلدة المنسيةج٣)كفر دريان قرية كبيرة في منطقة حارم..شمال غرب ادلب،ومنها انحدرآل الكيالي (أحفاد اسماعيل الكبالي)

ومأواهم فأنزلونا في ذلك القصر المشاد وتشنفت الأسماع بأصوات المغاني والإنشاء فعرى الأستاذ سنة من النوم لما أطربه من سماع أصوات القوم فنزلنا من مكانه لمحل آخر في رفاهية زايدة واستقمنا إلى أن حضرت سفرة المائدة ذات الألوان الوافرة والأطعمة اللذيذة الفاخرة فأيقظنا الأستاذ للعشاء فوجدناه غير مرتاح متغير المزاج لما لحقه من نسمات تلك الأرياح فلم يتناول من الطعام إلا القليل، وصار يأنّ أنين العليل فبتنا تلك الليلة معدومين المنام



الصورة٤)محراب الجامع القديم في كفر دريان



(الصورة٥)مدخل الجامع القديم في كفر دريان بني من قبل أل الكيالي

لما توارد على الأذهان من الخيالات و الأوهام فلما لاح الصباح و أشرق نوره الوضاح عزمنا على المسير ملحوظين بعناية الله القدير فسرنا إلى أن وصلنا إلى قرية(الكفر) وشاهدنا من تغير مزاج الأستاذ حالا ينقصم له الظهر فتلقانا الأقرباء بالإجلال والترحاب وأنزلونا لأجل راحة جناب الأستاذ المهاب فبعد نزوله بساعة سرى عنه ذلك الحال واعتدل مزاجه حتى كان نشط من عقال وركبنا حينئذ مسرورين والى جهة المقصد متوجهين فتعرض لنا في الطريق شيخ قرية (كله)[٤] فجبر الخاطرة دخلنا لشرب القهوة محلّه ثم توجهنا إلى(كفر دريان) فخرج أهلها لتلقى الأستاذ والأخوان فأنزلونا في أحسن المساكن المتميز على غيره من بقية الأماكن ثم ذهبنا صحبة الأستاذ الأكرم لزيارة ضريح حضرة الشيخ عمر المكرم فجلسنا عند قبره الشريف والتمسنا البركة والمدد المنيف وقرانا من القرآن ما تيسر، و أهديناه لذلك الجد الأنور واستقمنا في تلك القرية ثلاثة أيام ففاجأتنا دعوة(لقرقنيه)[٥] من ذوي الأرحام فأجبناهم لما راموه من مطلوبهم جبرا لخواطرهم وتطيبا لقلوبهم فتوجهنا وبتنا تلك الليلة في ذلك الحي عند ذوي القرابة أولاد عبد الحي ومدفن الشيخ إبراهيم الكيالي في تلك القرية المذكورة قرانا له الفاتحة وما يسر الله لنا أن نزوره وهو رجل من أكابر الصالحين و الأولياء أيضا فلقد ذكر النسيمي في رحلته انه اجتمع فيه في الأرض البيضا ثم حضر بعض الأقارب من قصبة (كفردخارين)[٦] والحوا بدعوة الأستاذ فلم يسعنا رجوعهم مؤوسين فأجبناهم وتوجهنا في معيتهم جمله وركبنا طريقا وعرة غير سهلة فحين أقبلنا عليهم وشاهدنا أهلها عيانا خرج أكثر أهلها مشاة والقليل ركبانا مصحوبين بالأعلام و الأساير والخليليات والطبول والمزاهر فتلقونا بالإعزاز والإكرام و

[٤] -شمال معرة مصرين
[٥] -مركز ناحية في منطقة حارم في جبل باريشا
[٦] - مركز ناحية في منطقة حارم

أضافونا ثلاثة أيام و أخرجونا في يوم منها لبعض البساتين ومتعنا النواظر في هاتيك الثمار والرياحين وذهبنا لمقبرة المسلمين وتبركنا بزيارة ضرايح السادة الكيالية وهم الشيخ عمر والشيخ إسماعيل والشيخ فخر الدين وفي هذا الاثناء وفد من سلقين بعض الأقارب فدعونا فلم يمكن أن نعرض عنهم أو نوارب حيث عاينوا تشريفه لاماكن هم به منها أحق و أولى فعرضنا ذلك عليه فأبي أولا ثم أجاب بالهام المولى..))

وصولهم إلى سلقين ، و أرمناز[٧]:

فحينئذ امتطينا جواد العزم إلى قصبة (سلقين) المصانة فخرجوا لملاقاتنا بالأعلام و الزردخانة فدخلنا إلى حضرة الشيخ بطوش و شاهدنا ذلك الضريح الذي بالأنوار مرشوش ورأينا من المهابة والجلالة ما لا يملك الشخص بهما حاله ولقد منّ الله على أن بت تلك الليلة في حضرته وقرأت ما تيسر من القرآن وأهديت الثواب له ولذريته إلى أن أصبح الصباح عكفنا على البلد راجعين وقد دعينا(لأرمناز) في الرجوع من قبل الأقارب والمحبين فحيث كان الطريق بالمرور عليهم لزم حفظ مراعاتهم وإجابة داعيهم فحين وصلنا في السير لقرب (أرمناز) خرج أهلها جميعا إلى الملتقى بالإجلال والإعزاز فأضافونا يومين ضيافة مفتخرة وبالغوا في الإكرام مبالغة معتبرة ثم في اليوم الثالث سرنا وعلى البلد قبل صلاة الجمعة أقبلنا فخرج أهلها بالنوبات على العادة ولم يزل الأستاذ سائراً حتى دخل إلى الزاوية لزيارة السادة القادة ثم خطر لمحله واستراح وسطعت فيه أنواره وقامت به الأفراح ثم بعد أيام سافرت بالإذن منه جماعته ولم يبق في المكان إلا جماله وطلعته فتحركت همته العلية لزيارة حماه فلم نستطع

---

[٧] - مركز ناحية في منطقة حارم

رد أمره بل شرعنا في التأهب بمجرد مفهوم فحواه فسافرنا وعدنا بالتسجيل والإكرام وقد بقي من شهر شعبان خمسة أيام ...))

دوافع رحلتهم،وكتابتها:

وإنما لم نتعرض لهذه الرحلة على سبيل التفصيل لأنها سنذكر إن شاء الله في الرجوع من الرحلة الشامية على وجه جميل وإنما ذكر في هذا المحل ثانياً وبالعرض ومحلها كما قدمنا في تلك الرحلة التي هي المقصود والغرض ثم ما سبق تحريره إلى هنا ليس هو المطلب وإنما سيق لبيان السبب الحامل لخروج حضرة الأستاذ من حلب ولقد كنت أتمنى زيارة الصالحين من أحياء وأموات والتبرك بضرايحهم و إنتشاق شذا عرفهم في تلك الحضرات لا سيما من ذكره غذاء قلبي وطب لبى حضرة قطب العارفين سيدي محي الدين ابن العربي وكذاذ و المقام الأنسى والنفس القدسى الإمام الجليل سيدي العارف النابلسي إلى أن هيأ الله السبب بواسطة الأستاذ ذي النور اللامع وفتح باب التيسير وأغلق أبواب القواطع والموانع ولاحت بوارق الإذن الصريح بتحريك همة الأستاذ ذي القدر الرجيح إلى هاتيك الديار والتملي بمشاهدة الضرايح والأنوار فشمرت عن ساعد الجد للسفر المطلوب وشددت مئزر الخدمة في هذا السعي المرغوب ثم إن الحامل لي على جمع ما حصل في الرحلة وتقريره وإثباته في هذه القراطيس وتسطيره أمران لا ثالث لهما فها أنا أفصح عن كل منهما أحدهما وهو أنه لما دخلنا إلى الشام دعاني حضرة الأستاذ وشافهني بصريح الكلام بأن أثبت له هذه الرحلة من يوم مفارقة وطنه إلى زمن دخوله لبلده وسكنه وحيث توجه الأمر منه

كان كالركن لا ينوب غيره عنه ثم الأمر الثاني الذي بانضمامه للأول نهذني لهذه الجمعية والجاني أن كنا في هذه الرحلة في أنواع البسط والمسرات وعند أهل تلك البلاد محمولين على الراحات فلا نأتي قرية إلا قام أهلها بما يجب من الإعزاز ولا ندخل أخرى إلا ناقت عليها من حيث الإكرام بالامتياز ولا قدمنا بلدة إلا بالتوقير و الإجلال ومزيد الإكرام و الاحتشام و الإقبال ونجتمع بأهل التقوى والصلاح ونتذاكر مع العلماء والفضلاء أهل الإرشاد والإصلاح ونزور السادة الأصفياء ونتبرك بضرايح الأوليا . ولم نشاهد في هذا السفر إلا الصيانة والرعاية والحفظ والأمن والوقاية والحماية فصارت مخاوف الطرق لنا أمانا ومهالك الفلوات إيمانا وإسلاما حتى وددنا البلاد الشاميه ومشينا في سواحل قصباتها العامرة الإسلامية فلم يصادفنا تكدير ولا لحقنا مشقة ولا تعسير فحيث أنا اجتلينا الأنوار تلك التجليات والأسرار الاقدسية وتمتعنا بمشاهدة تلك الحضرات البهية أردنا أن نثبت وذلك كله في وريقات ليكون مذكراً لنا بنعمة تعالى في الأحايين والأوقات وباعثاً على التحدث بالنعم وسبباً موجباً لتنهيض العزائم والهمم وهذا أوان الشروع في المقصد التام الذي هو الرحلة إلى دمشق الشام وسميتها ب(الحلة السنية إلى الرحلة الشامية) فمنه تعالى استمد العون والجأ إليه في الحفظ والصون أن ولى التوفيق وهو نعم المولى الرفيق فأقول لما علم حضرة الأستاذ والسيد السند الملاذ أن السفر بسفر عن أخلاق الرجال وينهض الهمة ويخصها من درن الخبال والوبال ويطلع العبد على بديع صنع الله وآلائه ويكسبه فيه بما يعتبر وقتئذ برجز، بل مننه ونعمائه لاسيما إذا كان القصد زيارة الأنبياء وضرايح السلف الصالحين والأولياء فيحصل على أنواع السعادة في الورود والصدور ويدرك بزيارتهم المأمول والحظ الموفور حرك

الهمة العلية بالسفر للديار المقدسة الشامية حيث خصها الله بأنبيائه وحباها بأصفائه و أوليائه لأجل أن يتبرك بمراقدهم وآثارهم ويحظى ببهيج مقاماتهم وإشراق أنوارهم ولم يدرك بماله من المقصد الحسن وعناه السفر والإتعاب مع أنه كما في الخبر الشريف قطعة من العذاب فقد انقلب العذاب عذبا والنوم عقلا ولباً وأورث مزاجا معتدلاً قوياً وأحال اليابس رطبا ذهيا ولا يخفى أن زيارة الأولياء والصالحين وقاية وجنه ومندوبة مرغوب فيه عند أكثر أهل السنة فلا التفات لما استند إليه المنكر الجاحد من ظاهر حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد لأن تخصيص هذه المساجد الشريفة بالذكر من حيث تعظيمها والتقرب فيها إلى الله بالصلاة والذكر لا لترك ما سواها وعدم شد الرحال إلى ما عد لها كيف والمساجد في الأرض كلها بالسوية بالنسبة لإضافتها إلى حضرة رب البرية وليس في الأحاديث الواردة في شد الرحال لهذه الثلاثة تعرض بمنع شدها لبقية المساجد أو الأنبياء و الأولياء والعلماء أهل الوراثة وإنما هي مسوقة لبيان فضيلة هذه المساجد المذكورة على غيرها من المساجد التي بذكر الله معمورة بحيث أنها من شرفها وقدرها تستحق أن تشد الرحال إليها دون غيرها وهذا التقرير في الرواية لا بد منه ولا يناسب العدول عنه لأن شد الرحال لعرفة قضاء للنسك واجب بالإجماع وكذا للجهاد وبر الوالدين والهجرة من دار الكفر بشرطها بلا نزاع وأما لطلب العلم فأمر مطلوب فإما واجب وإما مندوب وقد أجمع المسلمون على جواز شد الرحلة للتجارة فبالأولى حوائج الآخرة التي من أكدها قصد الأنبياء والأولياء ومشاهد الصالحين بالزيارة ومما يدل على تأويل حديث شد الرحال التأويل السابق المستحسن التصريح بذلك في حديث ورد عنه صلى الله عليه وسلم سنده حسن فيه بيان ثمرة الحصر والتخصيص لهذه

المساجد بالنسبة لفضيلة الصلاة فيها نصاً وهو قوله عليه الصلاة والسلام لا ينبغي للمطئ أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا و المسجد الأقصى كما أشار لذلك الشيخ الإمام والحبر العلامة النحرير الهمام من لمهابة التصريح باسمه كاد أن لا يجري قلمي إلا فهو شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتمي في كتاب الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم وذكر فيه عن السبكي أنه عن بعض الفضلاء يحكى أنه كون الزيارة من الدين بالضرورة هو أمر معلوم فكل من جحده ولم يقل به فعليه بالكفر

....

جواز الترخيص فيها على مذهب فهو مخطئ أحسن تخطيه ولقد ذكر ذو النفس القدسي الإمام العارف النابلسي في الحديث بحثاً لا بأس بإيراده ليتضح نود نبراسه ومصباح مشكاة مفاده وهو أن المستثنى من الحديث محذوف لا محالة فأما أن يقدر عاماً وقد ذكر مثاله أي لا تشد الرحال إلى مكان في أمر من الأمور إلا إلى ثلاثة مساجد فكل أمر فيها بالاً محصور ولا سبيل إلى هذا التقدير لما فيه من التضييق وإفضائه لسد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وزيارة الصديق وأما إن يقدر أخص من ذلك وهو ما كان أكثر مناسبة للغرض السابق هنالك ولعله لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى ثلاثة مساجد فإن العقل يميل إليه ويرتضيه ويعضده الحديث الذي تقدم فإنه نص فيه منه صلى الله عليه وسلم فحينئذ يهجر التقدير الأول ويكون على هذا التقدير الثاني المعول ويبطل قول من قال إن شد الرحال إلى زيارة ضرايح الصالحين والأولياء حرام وكذا إلى قبر النبي والخليل عليهما الصلاة والسلام ونعوذ بالله من الزيغ بعد الهدى والوقوع في مهام الحيرة والردى وقد يسر الله بمحرض فضله وكرمه

شدَّ الرحال في صحبة الأستاذ الأفخم مع جملة من أقاربه وحشمه إلى تلك الأماكن المستجادة الشهيرة والمقامات الشريفة المنيرة فتشرفنا بزيارة الأحياء والأموات وكان السبب الحامل لحضرة الأستاذ على سلوك الطريق القاصي وترك السهل الداني أولاً تقدير من هو آخذ بالنواصي وثانياً موافقة هذا الفقير الفاني فأني اخترت هذا الطريق الآتي بيانه مع ما فيه من الاعتساف لأمرين جليلين يعذرني فيهما أهل الشهامة والديانة والإنصاف أحدهما لو سلكنا ذاك إلى الشام لزم منه المرور على حماة ذاباً وإياباً مرتين وقد سبقت زيارتها قبل بيسير فيوجب بذلك ملاً وخفة ينشأ عنهما الشيء ولا يخفى أن حضرة الأستاذ رفيع المنار جليل الشأن عظيم المقدار يصان مقامه عن أن يبتذل في الطوية أو أن تمجد النفوس البشرية أو أن يحصل بسببه مشقة وتكليف للمضيف وكل ذلك يأباه طبعه الشريف والثاني أني منذ ثمانية عشر سنة أتوقع زيارة ابن أدهم والهج فيها يقظة و أتخيلها في السنة فلم يتيسر لهذا العبد الذهاب لزيارته والتملي بمشاهدة مرقده الشريف وأنوار حضرته فلأجل هذين الأمرين على التحقيق صرفت عنان همة ذلك الهمام إلى هذا الطريق وليكون الأجر على قدر المشقة والعنا وإن أدرك ما كنت أتوقعه من المرام والمنا ولينضم إلى ذلك زيارة ما في هذا الطريق من الأولياء والصالحين فيشملونا بالنظر ونجتمع بعض الأصدقاء والمحبين فنفوز بالحظ الأوفر وقد حصلنا على المرام بواسطة هذا السيد الضرغام فلله الحمد أولاً وأخيرا وله الشكر باطنا وظاهرا ...))

سفرهم إلى الروج،ودركوش[٨]:

ولما كانت ليلة السبت خامس عشر شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف ودعنا الأهل والعيال وخرجنا في جملة من الأهل والأولاد والخدم والأصدقاء والمحبين والحشم إلى أن وصلنا إلى المقبرة الغربية فقرأنا الفاتحة للمدفونين فيها وخصصنا بأخرى السادة الكيالية والتمسنا البركات واستدعينا الإمدادات ثم ودعنا الأهل والمحبين وبقية من خرج معنا من اللائذين وسرنا في موكب ذي المدد و الإمناح إلى أن استبان نور الصباح فنزلنا عن الدواب للأرض وأدينا ما وجب من الفرض ثم ركبنا وسرنا في أراضي الروج التي هي ذات فجاج ومروج وقد نفخ علينا الحر كيره وأكثر علينا البعوض تزميره حتى وصلنا إلى الغفر نزلنا هناك وأكلنا من الزاد ما تيسر فبعد شرب القهوة و الارتياح وحصول النشاط و الانشراح أمر الأستاذ الأفخم بالمسير إلى ديركوش والنزول



الصورة ٦)منظر عام لدركوش من الجو عام١٩٣٠م

[٨] -سهل الروج غرب ادلب-دركوش مركز ناحية في منطقة جسر الشغور يمر فيها نهر العاصي راجع تاريخها في كتابنا(الرحالة في محافظة ادلب)–الجزء الثاني-وكتابنا (رحلة تاريخية مع نهر العاصي)

عند المفتي صاحب الوجه البشوش وذلك لما سيق له من زيارة حضرة الأستاذ ذي الشأن ودعواه له وقت اطلاعه على توجه الهمة لزيارة السلطان بأن يكون النزول عنده في المرور لينال الشرف و ينجبر خاطره المكسور فأجبنا لمأموله ومطلبه فقدمنا أمامنا من يخبره بقدوم ركبه فخرج مع جماعته لملتقانا وبوجهه المنير وصدره الرحيب تلقانا وصنع لنا ضيافتي الغداء والعشاء منوعتي الأنواع وأكرمنا إكراماً تنقطع دونه الأطماع مع تقديم أجناس الفواكه وكونه أعظم نديم وأحسن مفاكه وأوسع دوابنا زادا وزاد فهكذا من بات ضيف الأجواء ثم عزمنا على الرحيل في سادس عشر شوال يوم الأحد فدعانا لضيافته أخو شيخ القصبة الشيخ أحمد فلبينا دعوته وادعينا حقه وذمته وصرنا ذلك اليوم من أهل الإقامة تنزها عن صفة من يأبى الكرامة فذهبنا لبيته تغدينا وحمدنا من بيده أذمتنا ونواصينا ثم عدنا لمكاننا الزاهي الرطيب المطل على الرياض ونهر العاصي العجيب فبعد أن استقر بنا المجلس خرجت وحدي وكانت زيارة حضرة الشيخ بدر الدين قصدي فسألت رجلاً يرشدني لمكانه الشريف فمشى أمامي أوصلني لذلك المقام اللطيف فحين أقبلت على مزاره ولاحت لي بوارق أنواره دهشت من ذلك الجلال وكاد أن يقضي بتقطيع الأوصال فدخلت بالذل والخضوع ووقفت لديه بالاستكانة والخشوع ثم بعد ذلك شاهدت أنسا فسررت خاطرا وطبت نفسا فقرأت ما تيسر من القرآن لجنابه ورقدت حصة يسيرة في مقامه الشريف عند عتبة بابه ثم استيقظت من النوم فتوضأت وصليت وخرجت من مقامه وأبت من حيث أتيت فحضر منصور تابع محمد آغا الرستم فقبل أذيال الأستاذ ثم التفت إلينا وسلم فأخبرته أن الأستاذ غدا للآغا يزور فابتهج بذلك وتهلل وجهه

بالسرور فأرسل حالاً من يخبره بالمسير إليه وقدوم حضرة الأستاذ عليه فلما دنت الشمس للغروب وجاء وقت العشاء المرغوب أقبل صاحب الدعوة وأخذنا لمكانه في رفعة وحظوه فرأينا الطرق مملوءة بالرجال والولدان والنساء مكتنفة بجميع الجدران تدبروا للتبرك برؤيته والتملي بأنوار محياه وطلعته فأدخلنا لداره ومقامه وأحضر فاخر الفواكه ولذائذ طعامه ثم خرج الأستاذ بالجماعة أجمعين وقصد في ذلك الوقت زيارة الشيخ بدر الدين فذهبت صحبته مرة ثانية لأفوز ببركاته التي قطوفها دانية فحين دخول الأستاذ وقدت له القناديل والشموع واطلعنا بعد الزيارة على ما في مقامه من زخارف الهنود موضوع وقرأنا الفاتحة في صحن تلك التكية للشيخ فاتيه وأعطينا ما تيسر من الصدقات خادمة وجاويشه ثم عدنا لمنزلنا تلك الليلة وعملنا فيه بأمر حضرة الأستاذ تهليله وقد ضع لنا المفتى الزوادة ليلة الاثنين فسافرنا قبيل صبحه بنحو ساعتين ومشى أمامنا المفتي وجماعته مودعين إلى خارج القصبة ولم يزالوا معنا في الطريق التي بشاطئ العاصي حتى قطعنا تلك العقبة فتقدموا وردعوا وحينئذ لأماكنهم رجعوا ولم يبق معنا لهداية الطريق سوى منصور المتقدم ذكره فسرنا إلى أن طلع فجر يوم الاثنين وأشرق بدره فكان ذلك اليوم يوم السابع عشر من شوال نزلنا على قصطل ماء يشبه في صفائه الزلال يا له من خير جاري موقعه عجب وهو منسوب الأكرمين أولاد رجب فصلينا الصبح بمن حضر وأفطرنا حين حاجب الغزالة ظهره...))

توجههم إلى بداما[9]:

ثم سرنا نقطع أودية وجبالا و وهادا صعبة وتلالا حتى أننا في بعض المحال الصعاب نعتقر بالنزول عن متون الدواب ولم نزل نقطع تلك الحزون إلى أن وصلنا إلى نهر قبالة(بدامه) يسمى باللفشون وعنده عين ماء خارجة من الصخر تجري بقدرة الله إلى ذلك النهر فكل منا من شدة الحر قد نزل فاستظلينا بظل بعض كهوف ذلك الجبل فلم يبق منا أحد لشدة صفاء ذلك الماء الأورد فوجدناه في العذوبة كالشهد وفي البرودة كالبرد فاسلت العروق وزال الظماء وطبخت لنا القهوة من ذلك الماء فركبنا و جددنا في المسير ذلك الحين حتى أشرفنا على المقصد من غير مصادفة أحد من الملاقين فبينما نحن في مراقبة لذلك نتشوف تلك السكك والمسالك إذ بالخيول خلفنا غايره وسابق منهم غبرات جواده ثائره فلم يزل مجدا في سيره حتى أدركنا فأمعنا في النظر فيه فإذا هو مضيفنا حضرة افتخار الأماجد حاوي المكارم والمحامد صاحب القدر الرجيح والوجه الحسن الصبيح من جميع المحاسن والكمالات إلى سيادته منقاده الأخ الأمجد محمد آغا رستم زاده فأتى نحو الأستاذ فقبل الركاب ثم أقبل بالسلام علينا وعلى بقية الأحباب فأخذ يجر مركوب الأستاذ بزمامه ويقوده على يده ماشيا على أقدامه ثم أقبل علينا ولدا قاسم وحسين آغا فإذا هما كليوث الوغى فقبلا ركبة الأستاذ مع أياديه ومشى كل منهما على أقدامه بجانبه ويحاذيه فلم نزل في تلك الحال والسير على هذا المنوال حتى وصلنا محل إقامته قرية

[9] - مركز ناحية في منطقة جسر الشغور

(كنسبه)[10] فأنزلوا الأستاذ وقد أخذت محبته مجامع قلب كل ولبه وأقبلت جميع الرساتمة(أي من آل رستم) سلمت علينا وقاموا جميعهم في الخدمة بين أيدينا فمكثنا عند جناب المومى إليه يوم الدخول ويماً بعده وترجا منا أن يكون المقام أياما عنده فلم نجبه لما سأل من المقام حيث أنه بمراحل عن القصد والمرام فاستقمنا هذين اليومين في عيش هني وقدر رفيع وعزسني تصافحنا العشيات والمبكور بكفوف الأفراح والسرور فلقد التزم بنفسه خدمتنا التزامه للحكم الواجب وقدم لنا أوقات الأكل في سماطه طرايف الأطعمة والأطايب وأهدى لحضرة الأستاذ هدية سنيه ومع ذلك اعتذر حيث أنها بالنسبة لجميل صفاته وكريم شيمه عنده جزيئه ولما أصبح يوم الاربعا التاسع عشر شوال المذكور ركبنا صحبة الآغا المومى إليه مع بني عمه عقب الفطور وكان قبل هذا اليوم حضر جناب أحمد آغا ابن اسماعيل آغا حاكم الجبل لتقبيل أيدي حضرة الهمام الأفخم الأستاذ الأجل ودعاه لمكانه حيث أنه في الطريق ورضي بإقامة تلك الليلة عنده من غير ممانعة ولا تعويق فأجبناه لما دعا، وكنا ممن لزمام الود قد رعى فسرنا صحبة الأغوات الكرام لمحل كرامته فخرج للقيانا وأنزلنا في خيمة قد اصطنعها لنشاطه ونزاهته عواميدها من الخشب الكبار وسقفها من الأغصان والأشجار مستورة الجوانب من ذلك إلا جهة واحدة فيها فرجة للسالك مبنية بجانب القرية المسماة عيدَه فكان كلاً منا ذلك اليوم من المسرة أدرك عيده وفي تلك القرية في الجبل عين كالنهر جارية وبعض بساتين بأشجار توت الحرير والزيتون والفواكه زاهية وصعدنا في ذيل الجبل نمشي على حافة ساقية العين حتى وصلنا منبعها الصافي ماؤه كالزلال الشديد بياضه كاللجين و وجدنا هناك

---

[10] في محافظة لاذقية

مزاراً قد كسى بهاء وأنوارا فجلسنا عند المزار وقرأنا لضريحه الفاتحة وتبركنا بمشاهدة ذلك المقام الذي أنوار الولاية عليه لائحة ثم عدنا للخيمة اللطيفة وجلسنا مع حضرات الأغوات ذي النفوس الشريفة فأكرمنا الآغا المومى إليه غاية الإكرام وأحضر لنا وقت العشاء لذيذ المأكل و مفاخر الطعام فلما حصل الفراغ من العشاء وقد حان وقت العشاء استأذن الأغوات في السير فودعوا وناد قراقهم في الحشا والفؤاد قد أودعوا ثم إن عند إرادتنا المنام جاءت الفرش واللحف على أكتاف الخدام فنام البعض منا مع الأستاذ تحت الخيمة فما مضا ثلثا الليل إلا وقد أظلتنا غيمة فانهلت سحايب المزن بالمطر وجعل الماء من سقف الخيمة يتقاطر فأخذنا الأستاذ وهرعنا لبيت فيه بقية الجماعة فاستقمنا بينهم ودام المطر نحو ساعة ثم تقشعت الغيوم وصحت السماء وظهرت النجوم ثم لاح فجر الفلاح وفاح نسيمه الفياح أدينا فريضة الوقت الشريف وحصلنا على الأجر من المولى اللطيف وكان ذلك اليوم يوم الخميس العشرين من شوال المبارك هيئنا الدواب للركوب وأخذنا مع الرفقاء في المسامرة نتشارك ثم ودعنا من حضر من الجماعة ورفعنا من مركب الترحال شراعه ولم نتقيد بقافلة ولا غيرها من الناس وإنما نسير صحبته الأستاذ وما على من يحفظ الله من باس ولم نزل في نجود واتهام وطرق عدة تفضي لسقوط وحصول آلام لكن حفنا الله بعنايته وأدركنا بلطفه و وقايته فلما أشرفنا على الغفر وجدنا ركب خيالة قد ظهر فبوقوع نظرهم علينا جدوا في المسير إلينا فنزلوا كلهم عن الدواب وأقبل نحونا منهم رجل بهي الطلعة مهاب فإذا هو أسد العرين وليث الوغا الأخ الأمجد الحاج أحمد آغا بن خضرو آغا فقبل يد الأستاذ والسيد السند الملاذ قم نزلنا لمصافحته وجلسنا في الغفر لراحتنا وموانسته فاحكى لنا أن شاع عنده الخبر أن

هذا اليوم في الطريق يكون المحل فنزل من مكانه لاستقباله و ليتملى بطلعة الأستاذ و يحظى بلثم الأذيال واستدعى تشرفه لمكانه ليمتاز بذلك على أقرانه فاعتذرنا له بعذر قبله وارتضاه قد صرحنا له بمفهومه ومعناه وهو أن قدوم الأستاذ على(اللاذقية) في هذا اليوم منظر لما سبق أمس من إرسال الرسول بالخبر ولا بد من تهيئة طعام وتكلف فلا يليق حينئذ التخلف ثم بعد الفراغ من شرب القهوة واستمالة الآغا المذكور وحصول الراحة لحضرة الأستاذ الوقور سرنا وسار المذكور للتشيع عنا مقدار ساعة ثم نزل لتوديع حضرة الأستاذ وبقية الجماعة فبينما نحن في السير نجد وإذا بالسحاب قد امتد وأقبل علينا بوجهه ينهل فتارة بالوابل وتارة بالطل فلم نجد من أهبة الشتاء ما نستتر به ولا ظلا واقيا من المطر نتفيأ لجانبه وفي تلك الحال وما نحن فيه من الأفكار عرض لنا في المسير سلوك الأنهار فكان المطر يسيل من فوقنا والأنهار تجري من تحتنا حتى ابتلت الثياب وكلت من المشقة الدواب فداركنا الله بحكمه ولطفه فآذن بانقطاعه وصرفه واطلع الشمس المنيره في حكم وقت الضر..))

وصولهم إلى لاذقية:

ثم وصلنا إلى (جبل السكون) الذي اشتهر نزيه في النعومة كالصابون يعسر ارتقاؤه على السالك ويفضي به إن لم تدركه العناية إلى المهالك فصعدناه مستمدين المعونة والمدد من حضرة المولى الواحد الأحد فوجدنا الغالب منه بالحجارة مرصوف الممشى وهو من صنيع الدستور العادل سليمان باشا الذي سارت سيرته في البلاد القاصية وأكناف المحافل من هو الآن وإلى عكة وصيدة وجميع بلاد الساحل جزاه الله على صنيعه أحسن الجزاء وأبد دولته وحماها من

كيد الحساد والأعداء ولا ذال مؤسسا قواعد العدل والإنصاف قامعاً أهل البغي و ظلام الجور و الاعتساف فجاوزنا ذلك المرتقى الصعب بالسلامة فضلاً منه عز وجل غير أنا في المحال الخالية من الحجارة على خوف ووجل لأنها مداحض تزل فيها الأقدام وتضل من مشقتها ورهبتها الأحلام ثم سرنا بصحة وعافية لى أن وردنا على شاطئ عين جارية فنزلنا على ظهور الدواب جلسنا للغداء مع حضرة الأستاذ والرفقاء الأنجاب ثم ركبنا وحششنا خيل المسير وقد حفنا المولى باللطف والتيسير فأشرفنا على اللاذقية في صفاء وسرور وخلوص نية وهي بلدة في السابق مستقلة بالحاكم وأما الآن فهي تبع لمن على ولاية طرابلس قائم وماؤها الحلو يستخرج من الآبار وعمادتها كلها مبنية بالأحجار غير أنا رأينا ما يستغرب هنالك أنهم يبنون الجدار في عرض حجر واحد ويستقيم بذلك فكان قدومنا بين الظهر والعصر من غير ذكر ساعة مقيدة بقيد فأول ملاق لنا من قبل السيد كان أبا علي بن قريد ثم بعده الأخ الذي بالظرف قد احتف الشيخ حسين جلبي ابن المسنتف ثم لاهما بقية الملاقين من اللواذقة والجسرية والأدالبة النازحين فبادروا التقبيل أيدي الأستاذ والسلام علينا ومشوا عند ذلك أمامنا وبين أيدينا إلى أن وصلنا لقرب بيت السيد شريف الشاب الصالح التقى الظريف ذي الهيكل البارع و المحيا المنير الساطع صاحب الفتح والعطاء و الامناح الأخ الأمجد السيد عبد الفتاح فإذا هو مقبل بالبشر والحبور والفرح و الابتهاج و السرور فتلقانا بالتأهيل والترحاب وسلم علينا سلام الخلان والأحباب وأدخلنا لمكانه بالاعزار و الإكرام وبدأنا من الزلفى ما تعجز عنه ألسنة الأقلام فأحضر بعد الجلوس كاسات السكر واتبع ذلك بالقهوة في الفناجين المروحة بالعنبر ثم مدت مائدة العشاء الحاوية على الألوان الفاخرة وعظيم

الفواكه الشهية الناضره فبتنا تلك الليلة في سرور وهنا وانشراح وانبساط وبلوغ منا إلى أن طلع الصبح ولاسناه وأشرق نوره وضياه وهو صباح يوم الجمعة الميمون الحادي والعشرون من شوال المصون توضأنا وصلينا الصبح بالجماعة وأقبل المسلمون علينا في تلك الساعة فمن جملة من حضر وعلى القلوب قد حظر من ترعرع في حجر الطريقة وتغذى بلبان الحقيقة ذو الذوق و الوجدان الرحموني جناب الشيخ عثمان الصهيوني فسلم علينا سلام الحبيب وعانقنا عناق القريب فتملينا بمشاهدته وشملنا بأنظاره وبركة وجرت بيننا العهود و المواثيق أن الناجي منا لا يتخلى عن الرفيق وكان ذلك باستدعائه فسألته أن لا ينساني من دعائه ومنهم ذو المقام الرفيع والهيكل البديع من شعاره التواضع والحلم وحرفته الأدب والعلم الشاب الذي نور علمه في جبينه ساطع وبدر كماله في أفق محياه طالع المرشد الناصح السيد الشيخ صالح ومنهم نخبة العلماء الأعلام زبدة الفضلاء العظام قطب رحى الإفتاء والإفادة جناب السيد عبد الله أفندي فيض الله زاده فقبل أيادي الأستاذ الشريفة وجرى بيننا وبينه مسامرة لطيفه وتأسست قواعد الوداد وأحكام المحبة والولاء والاتحاد ولم يوجد في الوقت سعة للمفاوضة في الأحكام الشرعية ولا فسحة لمجاذبة أطراف المسائل العلمية وقد تلاه لتقبيل أيدي الأستاذ ابن عمه القاضي الذي حكمه بالعدل بين الناس ماضي فوجدناه مشتملاً برداء الظرافة موشحاً بوشاح الكياسة و اللطافه ثم بعد ساعة من الزمان دخل علينا أخ للمفتي بخمر الحب نشوان فسئلت عن حاله هل هو مجنون أو بحب مولاه متيم مفتون فأمعنت النظر في صفاته وتوقعت ما يصدر من حركاته وترقبت ما يلفظ به لسانه الذي هو عنوان ضميره وترجمانه فظهر لي عليه أن الجذب وأنه ممن غلبه العشق بالشرب من المنهل العذب

فتراه يستغرق في المحو فيتكلم كلام السكران وتارة يعتريه الصحو فيأتي بالكلام المنظوم كعقد الجمان فحينئذ أجبت السائل بأنه رجل مجذوب وعقله بشراب رحيق المحبة مسلوب ومن جملة من اجتمعنا به في ذلك اليوم ابن الشيخ الحكيم الأخ الأمجد المحترم الشيخ إبراهيم كوكب الصلاح في محياه ضالع وسنا التقوى والفلاح من هيكله ساطع كيف لا وهو من بيت زيت زيتونهم استخرج من أصداف العلم و التضيف و إيقاد نبراس مشكاتهم من أنوار الولاية والتصريف ثم قبيل الجمعة حضر الطعام فتغدينا ونزلنا صحبة الأستاذ إلى الجامع الكبير لصلاة الجمعة صلينا فخرجنا من الجامع في شدة الحر فطلب الأستاذ النزول على المينة والفرجة على البحر فنزلنا صحبته مع الجماعة مشاة بالتؤدة والطمأنينة وشربنا معه القهوة عند حاكم المينه وتفرجنا على الإجرام والشخاتير ولم يتيسر لنا الفرجة على مركب كبير وتأملنا جرى السفن فيه وما يبرزه الحق من المصنوعات وما يخفيه ثم نزلنا إلى شاطئ ذلك البحر وجلسنا نتفكر فيما خصه الله به من تلاطم الأمواج والغلبة والقهر فوجدناه آية عظيمة باهرة تدل على وحدانية الصانع وقدرته القوية القاهرة وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد فسبحان من أبدعه بقدرته وأجرى السفن فيه بحكمته فتشاهد فيه من سائر الجهات جارية و الارياح على حسب المقاصد لها جارية وما ذاك إلا لقوى سلطانه وغلبته قهره وباهر قدرته ونفز أمره وفي ذلك المحل مقام على جانب البحر بالحجارة مبني فسألنا عنه فقيل هو مدفن الشيخ أبي بكر البطرني فدخلنا لشريف مزاره وتملينا بمشاهدة أنواره فوقفنا إلى جانب ضريحه الساطع بالأنوار المتوج بالهيبة والجلال والوقار وقرأنا بحضرته الفاتحة ودعونا لدى جدثه بالدعوات الصالحةلأن الدعاء عند ضرايح الأولياء مجاب لكونهم وسيلة

في قبوله عند رب الأرباب ولاشك أن هذا الرجل بالولاية مشهود وله بين أهل تلك البلاد أسرار وظهور فجلسنا مع حضرة الملاذ في إيوان بفنائه مستمدين من فيوضات منحه وعطائه قد كسبنا حلل السرور و الابتهاج وسرحنا النواظر في تلاطم هاتيك الأمواج فاستقمنا فيه إلى أن صار للحيطان ظل فذهبنا حينئذ من ذلك المحل وعدنا لمحلنا صحبة الأستاذ في نشاط فريد ثم خرجت منفرداً لصلاة العصر في الجامع الجديد فيا له من جامع بحسن البناء موصوف و بالروحانية وكمال البهاء محفوف ذي أعمدة مسلوبة القوام ومحراب عال بديع النظام ومنبر من الحجر الرخام المرمر وسدة بداير مخرم من جنس حجر المنبر وقبل أداء الصلاة الفرضية دخلنا المزار من حضرته حيا وميتا مشرقة ومضيه العالم العلامة والعمدة الفهامه ولي الله بلا نزاع وبركة الأنام بلا دفاع الثامل من شراب المعرفة والحب الغارق في بحار الوحدة والقرب ذي المنهل العذب للصوادي و الغداوي شيخنا المحترم مصطفى الأروادي فقرأنا له الفاتحة صحبة الأستاذ الأكرم ثم عدنا إلى شريف ذلك الحرم فصلينا العصر جماعة في الصف الغربي وخرجنا مع الخلاصى لزيارة ضريح الشيخ سالم المغربي فدخلنا لزاويته وتملينا بمشاهدة حجرته وقرأنا له الفاتحة و الإخلاص ثلاث مرات والتمسنا بزيارته نواحي البركات ثم أعطينا خادمة الذي فتح لنا الباب ما قسمه له المولى الكريم الوهاب وعدنا قبيل المساء فعند ذلك أحضر العشاء فكان كما جرت به العادة من الألوان والأطعمة المستجادة فبعد أن فرغنا من العشاء اللطيف وأدينا فرض المغرب الشريف تحركت همة الأستاذ لحضور الذكر في بيت الحكيم فتوجرنا مع سعادته إلى ذلك المحل في ملاء عظيم إلى أن دخلنا ذلك البيت المشرق بالأنوار المدود عليه رواق السادة الأخيار فحضرنا ذلك

الذكر المنير واغتنمنا الأجر والثواب الغزير وتبركنا بمجلس الشيخ الحكيم السني وقد كان يجلس فيه على ما قيل حال الزيارة له الشيخ عبد الغني ثم إن الأستاذ أمر بفتح مكان كان يعرمد الجلوس فيه من سنين ففتح له فإذا هو مملوء بأنواع شتى من الخزين فتغير لذلك حاله وعربد في الكلام ما ملخصه وما له إن شريف هذا المكان بعد ما حصل له بالذكر الشرف و الشان لا ينبغي أن يصير محلاً للمؤن أو يهجر ويبتذل ويمتهن ثم خرجنا وذهبنا لمحلنا والشيخ عثمان الصهيوني في معيتنا وبتنا تلك الليلة في كمال السرور والصفاء وتمام البشر والوفاء إلى أن أصبح صبح يوم السبت الثاني والعشرون من شوال الخالي من الكدر والمقت أدينا صلاة الصبح على العادة فحضر لدينا بعد طلوع الشمس الإخوان والسادة ثم طلب حضرة الأستاذ زيارة المفتي والقاضي اللذين تشرفا بزيارته في اليوم الماضي فذهبنا في معيته لدى القاضي أولاً ثم خرجنا فذهب معنا لدى ابن عمه المفتي على الولا ورجعنا لشريف المقام فدعى السيد الأستاذ والجماعة إلى الحمام فذهبنا صحبة العمدة السند الممنوح من الله بعظيم المدد فدخلنا وجدناه حماماً لطيفاً مفروشا فرشا باهيا نظيفا صغيرا في الحجم إلا أنه مستوفي الشروط والرسم ثم أحضرت المناشف المعطرة بالطيب والقهوة والشراب المروح بماء الورد العجيب فانتعشت به الأشياح وارتاحت له الأرواح فلما إن خرجنا من الحمام عدنا لمحلنا بالإعزاز والإكرام وأحضرت من أنواع الأطعمة والفواكه المائدة فتغدينا ودعوناه تعالى أن لا يقطع خيره وعوائده ثم رغبنا في النوم لأجل الاستراحة فانتبهنا متنشطين بكمال الراحة فتهيئنا قبل دخول الوقت لصلاة العصر وصليناها بعده جماعة صلاة القصر حيث أنه ليس لنا على الإقامة تحويل وفي كل وقت نعزم على السفر و الرحيل وقد كنا في ذلك اليوم

مدعوين عند ابن خلاص فذهبنا لمكانه فتلقانا بالبشر والصفاء والإخلاص فمدت سفرة كبيرة قد ملئت بأنواع من الأطعمة والحلويات الكثيرة فبعد أن رفعت مائدة الطعام المذكور جيئ بماء الورد و الزهر و البخور فاستعملنا لذلك الطيب وعدنا لمكان الخل الحبيب فطلب الأستاذ الذهاب لزاوية الشيخ عثمان الذي مر ذكره فذهبنا وجدناه جالسا في المورد الذي فاح نشره فجلسنا خلف الحلقة حتى قام ذكره الجليل ورفعت الأصوات بالإنشاد والتهليل فوجم حضرة الأستاذ على الحلقة وجمة الأسد فلزم أن لا يتخلف منا عن دخول حلقة الذكر أحد فأخذ يضرب بالطبل باز فصار في الحال للذكر بالهيبة والجلال امتياز وأهاج الشيخ عثمان الغرام وحصل للحاضرين وجد وهيام وفي تلك الحال نقض الأستاذ عمامة الشيخ عثمان أشعاراً بإلباسه الخرقة من يده وتبنيها على علو المقام وعظم الشان ثم بعد الفراغ من الذكر المنيف استدعى من الأستاذ دعاء الختم تبركاً بنفسه الشريف وتأكيد المودة ومصافاته وإظهار المحبة وموالاته فأمر هذا الداعي بإجابة دعواه فابتدرت مسارعاً بمجرد مفهوم فحواه ثم قبلنا يد الأستاذ المجتبي وأردنا تقبيل يد الشيخ المومى إليه فأبى ولكنه صافحنا وضمنا لصدره و حبانا بدعائه وشملنا ببرد ثم شربنا القهوة عنده لأجل البركة فكانت بيننا وبين أخواننا مشتركه ثم عدنا لمحلنا وأدينا العشاء المفترض فجاء متسلم البلدة تلك الساعة وفيه أثر المرض فقبل أيدي الأستاذ الأكرم وجلس فسقاه القهوة وأمر له بعمل نفس فأراد أن يمتنع من ذلك للمرض والأدب فأشرنا له بالشرب رجاءً أن يكون فيه المطلب والمأرب ثم ذهب المتسلم لمحله ونحا أهل المجمع كل منهم نحو أهله فبادرت بقراءة ما هو موظف علي فحين فراغي منه ساق الله النوم إلي فلما طلعت طلايع الفجر وحلت صلاة الفريضة بثبوت الأجر وكان ذلك

الفجر فجر يوم الأحد الثالث والعشرون من شوال الخالي من الهم والنكد جلسنا بعد الأداء نتحادث مع الأخوان فأقبل علينا كالعادة الأصدقاء والخلان فلم نزل معهم في طيب الكلام إلى أن حان وقت الفطور وحضر الطعام فأكلنا منه بحسب الكفاية ثم ذهبنا بحملتنا صحبة الأستاذ إلى السرايه فاستقبله الحاكم إلى خارج الباب وتلقاه بالإجلال والترحاب فجلسنا في إيوان عظيم نضير وتأملنا ماء تلك النوفرة الذي في ارتفاعه واستوائه لوحدة الله يشير ثم وردت علينا القهوة و كاسات السكر المذاب فشربنا ودارت على الحاضرين من الأهل والأصحاب ونظرنا لحركات ذلك الحاكم المرضية وخبرنا سيره مع الرعية فوجدناه حسن السيرة محمود الأفعال والسريرة قد جبل على العدل والأنصاف وطبع على الشفقة والرأفة والإسعاف يحب الأولياء

LATTAQUIÉ (Syrie) - Le Port, vue prise du Sémaphore



(الصورة٧)منظر عام لميناء لاذقية –عام ١٩٢٥م

والصالحين من العباد ويكره الظلم والجور والفساد ثم ذهب الأستاذ وذهبنا معه فخرج المتسلم إلى الباب شيعة فوصلنا للمكان وحصلت الطمأنينة فتوجهنا عنك ذلك صحبة رفقتنا سوى الأستاذ إلى

المينة فلاحت نظرة لنا من جناب يحيى آغا السلخشور فأرسل أحد أتباعه يستدعي منا لديه الحضور فأتينا رأينا ونازلا في دائرة من الخان لها كشك مطل على البحر والمراكب يشاهد النازل فيه والخارج منه والماشي على شاطئه والراكب فتلقانا بالإجلال والإعظام وأكرمنا في مجلسه غاية الإكرام فجرى بيننا وبينه ذكر حلب وأيالتها وما أنزل الله تعالى من البلاء في ساحتها فحصل التأوه من الطرفين والتفجع والتوجع من الجانبين فأنزل الله تلك الساعة على قلوب الحاضرين سكينة وألقى في خواطرهم أنه قد آن أوان الفرح وحلول الطمأنينة حتى أن يحيى آغا المذكور قال ماذا يكون جعلى إن فاجأكم في هذه الساعة سرور فما استتم ذلك الكلام إلا وقد ظهرت قلوع كالأعلام وأسفرت عن شختور كله رجال فحين وقوع النظر عليهم عين لملاقاتهم واحداً في



(الصورة ٨)الخان القديم في لاذقية ،الذي تحول إلى متحف الآن

الحال ثم دقق النظر فيهم فإذا هم تستريه فقال لكم البشرى إن شاء الله إخبار خيريه فركب تابعه في جرم ولا قالهم ونزل لمركبهم ثم سألهم ولم يزل في صحبتهم حتى خرجوا فأتى لديه فاستشكفه عن حالهم فأنبأه بما أطلعوه من الأخبار عليه فمن جملتها أن الدولة العلية صانها المولى من كل محنة وبلية قضت بتغيير المناصب والتبديل كجري العادة فأنعمت بمنصب حلب على الوزير الخطير أجلى أحمد باشا وأعطت منصب أزروم لجبان زاده فامتلأت القلوب مرادا وقرت النفوس ناظرا وفؤادا وحصل البسط و الانشراح وعدنا من المينه في مسرة وأفراح وفي ذلك اليوم كنا مدعوين عند الأخ الحاج محمد جلبي رزق فذهبنا لضيافته فقام في الخدمة كأنه عبد رق ووضع السماط على جرى العادة وحصل منه الإكرام بما هو المأمول وزيادة ثم عدنا إلى شريف المكان وصلينا المغرب جماعة بالأخوان فتحركت همة الأستاذ في الذهاب لبيت الحكيم رغبة في الذكر الذي خمرة حانه قديمة معتقة بكر فذهبنا والحاضرون من الرفقاء والسادات الأكارم و فزنا بحظ وافر من الثواب عند قسم الغنائم ثم عدنا في وقت سعيد وزمن شريف بالمسرة رغيد وبتنا تلك الليلة في مصافاة وحسن محاورة مع الأحباب وموافاة إلى أن لاح سنا صبح يوم الاثنين الرابع والعشرون من شهر شوال المبارك بلا مين أدينا الفرض الذي علينا ثم حضر الأحباب والأصدقاء لدينا وعزمنا على الرحيل في الغد وشمرنا للسفر عن ساعد الجد وكنا ذلك اليوم في دعوة الأخ الرفيع المقدار السيد محمد جلبي الجسري ابن ست الدار فأرسل ذلك اليوم المتسلم لحضرة الأستاذ هدية سنيه وأردفها بعد ذلك لسعادته بخرجيه واعترف بالقصور في جانب الشيم الكريمة واعتذر معها أنها

ليست من القيمة ثم بعد العصر حضر الجسري المذكور وذهب بنا لدار كرامته فرأينا أصناف الأطعمة والحلويات في ضيافته فحصل له غاية في جبر الخاطر ونال بتشريف حضرة الأستاذ الحظ الوافر ثم قبيل المغرب عدنا لمحلنا الأول الذي عليه في هذه الإقامة المعول فبتنا تلك الليلة على العادة وصنع لنا حبيبنا السيد الزواده فلما أسفر وجه ذلك الصباح وخفقت نسائمه الرطيبة بغير جناح وكان صبح يوم الثلاثة الخامس والعشرين من شهر شوال المؤذن إن شاء الله بالفتح المبين ركبنا في معية الإخوان منها وفي الفؤاد حسرة من زيارات مخصوصة ذهلت عنها لأن استقصاء الأولياء والصالحين بالزيارة هي عندي في هذه الرحلة أربح التجارة كزيارة قبر إلى الدرداء الصحابي الكبير وقبر تاج الولي الصالح من ذرية القصري الشهير ووالدة السلطان ابن أدهم التي زيارتها لجراحات الفؤاد مرهم وكعبد الله المغاوري والشيخ إبراهيم الحطاب والشيخ الحكيم وبقية قبور الأولياء والأنجاب غير أني قرأت لهم الفاتحة والتمست من بركاتهم وأسرارهم الطافحة وقد خرج لوداع الأستاذ جم غفير واتفق المرور على باب السراية في المسير فأمر الأستاذ بالدخول لدى الحاكم وقد كان لحكمه فإن مزاجه تغير وعراه حمَّه فلما شرب قهوته نقض من رأسه عمته ثم ودعه الأستاذ وخرج فجاء الخبر بعد يوم أنه نشط من مرضه وحصل له الفرج فركبنا وسرنا إلى خارج البلدة في جملة الأحباب فأشار لي أحدهم عن بعد إلى ضريحي الحكيم والحطاب فلم يكن بالتخلف عن الرفقة في زيارتهم مسامحة فوقفت مكاني وقرأت لهما الفاتحة...))



(الصورة٩)الجامع الكبير في لاذقية –الحرم الداخلي



الصورة-١٠ جامع المغربي في لاذقية



الصورة١١-آثار قديمة ملاصقة للجامع الكبير في لاذقية



الصورة١٢-السراي/دار الحكومة العثمانية

توجههم إلى جبلة[١١]:

ثم ودعنا الأحباب وسرنا على أجنحة العجلة واستمر الحبيب السيد ومن معه مودعين لنا إلى جبلة فلم نزل سائرين حتى وصلنا إلى جسر بالحجر الصلد متين له قناطر وسواري مصنوع على نهر ماء جاري وعلى جانبيه أشجار ذات ظل ظليل ورياض صالحة للمقيل فنزلنا في ذلك المحل مع الأغرة الأمجاد وأكلنا في جملتهم ما أحضروه من الزاد ثم ركبنا متون الدواب وسرنا متوكلين مسبب الأسباب حتى أقبلنا على(جبلة) المحمية ذات الرياض والمقاصف البهية

[١١] في محافظة لاذقية-مركز منطقة

وهي بلدة صغيرة على البحر الملح المشهور وليس لها قلعة ولا أبراج وسور فخرج لاستقبالنا وجوه الناس منهم حتى خدمة السلطان والإشارة تقدمهم رافعين أصواتهم بالتهليل متلقين الأستاذ بالأدب والتبجيل فأدخلونا ذلك المكان الواسع ومن هو لمحاسن الدنيا جامع فأنزلوا الأستاذ في القصر المطل على البحر والبساتين وأخلوا مكانين لنا وللرفقاء والمودعين ثم نزلنا للفرجة والزيارة ونزهنا الطرف في بديع تلك الأبنية و العمارة فوجدنا الأماكن التي تقتضي فيها الحاجة متعددة على نسق وساقية الماء جارية في الجميع تتدفق وعند باب المسجد الرواق العظيم المأنوس ومقابله بركة ماء صافي هي نزهة للنفوس ثم دخلنا حرم الجامع فوجدناه واسع الأطراف محكم البناء عالي الجدر و الأكناف صلينا العصر عند المنبر وقصدنا مقام السلطان الذي يفوق شذاه على العنبر فاجتمع الخدمة وفتحوا الباب وطلبنا الدستور من ذلك الجناب المهاب فاستعملنا أدب أهل الطريق في السلوك ودخلنا دخول الصعلوك على الملوك فأترفت أنواره ذلك المزار المملوء بالجلال والمهابة والوقار فعراني في ذلك المقام دهشة وحصل لي خشية ووحشة فلما جلسنا للقراءة اطمأنت النفس وتبدلت تلك الوحشة بالأنس كيف لا وهو فيض بحر الكرم وسيل جود في الوجود عرمرم سيد أهل التصوف وزاهدهم وكبير أهل الطريفة وعابدهم فقرأت ما تيسر من القرآن بالحضور وأهديت ثواب ذلك لحضرة ذلك الدستور والتمست من حضرته الأمداد ورغبت في البركات والأرفاد فخرجت وأكرمت الخدام فأخذ بيدي واحد منهم إلى ثاني مقام فدخلته وقرأت لصاحبه الفاتحة ورأيت الأنوار عليه لائحة فسئلت عنه هل هو من خدمه أو أقربائه وحشمه فأخبرت أنه وزيره قد ألقى عليه أكسيره ثم قبيل المغرب بساعة رمليه ورد أحد التجار الطرابلسية فإذا هو صديق السيد و وليه

وحبيبه وخليله وصفيه فاستفسر منه عن مكان في بلدهم يليق بالأستاذ للنزول فأخبره بمكان لأحد الأعيان لا مثال حضرة الأستاذ منزول فأرسل السيد من قبله واحداً لدى المصطفى آغا البربر لأجل إعلامه بتشريف الأستاذ وبما به الطرابلسي أخبر وكان إذ ذاك في الركبة على بني نصير الفجره قواه الله عليهم وأيده ونصره ففي الحال حرر مرسوماً لمتسلم طرطوس وأمره باستقبال الأستاذ وخدمته التي هي حفيظة النفوس ومرسوماً آخر لوكيله في طرابلس المحروسة ورسوله بالنزول في بيت الأفندي المقدم الذي به البلدة مأنوسة وأمر يقدم لبيت المومى إليه ما يقتضي من الزخرة واللوازم وأن يكون بين يدي سعادته كالخادم ثم لما دخل



الصورة١٣)جامع السلطان ابراهيم بن أدهم في جبلة



(الصورة١٤)منظر جوي لجبلة عام١٩٣٧م

(

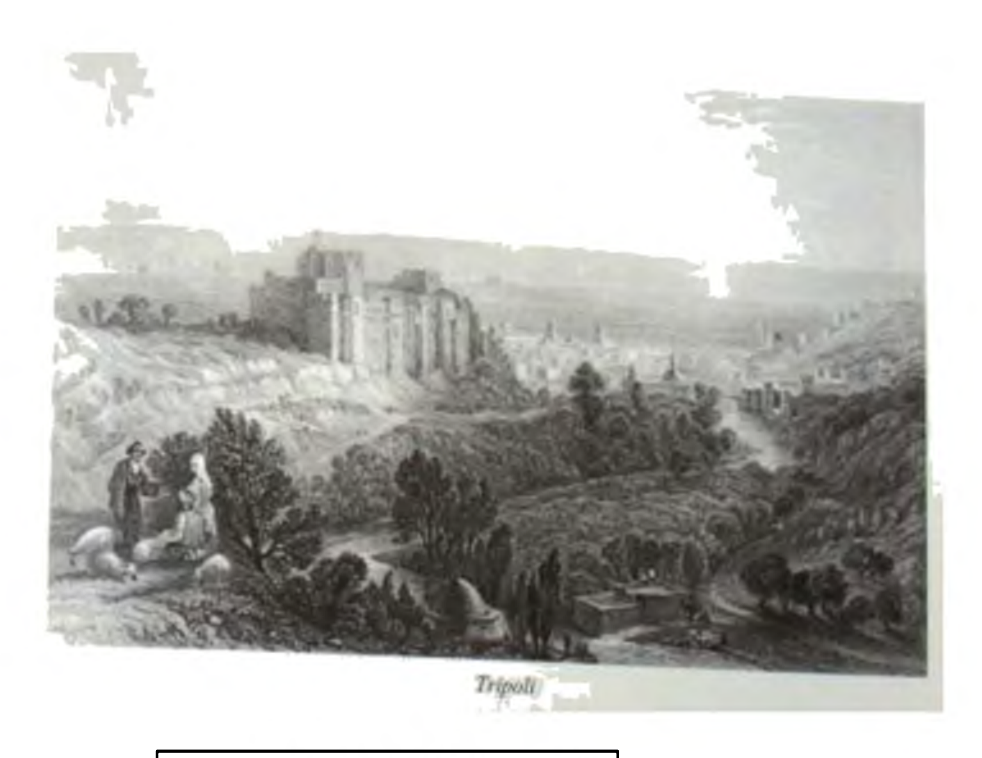
المساء وحان وقت العشاء لدى حضرة الأستاذ تعشينا وعدنا إلى المسجد الجامع وصلينا وجلسنا عند بركة الماء في ذلك الرواق نتسامر مع الأحباب والخلان والرفاق إلى أن أعلن المؤذن بالأذان صلينا العشاء جماعة ودخلنا للديوان فنمت فيه وجناب ابن العم الملا وكل من الجماعة انصرف وولى ثم لما لاحت لوائح

الفجر وفاح شذا نسيمه كالعطر وكان فجر يوم الأربعاء السادس والعشرين من شوال صلينا فريضة الصبح جماعة وتهيئنا للارتحال وتمادينا حصة من الزمان حتى شرب القهوة الأستاذ والأخوان ثم ركبنا وسرنا إلى مجاورة العمران فودعنا جناب السيد وبقية الأصحاب والخلان فحثنا الدواب في المسير وحفنا من الله تيسير فكانت الدواب تمشي على الشط وحوافرها في الماء والرمل تنغط إلى أن أشرفنا على طرطوس وقد سئمت من السير النفوس فخرج المسلم في جماعته وإخوانه ومشى لعام الأستاذ حتى أدخله لمكانه وهو مكان تضرب في جدرانه أمواج البحر المزجور فتوجل من اضطرابه القلوب وتضيق من هيجانه الصدور ثم خرجنا المسجد قريب هناك صلينا وأتينا مكان الدواب ولحقوقهم أدينا وتأملنا جزيرة



(الصورة١٥)منظر جوي لطرطوس عام ١٩٣٧م

طرطوس وجدناها وخيمة وأماكنها وبيوتها سقيمة وبطريق النظر والفراسة يستشعر في أهلها البخل والخساسة كما أوما إليه ذو النفس القدسي حضرة السيد العارف النابلسي حيث قال وهو الصادق في المقال عن أن طرطوس كقارة ما بها غير الحجارة أن ترم منها ولو ماءً تجد فيه التجارة وما ذكره لم يكن من علم عند الحقير للتكلم لأننا لسنا اضيافهم بل اضياف المتسلم لكن استأنست لذلك بمجيء طعامه في الطبق الواقع موقعاً من الكفاية بالنسبة لسد الرمق فمن المعلوم أن علة الضم الجنسية وهي في الحقيقة قاعدة مطردة ليست أغلبية ثم تذاكرنا مع المسلم على قسم الطريق شطرين وجعل ما بين(طرطوس وطرابلس)مرحلتين فأجاب بأن راحتكم هي جل القصد والمأرب ولكن الطريق خال من القرى ومنازل العرب فعند ذلك صممنا على أخذ المسافة بيوم وإن نالتنا مشقة مع بقية القوم...))



(الصورة١٧) منظر علم
لطرابلس ـــرسم
بارتليت١٨٣٦م

وصولهم إلى طرابلس:

فبتنا إلى أن أصبح يوم الخميس السابع والعشرين من شوال توجهنا فيه بعد أداء الفريضة ميممين(طرابلس) ذات المقاصف والظلال وقد كان معنا رجل يهدينا السبيل مصحوباً بمراسلة مخصوصة بنا من حضرة البربر إلى الوكيل فجددنا في السير وأجهدنا الدواب ولم ننزل في الطريق سوى مرتين لراحة الأستاذ والأحباب إلى أن وصلنا المقام حضرة البداوى فوجدناه محلا من نشأته ونضارته وبطيب المريض ويداوى وهو ولي من أولياء الله تعالى قد بني عليه قبة واسعة ذو هيبة وجلال وأنوار ساطعة وفي فنائه بركة ماء بهية كبيرة وفيها الأسماك متنوعة كثيرة ولجانبها أشجار عظيمة أبدانها كالسواري ويليها من

أسفلها نهر كبير جاري ولقد ذكر ذو المقام الأنسي حضرة العارف النابلسي في شريف رحلته الحجازية لما ورد الديار الطرابلسية أن سمك هذه البركة لا يستطيع أحد له أن يتعرض وكل من صاده وأكل منه لا بد أن يعتريه المرض وذلك ببركة حضرة البداوى الذي على الولاية والأسرار الربانية حاوي ولقد قال في ذلك من النظام يصف بذلك المكان والمقام (وبركة البداوى بمائها تداوى يسبح فيها سمك يصلح للتداوي مولاه قد حماه بعز شيخ ناوي هناك في جامعة مقامه العلاوي فإن من يصيده يمرض وهو الغاوي وجربت مراراً جميع ذي الدعاوى بها طرابلوس لجنة تساوى) فنزلنا على بركة ذلك المقام والتمسنا بركات ذلك الأسد الضرغام ثم لما حصلت الراحة وفزنا بشذا عرف تلك الرياض الفياحة ركبنا وسرنا حتى دخلنا طرابلس المحروسة وشاهدنا تلك البساتين والمياه المأنوسة ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا للمحل المقصود المتقدم فخرج صاحب المنزل محمد أفندي الشهير بالمقدم الذي شاع ذكره وأشرق في أفق العلياء بدره فأنزلنا منزلاً مباركاً وكان في خدمة حضرة الأستاذ لأتباعه مشاركاً وقام بما يقتضيه مقامه الرفيع من الإعزاز والإجلال حتى كان لا يجلس بين يديه في غالب الأحوال مع أنه ذو أرقاء وخدم وحواشي وحشم قد أفرغ في قال الظرافة و كسي حلة الحسن و اللطافة وردي برداء التواضع ولين الجانب وتوج بتاج الشهامة فكان لكل خصلة دنية بجانبق فحصل لنا غاية الاستغراب من علو همة ذلك الجناب فسألت عنه خواص الناس فأزاح عن وجه ذلك الألباس بأنه ذو حسب فاخر ونسب طاهر قد طاب منمى ومحتدا وغدا للمكرهات موردا فلا غرو أن يكون التواضع سيمته وحسن الشيم والأخلاق شجيته ومما يدل على

شرف أسلافه الكرام وفخامة مراتب آبائه الفخام مدح العارف النابلسي لجده المبرء عن المجازفة فيه وخروجه عن حده



Castle near Tripoli on the River Kadesha

(الصورة١٧)منظر عام لطرابلس –الرسم للرحالة

وذلك الممدوح جناب هبة الله أفندي مفتي السادة الحنفية يومئذ بالديار الطرابلسية حين دعاه لضيافته في تشريفه لطرابلس الشام وتذاكر معه فوجده من العلماء الأعلام فحرر له قصيدة هي بنت فكر في حسنها فريدة وهي المسوقة الآن على سبيل التوضيح والبيان :

سليل الأكرمين أولى المعالي ** ومن فخرت به أهل الكمال

طلعت لنا بأفق المجد بدراً ** تضيء فما لنورك من ذوال

وأنت البحر في علم وفضل ** وفي شرف من الأجداد عال

ووالدك الذي بهر البرايا ** بنظم مثل أسلاك اللآلئ

وفقه إلى حنيفة عنه يروى ** بأخبار مسلسلة طوال

وأنت له الهبة التي لا ** ترد لأنها بالانتقال

أتا بك ربك المولى ثوابا ** له من فضله أمد الليالي

قدم وأسلم لنا في كل عسر ** وإقبال نراه على التوالي

وأبقاك الإله لنجل سعد ** وأبقاه لديك بخبر حال

مدى الأيام ما غنا هزار ** ومال الغصن من ريح الشمال

وما أشتاق للمحب إلى حبيب ** فصادفه بأنواع الوصال

ومما يدل على علو شأنهم وكمال الاعتنا بهم أيضاً ما أفيض على جّد جَّد المذكور من عطايا الصديق في واقعة منامية فيضاً حسبما ذكره العارف النابلسي المتقدم ذكره طاب ثراه وقدس سره من أن هبة الله أفندي أخبره بها ثم بعد أطلعه على رسمها وهي بسم الله الرحمن الرحيم يقول العبد الفقير إلى ربه القوي الغني على ابن عثمان الضرير الحنفي الحموي كنت في ليلة جمعة وهي أول جمعة من رمضان سنة اثنين وستين وألف ضيق الصدر عظيم الكرب فقلت في نفسي أما تمدح الصديق رضي الله عنه بأبيات وتطلب منه الجائزة وهي تفريج كربك وشرح صدرك ثم شرعت في الأبيات ونظمت اثني عشر بيتاً وأنا واضع رأسي على الوسادة ثم غلبني النوم فنمت وإذا بركب عظيم وبينهم رجل مهاب عليه ثياب خضر والجميع حوله فأقبل علي واحد منهم وقال هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فركضت وجلت قدمه فقال مرحباً بك اقرأ

القصيدة نعطيك الجائزة فقلت ما أتممها يا صديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نحن نتمها لك فقرأتها نحو أربعين بيتاً ولما فرغت قال اجعلها ورداً بعد العشاء ولك جميع ما سألت فيها ثم انتبهت وأنا أحفظ الذي نظمت والذي ألهمته من حضرة الصديق رضي الله عنه وسميتها مدح الصديق لحضرة الصديق وهي هذه :

فرضو أنك اللهم يا عالم السر ** مع العز و الإكرام رواحه تسري

إلى حضرت الصديق والصادق الذي ** لقد فاز قبلاً بالإجابة للأمر

ومن جاء في التنزيل إثبات صحبته ** له كيف لا وهو الإمام أبو بكر

ومن جاء في آي الكتاب الذي أتى ** فأعظم بذكر ذكره جاء في الذكر

ومن جاءه جبريل من عند ربه ** يختبر عنه أنه صاحب القدر

ومن أنفق الأموال في حب أحمدٍ ** وكان سخاه فايق السحب و البحر

تصدق بالأموال حتى ثيابه ** وفي حب طه ثوبه صار من شعر

وجاء أمين الوحي يسأله الرضا ** عن الله في حالٍ أصاب من الفقر

فسألت دموع منه عند سؤاله ** وقال رضاي عن إلهي وذا فخري

ومن كان يوم الغار خلاً مؤنسا ** فأعظم به من مونسٍ مشدد الأزر

ولو جابني بعد سيد هاشم ** لكان هو الصديق حقاً بلا نكر

فيا سيدي الصديق عبدكم الذي ** تسمى عليا نجل عثمان ذو كسر

ضعيف نحيف عاجز ومقصر ** كثير ذنوب مثقلات على ظهري

فكن لي شفيعاً يا أمامي وعمدتي ** لطرح عني ما عليَّ من الوزر

بحبك للهادي وحبي لذاتك الـ ** مشرفة العظمى وأوصافك الغر

تشفع لضعفي بالتقوى وحالتي ** بإصلاحها حقاً وبالشرح للصدر

وكن لي وأهلي ثم جمع عشيرتي ** وأبد عدوى في هلاك وفي خسر

فما أحد بعد النبي محمد ** يضاهيك يا صديق يا صاحب السر

وما وطاء الغبراء بعد نبينا ** بخير من الفاروق إلا أبو بكر

فيا عمر الفاروق يا من صفاته ** تجل عن الإحصاء في الضبط والحصر

حويت من الأسرار كل كرامة ** وخصك رب العرش بالفتح والنصر

فعنك مع الصديق رضوان ربنا ** ود أبي الترضى وهو شغلي مدا عمري

فحبكما فرض على كل مسلم ** ومن شكك في هذا فقد باء بالكفر

ومن كان قراط من البغض عنده ** يحول خنزيراً إذا صار في القبر

ويبعث خنزيراً وخلد في لظى ** ويمسح في الدنيا به وبذا الهر

وقد جاء في الأخبار مسخ روافض ** خنازير آووا للجبال وللقفر

وقد جاء حرق البعض فوق نعوشهم ** يصيحوك موتى بالنكال والحر

فيا راحم أمنحني وجمع أحبتي ** وأهلي رضاء منك يسعد في الحشر

وينقذنا من حرنا و تسعرت ** ويسكننا الفردوس في أرفع القصر

ويا رب عاملني بلطفك كي أرى ** جميع مرادي قد أتاني بلا عسر

بجاه أبي بكر الذي مذ طلبته ** وجدت مرامي جاء في السهر والجهر

وبالعز للفاروق يا راحم استجب ** دعائي ونجز ما دعوتك في شعري

ولا يزا ل رضوان المهمن مسبلا ** على حضرت الشيخين والسادة العشر

وجملة أصحاب النبي بجاههم ** أمتنا على التوحيد للبعض والنشر

وأزكي صلاة الله ثم سلامه ** على المصطفى الناهي عن الشرك بالرجز

كذلك على آل النبي وصحبه ** وأتباعهم ما كررت سورة الفجر

وقد كان دخولنا لمحل المومى إليه وقت المساء فأحضر لدينا ما تيسر من العشاء ثم أنا أجلنا النظر في ذلك المكان فوجدناه في غاية النضارة وكمال الإتقان فبالنسبة لأماكن تلك البلدة فسيح المدا وفيه فستقية ماء وبركة لا ينقطع ماؤها أبداً قد حوى على ربوع وإيوان معتبر وأشجار من الياسمين والليمون والبردقان ينجلي برونقها النظر ثم لما فرغنا من صلاة المغرب وقدت القناديل والشموع وورد علينا من المسلمين أفواج وجموع فأقبلوا على الأستاذ بقبلون راحاته ويلتمسون من إمداده وبركاته فلما حانت العشاء تقدمت أماماً وصليت بالناس إماماً ثم بعد رفع الأيدي بالدعاء المقرون بالحمد والشكر أمرنا حضرت

الأستاذ بقيام الذكر وكان ممن جاء للسلام علينا وحضر في الذكر تلك الساعة لدينا وقد حصل له بقدومنا السرور والابتهاج الأخ الأكرم السيد



(الصورة١٨) طرابلس القلعة – الصورة مطلع القرن٢٠م

الشيخ عبد القادر بن الحاج فاستأنسنا به غاية الإيناس وتخلف عندنا إلى أن لم يبق أحد من الناس و بتنا تلك الليلة في أتم سرور و أكمل صفاء وحبور حتى أصبح الصباح وصرح الليل بسره وباح وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الثامن والعشرين من شوال صلينا الفريضة ورفعنا الأيدي بالضراعة والابتهال ثم جلسنا في ذلك المكان المذكور ووردت علينا العامة والصدور فمن جملة من ورد الخلاصة الممنوح بالنظر والمدد السيد النسيب الفاضل و الجهبذي العامل الكامل من مد عليه رواق السادة الصوفية وترعرع في حجر طريقته البكرية ذو قلب سليم خاشع التقي الصالح الشيخ مصطفى ابن السيد الشيخ عبد القادر الرافعي وقد حضر معه أخوته الصالحون ومن لمنهج سلفهم الطاهر سالكون

فحصل بيننا وبينهم محاورات أدبية ومذاكرة في المسائل العلمية وواحد منهم قد غلب عليه الحب واختطفته يد الجذب صاحي سكران وباهت حيران فخلوت معه ساعة من الزمان وطلبت منه أن يسمعني شيئاً من القرآن فأسمعني عشراً ثم صمت وأبدى عذراً وعراه الخوف والوجل و افتض عرقاً من كثرة الحياء والخجل فحينئذٍ أخذت في موانسته وترقيت لمحادثته فالفيته رجلاً أعرض عن الدنيا الدنيه وأقبل على عبادة مولاه بالكليه كوكب الصلاح يسطع بين عينيه وأثر التقوى ظاهر عليه وبينما نحن في زمن مرغوب ومبتغى إذ دخل رجل من قبل المسلم يقال له السيد حسين آغا فقبل راحة الأستاذ المحدث وشرع بطريق التناجي مع محمد أفندي المقدم يتحدث ثم أعلن بأن جناب مصطفى آغا البربر حرر لوكيله بتوجيه ما يقتضي لحضرة الأستاذ مدة الإقامة إلى وقت السفر فأراد محمد أفندي الومى ليه أن يستعفي من ذلك ويعتذر فصرفناه عن مراده حذر أن يناله من الموى إليه ما يزعج ويكدر ثم إن هذا الرجل المنسوب للحاكم لم يزل ملازماً للخدمة في جميع اللوازم فبعد أن مدت مائدة الغذا وسد ثغر المجاعة ذهبنا في معية حضرة الأستاذ لصلاة الجمعة تلك الساعة فدخلنا لذلك الجامع الكبير الذي يسر له في تلك البلدة في السعة والطلاقة نظير ووجدنا العامة مع الخاصة فيه مجتمعة فاستمعنا الخطبة البهية وصلينا الجمعة ثم عدنا لسنى المقام ومررنا في طريقنا على الأسواق البديعة النظام ومتعنا الطرف في بديع هاتيك الزخارف والمباني ونزهنا الناظر في أنواع تلك الأمتعة والأواني فبعد إستقرارنا في ذلك المكان حضر الأخ النبيه ابن الحاج في الوقت و الأوان وأخبرنا أنه تشرف بأخذ الطريق القادرية عن شيخنا الأفندي شيخ السجادة من جميع مشايخ الطريق منقادة ولم يمكنه نشر بساط الطريق المذكور تلك المدة

لعدم معرفة أحد بلهجة هذا الذكر من أهل البلدة فإن أهل بلاد الساحل بالكلية لا يحسنون من الأذكار سوى ذكر الطريقة البكرية وقد رغب في افتتاح الذكر القادري بوجود جماعتنا المتقنين أصوله وفروعه وقواعده على عادتنا نبينها للغافلين عن هذا الطريق وتعليماً للذاكرين من هذا الفريق و استدعا منا الحضور والتمس الفتح والختم المشهور فحضرناه طمعاً في الثواب الجزيل ومراعاة لخاطر ذلك الخليل ثم عدنا لمحلنا في غاية الانشراح راجين من الله تعالى الفوز بالفلاح فبعد العشاء وصلاة المغرب أفتتحت الأغاني والإنشاد المطرب ولم نزل لخمرة الصفاء في احتساء حتى قامت صلاة العشاء فصلينا بمن حضر من السادة وبادرنا بالذكر على العادة فخص المكان بالناس ما بين عامي وفاضي ووجود أكياسٍ وبتنا تلك الليلة بمسرة وهنا وبلوغ مقصود ونيل منا إلى أن انكسفت شمس المصباح بظهور ضياء الصباح وهو صباح يوم السبت الحميد التاسع والعشرون من شوال السعيد دعانا الأخ ابن الحاج إلى الحمام الجديدة فدخلناها فإذا هي في حسن البناء والكلافة والزخارف وكثرة المياه فريدة وأحضر لنا الإحرامات المفرطة في النظافة الحد والسكر المذاب مع ماء الزهر وماء الورد ثم خرجنا حين صار العدد من الساعات الخمس فجاء لزيارة حضرة الأستاذ وكيل الحاكم علي آغا شمس فقبل أذيال سعادته ثم ذهب لمحل حكومته ثم حضر أبناء الطريق والعلماء وتجار البلدة والرؤساء فمن حضر من أبناء الطريق وتغذى بلبان الصلاح والتوفيق الذي أشراق محياه عن حالة يبني جناب حضرة السيد الشيخ عبد الفتاح الزعيم فتحادثنا معه وجدناه من أهل الفضل والعلم موشحاً بوشاح التواضع والحلم مجذوب الحضرة الإلهية ومسلوبها ومعتقد أهل البلدة ومحبوبها حتى أن الرجل منهم لشدة اعتقاده فيه ومحبته لا

يتحاشى دخوله على نسائه في غيبته ولم نخرج ذلك اليوم المبارك من المنزل لكثرة الواردين من الأحبة الذين بأنسهم كنا عن الكدر بمعزل واستمرينا بالحال في تلك الليلة على هذا المنوال فلما أصبح الصباح ونادى منادي الفلاح وذلك اليوم يوم الأحد الذي كمل به لشوال العدد حضر الأخ الأمجد الشيخ عبد القادر ابن الحاج ودعانا تلك الساعة لمكانه لأجل التسلي ونشاط المزاج وقد سبقت منه الدعوة ليلاً

فأجبناه بعد أن راجعنا حضرة الأستاذ واستأذناه فذهبنا صحبة الأستاذ في معية من بجنابه قد لاذ فأدخلنا إلى زاوية على باب داره منيره لكنها مع نضارتها في مقدار حجمها صغيره على بابها قصطل ماء جاري وفي ساحتها بركة ماء فايضها إلى بيت الخلاء ساري فلما حان وقت الغذا وأدخلنا لمكانه وأحضر طعاماً نفيساً على عدة ألوانه ثم عدنا لتلك الزاوية التي للنضارة والنزاهة حاوية وفي صحبتنا محمد أفندي المتقدم ذكره الفايح عرف مدحه ونشره فبينما نحن في بسط وطيب ذكر عابق إذ ورد علينا مفتي البلدة في السابق فلثم راحة الأستاذ وعن الإبطاء في السلام اعتذر وذلك أنه إلى اليوم حتى بلغه الخبر والحال أنه لم يك صادقاً في اعتذاره لكنه من شدة الحياء أفرغه في قا لب إنكاره والحامل له على عدم المبادرة بالتسليم عداوة بينه وبين محمد أفندي الموما إليه من قديم حتى منذ سبع سنين لم يجر بينهما مواصلة ولا زيارة وكذا القاضي الموجود هنالك مقتفى آثاره فاطلع حضرة الأستاذ من طريق الكشف على القضية وقصد زوال الضغاين من القلوب وصفاء النية فطلب من المفتي أن يزوره في بيته من غير تكلف وأمر محمد أفندي أن يكون في معيته من غير تخلف فبادر لأمره بالامتثال ونهض مسرعاً للذهاب مع سعادته في الحال فأخبرنا الأفندي حينئذ

بما بينهما من الشحناء وما انطوت عليه قلوبهما من العداوة والبغضاء فعجبنا من ذلك حيث لم يكن لنا على الواقعة اطلاع ولا جرى ذكرها لدينا ولا طرقت الأسماع لكن لا يخفى على ذي المعرفة والدراية أن الكشف عند أهل الله من أدنى مراتب الولاية فما بالك بمثل هذا الهمام الذي يتكلم على الخاطر ويخبر بالأمور الخفية قبل بروزها للظاهر ومن الجملة كنا نظن أن الرجل هو المفتي الآن فشافهنا بالخطاب في حضوره بأنه مفتي فيما غبر من الزمان فدخلنا لمكانه شربنا القهوة والشراب وارتفع بواسطة الأستاذ من البين الحجاب ثم أمر الأستاذ الأفندي والمفتي بطريق التقاضي أن يذهبا في معيته لزيارة القاضي فذهبنا في صحبته جملة إلى أن وصلنا لمكانه ودخلنا محله فتلقانا بالإجلال والتعظيم ونهج معنا من حيث الإكرام منهج المفتي القديم وبعد شرب الشراب والقهوة عدنا مع سعادته إلى محل الدعوة ثم دخل علينا رجل لطيف الذات حسن الشمائل والصفات يرفل في أثواب الزينة فسألنا عنه فإذا هو حاكم المينة فلثم راحة الأستاذ الإكرام وأقبل علينا بوجهه البشوش وسلم وفي معرض كلامه اللطيف استدعى نزول الأستاذ إلى المينة للنزهة وحيازة الشريف فاستشعرنا منه الإجابة فامتلأ من الطرب وجلس ساعة زمنية ثم ذهب ولما حضرت مائدة العشاء وزال عن عين المجاعة الغشاء عدنا لمحلنا الزاهي الباهي النفيس وإذا برجل حضر من أهل المينة يقال له الحاج عبد القادر علم الدين شيخ التجار والرئيس فقبل راحة حضرة الأستاذ المبجل والتفت مسلماً علينا بوجه بالبشر يتهلل ورغب أن نكون في ضيافته من الغد فصرحنا له بما سبق لاغة المينة من الوعد فأجاب بأن التشريف إلى المينة يحصل به كلا الأمرين ويجبر به الخاطر من الجانبين فلمس مقالته لبينا دعوته وليقض كل منا بالفرجة شهوته

فبتنا تلك الليلة في أكمل سرور وأتم بهجة وحبور إلى أن أصبحنا وعلى الفضل الجزيل عولنا وكان ذلك اليوم يوم الاثنين غرة ذي القعدة الذي شاهدنا من ليلته طالعه و سعده فلما مضى من طلوع الشمس نحو ساعة ركبنا وذهبنا في خدمة الأستاذ صحبة الجماعة إلى أن وصلنا إلى المينة بجانب البحر فنزل الحاكم وتلقانا وأصعدنا إلى ذلك القصر فشاهدنا الأبراج العالية والشخاتير الرايحة الغادية و وجدنا في المرسى مراكب عديدة وتفرجنا في الشاطئ على سفن يصطنعونها جديدة والظاهر أن ذا النفس القدسى العارف النابلسي لما حضر طرابلس كان ذلك زمن الربيع لما له من التعرض لذكر المبرح الأخطر في نظمه البديع حيث قال وهو المفرد في المقال :

المرجة الخضراء يا حسنها ** في بلدة تدعى باطرابلس

فزت بها لو شاع لي نسبة ** لها ولكن نسبتي نابلس

وأهلها وسط بساتينها ** بلابل في قفس الآبلس

وقال منحه الله أنفاس القدس أيضاً في مدح بلدة طرابلس :

هي الشام قطرا قدس الله أرضها ** وقد زاد فيها خير أنواع أنعام

طرابلسٌ منها بحسن إضافة ** إليها كما قالوا طرابُلُسُ الشام

ثم أنه شربنا عند آغة المينة القهوة و السكر وروحنا الروح و نزهنا الفؤاد والمنظر فجاء مضيفنا الحاج عبد القادر علم الدين فدعانا للغد وكذا جملة الحاضرين فذهبنا لمكانه رأينا المائدة ممدودة مشتملة على المآكل والحلويات التي من نفائس الأطعمة معدودة ثم بعد رفع المائدة وحمد الله تبارك وتعالى

على نعمة الزائدة تركنا حضرة الأستاذ في ذلك القصر ونزلنا للنزهة إلى ساحل البحر فتفرجنا على سباحة الدواب وعلى آلات المراكب من الصواري والأخشاب مستدلين بهذه المصنوعات على وحدانية هذا الصانع وعظيم قدرته الباهرة التي نور برهان نفوذها ساطع ورأينا الحوانيت والخانات مبنية على جانب هذا البحر المالح وما تشتهيه النفوس من الفواكه والأقوات والمصالح ثم لما حان وقت العصر صلينا الفريضة في جامعها المعتبر وأجلنا في بديع بنائه وحسن تركيبه النظر وصعدنا بعد ذلك لدى الأستاذ الأفخم والسيد السند الملاذ الأكرم شنفنا الأسماع بأصوات تلك الأغاني ومتعنا الطرف بمشاهدة تلك المغاني ثم مدت المائدة فرأيناها في الأنواع و الكلافة عن الأولى زائدة وكما أسدانا المضيف ذلك اليوم من المعروف والنيل شمل معروفة وبره لجميع الخيل ثم خرجنا من مكانه مسرورين ولفضله حامدين شاكرين وعدنا لمكاننا وبتنا تلك الليلة وجر علينا السرور فيها ذيله ثم لما لاح الصباح وحانت أويقات الاصطباح وكان ذلك اليوم يوم الثلاثا ثاني يوم من ذي القعدة الذي حبانا الله تعالى فيدبره ورفده وثبنا من النوم وصلينا جماعة بالقوم ثم بعد مضي ساعة من الزمان دعانا رفيع القدر والشان جناب محمد أفندي المذكور إلى حمام النور المشهور فذهبنا إليه فإذا هو حمام لطيف عذب الماء نقي نظيف مستجمع الشروط عند الحكما لا سيما بما انضم إلى من الطيب والقهوة والسكر المذاب الذي يطفي الظمأ ثم عدنا إلى المكان وتغدينا بما حضر من الألوان وفي ذلك اليوم أخرجنا محمد أفندي المذكور إلى المولوية وكان من قبل دعواه لنا على ذلك تصميم النية فسرنا في صحبة الأستاذ إلى أن أقبلنا على ذلك الوادي الرطيب والمرج الزاهي الخصيب فجلسنا في المحل المرتفع من تلك الأماكن الباهية المطل على المياه والرياض

الزاهية وفي ذلك المحل بركة من الماء لطيفة وأشجار الفواكه وعرايش العنب به مطيفة يجري إليه الماء من نهر هناك في ذيل الجبل يمر في الجهة العليا من التكية ثم يسري إلى أسفل وفي الوادي أنهار جارية بين البساتين ورياض الرياحين الغضة تشبه في صفاتها وبياضها سبايك الفضة وفيه طواحين على تلك الأنهار دائرة كان قلوبها نقط وهي عليها دايرة فلما استقر بنا مجلس الأنس وفاً الخاطر واطمأنت النفس دارت كؤوس الصفا على أصوات تلاحين المنشدين وانجلت عروس الأفراح بمسامرة الأخلاء والمحبين وانتعش الفؤاد بقطر ندا ذلك السرور وابتل صدى الفؤاد من نسمات تلك الزهور غيران تلك التكية خالية من الدراويش والمقابلة ومن منذ سنين خاوية على عروشها ذابلة وقد وصف هذا المكان بنظم فريد كعقد الجمان ذو القربا القدسي حضرت العارف النابلسي لما حلت فيه آثاره وأشرقت في أفقه أنواره فقد قال وهو جدير بالمقال :

مكان لطيف للدراويش يحتوي ** على نزه شتى ومنهله الرَّوي

أتينا إليه في الصباح تبركاً ** بمنظره الأبهى وساعدنا القوي

يمر النسيم الرطب بين غصونه ** فتحنو عليه كل وقت وتلتوي

سقى الله منه جنةً ذات بهجة ** إليها صراط فوق مرجتها سَوي

ألم تنظر الأنهار من تحتها جرت ** وأطيارها غنت لحونها بلا رَوي

طرابلُسُ الشام ازدهت وتفاخرت ** بتلك فيا طوبى لمن ثم ينزوي

ويشهد نورَ الصالحين بها ومن ** مناهلها تلك الشهية يرتوي

وكيف وأنوار المشايخ أشرقت ** بها وتلا التالون أسار مثوي

وله فيها من النظام ** ما يلوح بتمييزها عن الشام

إن في إطرابُلُسٍ ** كم أمور مستجادة

لم يكن في الشام مزها ** بحرها باب السعادة

وبساتين قريباتٌ ** لمن يبغى الرفادة

وعيون من مياهٍ ** تمنع الطرف رقاده

وزهور أينما ولّيت ** صادفت قلادة

وبيوت كلها من ** حجرٍ ذات صلادة

قيل عنها هي شام ** قلت شام وزيادة

ثم لما دخل وقت العصر المأنوس ورد الطعام محمولاً في الفروش على الروس فمدت السفرة الواسعة التي لأنواع من الطعام والحلويات جامعة فأكلنا وانشرحنا ثم بعد شرب القهوة سرحنا إلى أن أتينا لمحل إقامتنا وقد جاء المفتي سابقاً لزيارتنا فدعى حضرة الأستاذ لضيافته رغبة في شمول أنظاره وحصول بركته فكان لأجبته سمعيا ولدعوته ملبيا مطيعا وبتنا تلك الليلة إلى أن تنفس الصباح وأقبل يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة يرفل بأثواب النجاح فورد علينا السادة الأحباب والأخلاء والأصحاب ولم نزل على هذه الكيفية من الاجتماع وحصول ما تقر به العيون وتتلذذ به الأسماع فلما حضر الفطور وتفرق ذلك الجمهور فذهبنا لزيارة الزعبي المبرهن فيما سبق عن شأنه فلم يتيسر الاجتماع به في شريف مكانه فاجتمعنا بولده في الخلوة فأسقانا في مكانه القهوة ثم عدنا لموضع الأنس وأردنا المنام لترويح النفس وإذا بالأستاذ قد طلب زيارة قبور آباء الأفندي

وأجداده ودعانا لمصاحبته فبادرنا ممتثلين لأمره و مراده فخرج الأفندي يمشي أمامه حتى وصلنا إلى مقبرة شذاها لصلاح المدفونين فيها علامة فتقدم حينئذ وحده حتى وصل إليهم و وقف عندهم من غير واسطة أحد يدل عليهم فاستغرب هذا الأمر ذلك الحاضرون وقالوا أنا عن بيانهم وتمييزهم قاصرون ثم عدنا من طريق مظلل بأشجار البساتين يفوح فيه عرف شذاها تبك الأزهار و الرياحين فمررنا على النهر الجاري عند محل الدباغة ثم دخلنا الأسواق المزخرفة حتى وصلنا خان الصاغة فرحنا في تلك الأسواق الناظر ولم نزل سائرين حتى دخلنا لمكاننا مسرورين الخاطر ولما كاد أن يرخى الليل سجافه جاءنا الطلب لمكان الضيافة فذهبنا صحبة الأستاذ والجماعة وحضر القاضي وبقية المدعوين تلك الساعة فأجرينا في حضر الأستاذ بين الأفندي والمفتي كمال المصافاة وأحكمنا بينهما قواعد المحبة والموالاة ثم أحضرت سفرة العشاء فأكلنا ما قسمه الله بمسرة وصفاء ثم عدنا لمكاننا وجلسنا مع الأحباب على عادتنا فجاء حضرة ذي الوجه الأنور الحاج محمد أغا ابن ملك الأصفر واستدعى منا تشريف الأستاذ لضيافته ليحصل له الأنس والبركة في زيارته وقد كنا عزمنا على السفر فلأجل خاطره اقتضى أن نتأخر فبتنا تلك الليلة في مسرة ونظام ومحاورة ومباسطة في الكلام إلى أن أسفر الصبح و انغسل ببياض مائه عن وجه الليل سواد القبح وكان ذلك اليوم يوم الخميس الرابع من ذي القعدة الأنيس جلسنا بعد صلاة الصبح على العادة وحضر لدينا الكبراء والسادة ولم يزالوا ما بين وارد وصادر إلى قرب العصر فجاء الداعي المومى إليه و أصعدنا إلى بديع ذلك القصر المطل على الجناين والبساتين المعبق بروايح الثمار و الرياحين فأحضر لنا العنب الحلو الشهي و الدراقن العظيم الزهي و

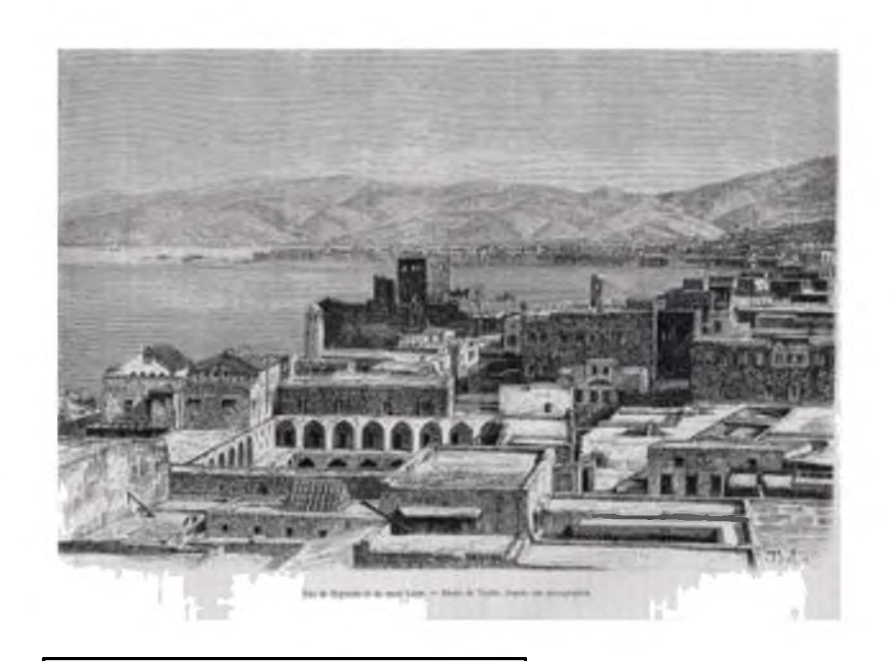
وجدنا عنده رجلاً جسمه إلى النحول صائر وحاله بين أمرين دائر أما قد غلب عليه الوله فهو مسلوب أو عرض له عارض غير ذلك فعلى عقله مغلوب لكن الذي يرجح الأول ويقضي بأنه الذي عليه المعول أنا أخبرنا أنه من بين فضل وصلاح و ولاية و إمناح وأن والده كان من أهل ولاية الله وقربه وما حل بولده المذكور فقد حل به ولا نظر لما يبديه من السب و الشتم لسانه فإن مثل هذا الموله لكثرة ما يرد عليه يضيق عنه جنانه ثم لما مدت السفرة فكانت كالبستان لما هي حاوية عليه من اختلاف الطعوم و الألوان فأكلنا على حسب الإمكان وعدنا لمكاننا بسرور و أمان وبتنا تلك الليلة في دوران كؤوس الصفا المترعة إلى أن انفجر صبح يوم الجمعة وكان ذلك اليوم اليوم الخامس من ذي القعدة صلينا فيه الفريضة ودعونا الله بزوال الكروب والشدة واستقمنا على العادة إلى وقت الصلاة ثم ذهبنا لصلاة الجمعة ونيل البر و الصلاة فحضرنا بعد الجمعة الذكر في الجامع الكبير واجتمع فيه الجم الغفير ثم دعانا لبيته من فاح نشره الأخ الأمجد الحاج محمد أغا المتقدم ذكره لأجل إلقاء عصى التعب وحصول الراحة وزوال السغب فذهبنا لمكان له غير السابق وشممنا نشر ريحة العابق و أحضر لنا الفواكه السنية وبلغنا من الأكل منها الأمنية وأمرنا حضرة الأستاذ بإقامة ذكر تلك الساعة في ذلك المكان فامتثلنا أمره نحن وبقية الأخوان ثم عدنا لمحلنا المعمور بأنواع المسرة والحبور وقد عزمنا في صباح يوم السبت على الرحيل وطلبنا من حضرة الأفندي أن يتكرم علينا من طرفه بدليل وبتنا تلك الليلة إلى أن ارتفع جفن الليل عن عين صباحه وصاح ديك الفجر ببشائر الطلوع خافقاً بجناحه وكان ذلك اليوم يوم السبت المبارك سادس ذي القعدة الذي فيه الرحيل دارك فقمنا نمسح أثر المنام و نواهب الدواب بقصد السفر

لجهة المرام وقد اجتمع لوداعنا الأحباب فمنهم من خرج معنا ومنهم من اقتصر في الوداع من الباب فركبنا وسرنا إلى أن وصلنا الجبانة فودعنا بعض من خرج معنا وقد حركنا بالفراق أشجانه والبعض الآخر سار معنا إلى (القلمون) فمن جملتهم محمد أفندي المقم والسادة الرافعيون وكذا الشيخ الفستقي وأخو البربر وبنو عمه أولاد الحاج سلكوا معنا في الوداع هذه السبيل وهذا المنهاج فلم نزل سائرين صحبتهم حتى وصلنا إلى (القلمون) وهي بفتح القاف واللام و حكى في اللام أيضاً السكون قرية على شاطئ البحر مبنية بينها وبين طرابلس نحو ساعتين من الساعات الزمانية فتلقانا شيخها بالإجلال والاحتشام وأنزلنا على صفة ملاصقة للبحر في فناء ذلك المقام وقبل أيدي حضرة الأستاذ المهاب وبادرنا بشرب القهوة والسكر المذاب ثم أدخلنا لمكانه المعمور وأحضر لنا مائدة الفطور فأكلنا ما قدره الله تعالى ويسر ثم شربنا القهوة وقدمنا المطي للسفر ففاضت أعين الأحبة بالدموع وصمم كل منهم لكثرة هيجانه على عدم الرجوع فكلما ودعنا واحداً جدّ أمامنا في المسير فإذا عرضنا عليه الرجوع يقول بقى من السير بسير فحينئذ تقاضينا عليهم في الرجوع فودعناهم وقد أوقدت نار فراقهم في الأحشاء و الضلوع فرجع في الحال ذلك الفريق ولم يصحبنا منهم سوى تابع الأفندي لدلالة الطريق وكنا كلما مررنا في الطريق على دكان ينزل حضرة الأستاذ والرفقاء فيه لأجل الراحة ساعة من الزمان ثم أنا لم نزل سائرين حتى بدا حاجب الليل و أقبلنا على قرية يقال لها جبيل ولم ننزل داخل القرية خوف الثقلة و الازدحام بل على شاطئ البحر في فناء مقام الخضر عليه السلام فأكلنا ما فضل معنا من الزاد وبتنا تلك الليلة أرقاً من غير رقاد حذران ينالنا من البرد و الوخم ما يفضي إلى الوصب والسقم ...))

توجههم إلى بيروت:

فلما انقضى سواد الليل الحالك و تبينت السبيل للسالك وكان ذلك اليوم يوم الأحد السابع من ذي القعدة صلينا الصبح وسرنا طالبين من الله إسعافه ورفده فلم نزل سائرين حتى وصلنا إلى(نهر الكلب) نزلنا بجانبه للغذاء و راحة الجسم والقلب وهو نهر عظيم وماءه العذب الذلال يشفي السقيم يجري بين جبلين ويصب في البحر المالح فيقابل بوجهه البشوش ذلك الوجه الكالح وإنما سمي هذا النهر العظيم بهذا الاسم لأن الفرنج فيما غبر من الزمان صنعوا صورة كلب النعت والرسم ثم وضعوا له رصداً بحيث إذا جاء العدو ينبح فيسمعون النباح فيتأهبون لحربه و يتبادرون إليه بأنواع السلاح فعلى أيدي بعض الناس قد انكسر ثم ألقيت تلك الصورة في ذلك النهر فأضيف من يومئذ إليه نقلته عم العارف النابلسي والتعويل في ذلك عليه ثم ركبنا وصعدنا في عقبة كؤود وبذلنا في التوقي من السقوط المجهود وفي هذه الحالة سبق بعض الرفقة إلى الدليل ولم يتخلف معنا سوى حضرة الأستاذ الجليل فأدى بنا المسير إلى إعلاء سبيلين مختلفين ولم يظهر لنا بطريق الرجحان سلوك الرفقة أي الجهتين فسلكنا أحديهما على جهة التعسف وقصدناها بطريق التكلف لعنا نطلع عليهم أو نصادف من يرشدنا إليهم فلم نزل نقدم رجلاً ونؤخر أخرى حتى أشرفنا عليهم و أحطنا بهم خبراً فوجدناهم بقرب حصن تحت شجرة نازلين و لوفودنا عليهم منتظرين فحمدناه تعالى على هداية الطريق وجمع شمل التفريق وحينئذ سرنا مجتمعين ولأثر ذلك الدليل متقفين ولما دنونا من(محروسة بيروت)أرسلنا تابع الأفندي أمامنا لتوجيه بيت من البيوت فوصلنا إليها سالمين بعناية القدر المقتدر وإذا برجل من قبل الحاكم لقدومنا منتظر فمشى أمامنا إلى أن أنزلنا في سراية

عظيمة لكن من السكن والفرش خالية عديمة غيراتها بالسياسة والبوابين محفوظة مطبوطه وخيل الحاكم إذ ذاك فيها مربوطة فأدخلوا خيل الحاكم إلى مكان من داخلها و وضعوا جميع ما معنا من الدواب في محلها ثم أحضروا لنا ما تيسر من الفرش والزيت والشمع وظروفاً قد ملئت من العين النبع مع أنه في تلك السراية بركة كبيرة ولكن يجب إليها الماء بالقرب والروايا الشهيرة وعلى ما شاهدناه أن تلك البلدة ليس لها سوى ماء عين جاري إلى بركة المسجد الجامع بطريق التوادي وفيها آبار نابعة في البيوت و الأماكن ينتفع بها الخاص و العام و الظاعن و الساكن وهي ذات بساتين ناضرة و رياض رياحين زاهية عاطرة تسقى بنهر يجر عاليها في صفائه كالزلال وفي عذوبته كطعم السلسال والظاهر أن ذلك النهر إلى البلد متعذر الدخول ما هو حائل بينهما من كثب و تلول ولقد رأينا في منزلنا الذي نزلناه شجر الموز و كثيراً ما سمعت به ورغبت في معرفته ولم يحصل لي به الفوز فالحق أنه شجر عجيب ذو شكل غريب لطيف الشبق بديع الورق شديد الخضرة ناعم و ينوف طول الورقة على الإنسان القائم وله ثمر يشبه الخيار المتوسط في اللون و الحجم ويفارقه في العذوبة و الطعم لكن قد أدركناه في غير أوانه وأخبرنا أن له عذوبة قليلة في وقته وأبانه ومع ذلك لا بد من مزجه بالسكر عند



الصورة١٩)بيروت – رسم١٨٨٠م

الأكل كما أخبرنا بذلك أهل النقل وبعد حصول الراحة جاء رسول المسلم وأخبر بمجيئه لأجل أن يقبل أذيال الأستاذ ويسلم فدخل بالاحتشام والأدب فقبل الراحة الشريفة وجلس جثياً على الركب فتلقاه الأستاذ بالبشاشة والإكرام فبعد مضي زمن يسير نهض مسرعاً لتوجيه الطعام فأمره الأستاذ بعدم إحضاره لديه وإبقاءه مكانه وذهبنا إليه فكان قصد بذهابه محلة



الصورة٢٠ رسم ميناء ببروت عام١٨٣٦م للرحالة بارتليت



الصورة٢١بيروت والجبل- الرسم للرحالة بارتليت١٨٣٦م

خفة المؤنة وعدم الثقلة فكان ذلك في حقنا هو الصواب لما ترتب عليه من الفرجة على المينة و المراكب و العواميد و الأطواب وهي مينة من بين المين فريدة تتوارد عليها المراكب من أقاليم عديدة فحركتها من سائر الكيفيات لا يعتريها فتور ولا يخلو يوم من ورود مركب أو شختور ولقد مدح بيروت العارف النابلسي في الرحلة الحجازية ونوه بشأنها وشأن أهلها على حسب ما تقتضيه شيمه الزكية فقال فيهم من النظام ما قصرت عنه السنة النظام :

بيروت قد حرست بعين عناية ** من ربها في حسنها المعروف

بلد أمين لا يشان بريبة ** ركن العفاف و ملجأ الملهوف

و بها البساتين التي أشجارها ** ركعت مع النسمات ذات صفوف

بالطيب تنفح كلما هب الصبا ** حسن لإ بصار و طيب أنوف

و الموز كالقوم الدعاة لربهم ** مدت أصابع كفها الموصوف

خضراء ملساء الذراع لطيفة ** في ساقها خرجت عن المألوف

و بها ثمار قد تدلت حلوة ** في وسط أغلفة أتت بصنوف

فكأنهن أصابع مضمومة ** زادت على خمس بغير كفوف

هو ظاهر في كل فضل دائما ** يا حسن رونق قطفه المقطوف

فاق الثمار جميعها بلطافة ** و دوام عهد ليس بالمأسوف

وقال أيضاً أفاض الله مدده فيضا

كأنما بيروت في حسنها ** وقد بدت كاملة في النعوت

منظومة قد شاقني بحرها المدى ** دو الأبيات منها البيوت

وإلا فما وجدنا فيها ما يمدح إلا الأمن للداخل وطيب هواها بالنسبة لبقية الساحل وكذا الموز فإنه بحسن لطافته وشكله الشهير في القطر الحلبي معدوم النظير وأما داخل بيوت أهلها لم نحل حول حماة ولا فاز أحد منا مشاهدته و رؤياه حتى أن أهلها لم يأووا إلينا ولا أقبلوا للسلام علينا سوى حضرة مفتيها الذي زهت به فخارا وتيها فإنه حضر لتقبيل يدي الأستاذ ليكون له على شيء من بركاته استحواذ و رغبة في معرفته وتداركاً لما فرط منه من التقصير في جانب سعادته وهو أن الرسول الذي أرسلناه إليه واجهه وأخبره بتشريف الأستاذ لديه والتمس له منه مكاناً يليق بجنابه فأحاله إلى الحاكم بصريح خطابه فمن شدة نباهته وذكائه وفرط فطنته وذكائه مع كونه ممن لا ينكر علمه ولا يجهل فعله عملاً بقول القائل ما لا يدرك كله لا يترك كله فجلس بين يدي الأستاذ بخضوع و وقار واحتشام و خشوع وكأنما على رأسه الطير ولم يتعد نظره إلى

الغير فجرى بيننا وبينه أبحاث علمية ومسائل أصولية فألفيناه عالماً نحريرا وفاضلاً كبيراً ذا سمت شريف وهيكل لطيف نافذ الكلمة في تلك الديار وله بين ظهرانيهم جاه وشعار فلبث ساعة من الزمان فطلب حضرة الأستاذ زيارة صحبة الأخوان فحالاً سير إلى مكانه تلامذته وخدامه ونهض الأستاذ بجماعته للزيارة المذكورة والمفتي يمشي أمامه فدخلنا لمكانه المأنوس وتشرفنا بجنابه المحروس وجلسنا حتى دارت فناجين القهوة وكؤوس السكر المذاب ثم طلبنا الخروج فشيعنا إلى خارج الباب وألحقنا بجزء من التين والقهوة و السكر تداركاً لما مضى وجبراً لما قد قصر والظاهر أن أهل تلك البلدة كانوا في عصر حضرة النابلسي قدس سره على هذه الكيفية وأما في هذا الوقت ما انسلخ منهم ذلك الوصف وتغير بالكلية ومع ذلك بمنه تعالى وبركة هذا العزيز لم ينلنا حطة مقام بل حصل لنا من المتسلم نهاية الأغرار و الإكرام وما هو إلا بنظره و مدده ثم لنرجع لما كنا بصدده فبعد بلوغ الفرجة على المينة والبحر الباهر أحضرت مائدة الطعام الفاخر فأكلنا الطعام المقسوم وعدنا لمحلنا المعلوم فبينما نحن جلوس مع الرفقاء و الإخوان وإذا بالمتسلم قد دخل وجلس بين يدي الأستاذ في الإيوان مستدراً فيوضات فيض إمداده وإحسانه ثم بعد العشاء ذهب لمكانه فبتنا تلك الليلة البهية على أحسن حالة مرضية إلى أن استوفى الليل حده وأقبل صباح يوم الاثنين الثامن من شهر ذي القعدة تقاعدنا عن السفر ذلك اليوم و وطنا أنفسنا فيه على الراحة مع القوم فجاء لزيارة حضرت الأستاذ رجل من الأئمة الأعلام والعلماء والصلحاء الأجلاء و العظام صاحب فضل وتحقيق وقدم راسخ في الطريق قد اشتهر بالشيخ أحمد المسيري فحمدت الله تعالى على مصادفتي له في سفري ومسيري فسم على الأستاذ وقبل يديه ثم تنحى عنه

وجثى على ركبتيه فجرى بيننا وبينه مسائل علمية وكلمات في بيان شأن السادة الصوفية وقلت له في معرض الكلام بحسب ما اقتضاه المقام أني قد تعشقتكم بالسماع لما اشتهر من مآثركم وفضلكم بين أهل هذه الديار وذاع ولا يخفى على من رفع الله عن قلبه حجاب الغين إن الأذن في بعض الأحيان تعشق قبل العين فأجاب متدثراً بلباس ستر حاله وهضما للنفس في مقاله أن كل ما بلغك عني لا تلتفت إليه وما شاع بين الناس لا تحول عليه غير أن من أحب شخصاً يثني عليه و يلهج بذكراه وأني أنا من قبيل سماعك بالمعيدي خبر من أن تراه فحصل لنا به التبرك التام والتشرف الشامل العام...))

توجههم إلى الشام:

وبتنا تلك الليلة على أكمل حال عازمين على السفر و الترحال فلما طلع الفجر وزال دجى الليل صلينا الفريضة وبادرنا بتهيئة الخيل وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء التاسع من ذي القعدة المبارك ركبنا فيه بمعونة الله تعالى وتبارك وقد أرجعنا في ذلك الوقت تابع الأفندي المقدم الذي نشر ثناه وعرف ذكره متقدم بعد أن أكرمناه على حسب ما تيسر بما لا ينبغي أن يذكر ولم نزل سائرين بين تلك الجبال الشامخات و الأودية العميقة المنحدرات مع تصاعد البخار من الأودية و الرواب وحجاب الشمس بظلمة السحاب بحيث أنا دخلنا في تلك الظلمة الغسيقة ولم يبصر أحد منا زميله و رفيقه وفي تلك الحال أدى بنا المسير إلى طريق عرضه يزيد عن الذراع بيسير وجانبه الواحد في غاية الارتفاع والجانب الآخر لا يدرك منه القاع فسلكناه بالمعونة الربانية وخرجنا منه بالوقاية الصمدانية إلى أن وصلنا إلى دكان عامر قد حوى على ما يحتاجه المسافر

فنزلنا بجانبه تحت ظل شجرات وبعد الغذاء وشرب القهوة ملأنا من بئر عذب هناك المطرات وقد انجلت السماء من سحبها وأشرقت الأرض بنور ربها فتبدل ظلام القلب نورا وامتلأ الفؤاد بهجة وسرورا ثم ركبنا وسرنا وعلى الله الكريم توكلنا إلى أن وصلنا إلى(خان مراد) فوجدنا فيه من عليق الدواب وغيره ما يراد فبتنا فيه تلك الليلة الشديدة البرد وتحملنا من المشقة ما يزيد عن الطاقة والحد إلى أن لاح صبح يوم الأربعاء عاشر ذي الحجة الذي بالحرمة شهر هاجتنا إلى السفر حمائم الأشواق فوثبنا إلى ارتشاف كؤوس المسير وحثتنا جواد العزم في قطع بالإسراع حتى وصلنا بالسلامة إلى مبدأ سهل البقاع وجدنا فيه حانوتاً كما جرت به في تلك الأماكن العادة من وجود المسافر فيه زاده ومراده وقد سبق منا البعض للبيتوتة في ذلك المكان واستقام فيه إلى أن قدمنا عليه مع بقية الأخوان فنزلنا في ذلك المكان أفطرنا ثم ركبنا و ألقينا الأعنة للدواب وفي ذلك السهل سرنا ورأينا أراضي البقاع شبيهة عندنا بالروج وزائدة عليه بماء العيون والأنهر الجارية في تلك المروج ثم مررنا على قرية البقاع وجاوزناها وشاهدنا نهراً عظيماً حذاها وله جسر رصين متين بقناطر من الحجارة اللطيفة التكوين فمررنا فوقه وسرنا بالراحة والإيناس إلى أن وصلنا إلى(قرية الديماس) وهي على نحو خمس ساعات من الشام فبتنا فيها ممنونين بالإعزاز والإكرام إلى أن لاح الصباح ونادى مؤذن الفلاح وكان ذلك اليوم يوم الخميس الحادي عشر من ذي القعدة الأنيس صلينا الفريضة وهيئنا الخيل للرحيل وبعد استيعاب الحوايج سلكنا



الصورة٢٢–دمشق من الجبل– الرسم للرحالة بارتليت١٨٣٦م

جادة السبيل وقد حصل لنا الفرح التام بالقدوم على محروسة الشام ولما جاوزنا نصف الطريق افترق منا فريق لأجل أن يهيئ لنا منزلاً ويعود بالخبر مقبلا فأخذوا أمامنا في المسير ثم اقتفينا أثرهم بيسير إلى أن أشرفنا على الشام ذات الثغر البسام فجدير بأنها جنة مشام لمن شم وشام إلى أن وصلنا إلى (قرية المزة) صحبة الأستاذ الأكرم والرفقاء الأعزة فقرأنا الفاتحة لمن كان جبريل يأتي في صورته حضرة الرسول النبي سيدنا ومولانا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي ثم لسائر أولياء تلك البقعة الشريفة والتمسنا من مدادهم وبركاتهم المنيفة ثم دخلنا بين هاتيك البساتين واستنشقنا عرف تلك الرياحين ونزلنا على ساقية ماء في مفرق الدروب ننتظر عود الرفقة ببلوغ المطلوب وبعد أن شربنا القهوة و وجدنا الراحة وشممنا عرق تلك النسائم الفياحة أقعدنا ظهور تلك الخيل المسروجة وسلكنا الطريق الموصل إلى باب السريجة فإذا بجماعتنا

مقبلون علينا ومعهم آخرون من البيك المحترم مرسلون إلينا فنزلوا عن الدواب وقبلوا راحة ذلك الجناب فطفقوا يمشون بين يديه والخليقة من أهل الشام يتواردون عليه إلى أن مررنا بهاتيك الأسواق التي أذعن لمحاسنها أهل الخلاف و الوفاق فبينما نحن في دهش من تلك الزخارف وتعجب من هاتيك الطرايف إذ بدرة صدفة الوزارة وتاج السيادة والسياسة و الإمارة عميد المعالي وابن عميدها وما لك أزمة المفاخر طريفها وتليدها كريم الأخلاق والشيم كثير الحلم والعفو و الكرم أحمد الذات المصوغة صوغ التبر محمود الصفات السليمة من الخيلاء و الكبر حايز رتبتي السيف و القلم فذلكة التدريس في بلد الإمام الأعظم حضرة الحاج أحمد بيك ابن الوزير الخطير الحاج عبد الله باشا عظم زاده منحه الله السعادة ومن الحيز والإقبال قد خرج لاستقبال حضرة الأستاذ بالخدم و الحشم و المماليك واللواذ فقبل راحة الأستاذ الأكرم وأقبل علينا بوجهه البشوش وسلم ثم لم يزل راكب أمام الأستاذ إلى أن وصلنا لبابه فأنزل الأستاذ بذاته وأدخلنا في صحبته إلى فسيح رحابه فأجلسنا في مجلس أنسه وباشر خدمة الأستاذ في معية خدمة بنفسه وقابلنا بالقبول والإقبال وعاملنا بالاحتشام و الإجلال رقى الله به المراتب السنية الفاخرة ورفع رايات مجده في الدنيا و الآخرة ثم أمر بإحضار القهوة والشراب فشربنا مع جملة الحاضرين من الرفقاء و الأحباب فتركنا الأستاذ في تلك القاعة التي ليس لها مثال المزينة بأنواع التجسيم الذي لم يوجد شكل على نسقه بين الأشكال وخرجنا منها إلى التخوت العظيمة الموضوعة في صحن ذلك المكان ومتعنا الطرف في تلك الربوع والقصور المشيدة البنيان وتأملنا تلك البحرة المثمنة العديمة النظير في الأجناس وما يلقى فيها من الماء الزلال الخارج من أفواه السباع النحاس ونزهنا النفوس في ملاحظة ذلك المكان

الواسع وأرضه المفروشة بالحجر المرمر الملون اللامع لاسيما ما حوى عليه من شجر الليمون و البردقان و الكباد الذي تنتعش بطيبه الأرواح و الأكباد فبينما نحن على هذا الحال من النشاط الكيفية وإذا بالأستاذ خارج لزيارة الصالحية فاقتضى أن نذهب في معيته حرصاً على شهامته وكمال حرمته ورغبة في التشرف بزيارة من حبهما آخذ بمجامع القلوب وشد الرحال إليهما أمر مندوب ومطلوب حضرة الحاتمي خاتم الولاية والعارف النابلسي المحفوف بالمدد والعناية مع ما ينضم إلى ذلك من زيارة الصالحين والتملي بمشاهدة أولاد الشيخ الأعزة المحبين فبادرنا لركوب الدواب على الأثر وسرنا صحبته مع جناب البيك ومن حضر ولقد شاهدنا من حضرة الأستاذ في المسير أحوالاً في قالب التعجب تسكب منها أنه ينزل عن مركوبه في ثلاثة مواطن يمشي خطوات ثم يركب فبحثنا عن المواطن التي بسببها لمشقة النزول تحمل فأخبرنا أنها حاوية على أولياء عظام وسادات كمل ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى(الصالحية) وشاهدنا تلك الأماكن والبساتين البهية فبدا حضرة الأستاذ بمدينة العلم وباب الفتوح والحلم غصن روضة الكمال وزهر حديقة الجمال ركن أهل التحقيق على التحقيق وعين أعيان أهل التوفيق والتدقيق دولة محي الدين الظاهرة في آخر العصر التي عم هطال وبل فضائلها وفواضلها المشرق والمغرب والجنوب والحجاز ومصر صاحب المقام الأصفى والمورد العذب الأوفى ذي النفس القدسى حضرة سيدنا العارف النابلسي قدس الله تعالى سره وأعلى في عليين مقره ومدنا بمدده الوافي وسقانا من منهله الصافي فنزلنا عن الدواب ودخلنا إلى حضرة ذلك الجناب وشاهدنا ذلك المقام الزاهي بحلل نفائس جماله المأنس بإبراء مهابته وجلاله فاسأل من كوثر فيوضات مدده في أراضي قلوبنا المجدبة

ما أضحت به مغدقة مخضلة مخصبه ثم هبت نفحات كرمه وعطفه بنسائم رقته ولطفه فحركت غواني شجوها في القلوب أوتارا و زمورا و أدارت علينا ندمان حانته من صهباء محته خمورا فسكرنا برحيق وصاله وهمنا في دير دلاله ثم قرأنا لحضرته الشريفة الفاتحة وخرجنا من مقامه والتجارة إن شاء الله تعالى بزيارته رابحة فذهبنا لزيارة من طافت بكعبة ذاته أرواح الكاملين ولثمت أركان معارفه أشباح السالكين و وقفت بعرفات قربه رجال الأعراف واقتبست من نور تدبير روحه الأوضاع و الأشراف صاحب المقامات الإلهية والفتوحات المكية الكبريت العزيز الأحمر حضرة الشيخ الأكبر القاصم لظهور المنكرين سيدنا وأستاذنا الشيخ محي الدين قدس الله روحه ونور ضريحة ومدنا بإمداداته ونفعنا بعلومه وبركاته فدخلنا لمزاره بالتذلل والخضوع وكمال الحضور والخشوع وهو مكان مبني تحت الأرض يزيد طوله زيادة جزئية عن العرض سقفه وجدرانه بالحجر مبنية وبالسرجين و النورة مطلية ومن تلقاء وجهه صفة واسعة مرتفعة قد زينت بالتجاسيم المنوعة ولذلك المكان شباك يطل على الجنينة وضريحة الشريف ملاصق للصفة بينه وبين الجدار القبلي ثلاثة أذرع بالقرينة وعليه قفص من المعادن معمول وعلى صندوق قبره ستر تحار فيه العقول ورأينا كوكب الريبة والجلال في سماء تلك الحضرة طالعاً وسنا الوقار و الجمال في أفلاكها ساطعاً وبجانب قبره قبر ولده الشيخ سعد الدين صاحب ديوان الغزل كما نبه عليه حضرة النابلسي شيخ العارفين والقبر الثاني من تلامذته وبقية القبور من بني الزكى القاضي مع أقاربه وأخوته فقرأنا الفاتحة الشريفة لحضرته وأعطينا ما تيسر من الصدقة لسدنته ثم قرأنا فاتحة لبقية القبور وخرجنا من مقامه فائزين

إن شاء الله تعالى ثم عدنا لتكية صاحب المقام السني حضرة الشيخ عبد الغني فاجتمعنا بأولاده السادة الكرام...))



(الصورة٢٣) قافلة تتوجه إلى دمشق- الصورة منتصف القرن١٩م	(الصورة٢٤) فافلة تحط قرب دمشق –رسم لرحالة اوروبي



وصولهم إلى الشام/دمشق:

ثم ركبنا صحبة البك المحترم وأتينا إلى الشام فحين وصولنا إلى مكان حضرة البيك ذي المآثر مدت مائدة الطعام العظيم الفاخر ثم أن حضرة المومى إليه فدعين لكل منا مكاناً على حدته إجلالاً لنا وعملاً بمقتضى شأنه وشهامته فبتنا تلك الليلة في مسرة وأفراح وزالت مشقة السفر بالسكون والارتياح فلما أصبح الصباح وأضاء نوره ولاح وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الثاني عشر ذي القعدة الذي فيه الفضائل مجمعة أقبل المسلمون من السادات الأماثل و الأعيان الأكابر و العلماء الأفاضل فمن جملتهم عمدة المدرسين وطراز حيلة آل سيد المرسلين من جميع المحاسن والكمالات إليه منقادة جناب السيد سعيد أفندي عجلاني زاده فجلسنا معه بعد سلامة حصة يسيرة وتملينا بمشاهدة طلعته المنيرة فأزحنا عن مخدرات الحديث اللثام وتجاذبنا معه أطراق الكلام فوجدناه قد أفرغ في قالب الظرافة وصيغ من محاسن الآداب واللطافة ومنهم العالم الفاضل و الجهبذي الكامل الفهامة الأديب و اللوذعي الأديب من تفاخرت به الشغر و ادلب و حماة ومعرة النعمان وتغايرن عليه وتجاذب كل بلد مزمن نسبته إليه بأطراف البنان فجرى الاتفاق لزوال الشقاق أن ينسب في بعض الأحيان لكل على الإنفراد من هذه البلدان وما هو إلا لصلاحه الموجب لذلك والمؤدى إلا فهو الحب السيد الشيخ عبد الرحمن أفندي فشمنا منه صفو الود القديم وشممنا روح الأنس والعهد المستقيم وتمتعنا بشريف رؤياه وشفينا الغليل من طيب حديثه ورياه ولم يزل بعد ذلك يتردد إلينا في الصباح والعشية نتسلى معه في إيراد الفرائد الأدبية والمسائل العلمية مصحوباً بولده الخلاصة الظاهر السيد الشيخ عبد القادر ثم بعد الفراغ من مائدة الغدا نزلنا للجامع لصلاة الظهر أذاً فصلينا

الفريضة المقصودة ثم ذهبنا لزيارة صاحب الحضرة المشهودة ذي المقام السامي والقدر الرفيع النامي البني المكرم والرسول المحترم من كل لسان القلم عن إحصاء محاسن ذاته الشريفة وجفت أفواه المحابر عن حصر معشار عشر صفاته المنيفة كيف لا وقد وصفه مولاه بمحامد ومحاسن كان بها حرياً بعد أن شرفه بخطاب يا يحيى خذ الكتاب بقوة وأتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبراً بوالديه ولم يكن جبارا شقيا وحياة في محكم الكتاب تحية شاملة للحياة والممات والبعث لم يحيى بها ملكا ولا أنسيا فقال عز قائلا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وعلى سائر رسل الله والأنبياء الكرام فوقفنا لدى حضرته الشريفة بتذلل وخضوع وقرأنا له الفاتحة باستكانة وخشوع وعرانا هيبة ودهشة مع تغير حيال وكدنا أن لا نستمسك لما وقع في القلوب من العظمة والجلال وقد أخبرنا أن رأسه الشريف في الجامع الأموي في سفط تحت عمود وباقي بدنه في قرية سبطية من أرض نابلس على ما هو المعهود فقد ذكر ابن الحواري في كتابه الإشارات إلى أماكن الزيارات عن زيد ابن واقد ذي القول الصدق أنه كان موكلاً على العمال في بناء جامع دمشق وقد وجد مغارة فأخبر بها الوليد فلما كان الليل وافي وبين يديه الشمع للاطلاع على هذا الحادث الجديد فنزل فيها فإذا هي موضع ثلاثة أذرع قد وضع فيه صندوق ففتحه فوجد فيها سفطاً في راس سيدنا ومولانا يحيى الحصود الصدوق فحالاً أرجعه مكانه ورده وأمر أن يجعل العمود الذي فوقه مغايراً لبقية الأعمدة فوضعوا عليه عموداً رأسه سفط من الحجر إشارة إلى السفط الذي فيه الرأس الشريف الأنور ثم رأينا تجاهه حجراً في حائط القبلة من الرخام يقال أنه مقام الخضر عليه السلام فذهبنا إليه وقرأنا الفاتحة

الشريفة والتمسنا من بركاته المنيفة ثم ترددنا في حرم ذلك الجامع الذي ليس له في سعته وحسن تركيبه مضارع تدهش العقول في بديع بهائه واتساعه و تحار الأبصار في عظيم بنائه وارتفاعه مع ما حوى من العواميد العظيمة والأخشاب و المدود الغليظة الجسيمة لا سيما موقع البحرة التي في الحرم لدى الباب فإن المتطهر منها في زمن الشتاء تنحية بلل الثياب وكذا البئر المعين من الماء الصافي العذب الذي يزيل في وقت الحجير ظماء الفؤاد والقلب ثم متعنا النظر في محاسن المنبر والسدة والمحراب وشاهدنا من الخرائب ما يقضى بالعجب العجاب خصوصاً إفراط طول أخشاب سقف ذلك المحل مع بعد المسافة وحسن رونقها وبديع منظرها المسكوب في قالب الظرافة وبعد ذلك خرجنا إلى صحنه الواسع الفنا العالي البنا وتمشينا إلى القبة التي تجاه المحيا في الجهة الشرقية التي هي على ما قيل أنها مجلس وعظ رابعة العدوية فاستظلينا بظلها وتبركنا بشريف محلها وقرأنا لحضرتها الفاتحة ودعونا الله تعالى بالدعوات الصالحة ثم خرجنا من ذلك الجامع لدى حضرة الأستاذ ذي النور الساطع فاستقمنا إلى قرب المغيب في أنواع التسلي مع كل خليل وحبيب فحضرت مائدة العشاء الحاوية على ما تختاره النفوس وتشاء فأكلنا ما قسم الله تعالى ويسر ثم نزلنا لصلاة المغرب في الجامع الأموي الأنور فصلينا الفريضة وحضرنا الدروس فارتاحت بذلك الأجسام والنفوس ثم عدنا إلى شريف المكان وتواردت علينا الأحبة والخلان فتباسطنا معهم في أطايب الكلام واقتطفنا من جنى مفاكهتهم ما يفي بالمرام وصلينا العشاء بأولئك الوارد ودعونا الله تعالى عقب قراءة الأوراد وشرعنا في الذكر بأمر حضرة الأستاذ الأفخم وفزنا من الله تعالى الأجر والمغنم وجلسنا نتجاذب أذيال المباحث العلمية ونتناشد لطائف الأشعار

الأدبية إلى أن انفصم نظام المجلس وانطوى بساط ذلك الجمع المونس صعدنا في معارج الرواق الممدود ودخلنا لذلك القصر المشيد المعهود الذي رسم لنا به من لم نزل في فسيح رحابه و وريف ظلال معروفه وعلى جنابة في عيش هني وقد رسنى تصافحنا العشيات و البكور بكفوف الأفراح والسرور ثبت الله تعالى على التوفيق أقدامه ودفع دعائم عزه وأعلا مقامه وحفظ له نير فلك المجد وفذلكة وفتر السيادة والسعد نجله النبيل الأديب جناب خليل بيك الأديب وسلاه به عمن سلف وجعله لجنابه خير خلف فلما شق الصبح غلالة الظلماء وانحلت بهج كواكب الجوزاء استيقظنا من سنة النوم وصلينا الفريضة بالقوم وكان ذلك اليوم يوم السبت المأنوس الثالث عشر ذي القعدة الذي حظيت فيه بالنفائس النفوس وجلسنا على تلك التخوت وسرحنا الناظر في محاسن ذلك المكان الذي بكل وصف حميد منعوت ونزهنا القلوب في نضارة بركة الماء الباهية والأشجار والثمار اليانعة الزاهية واستنشقنا عرف تلك الأزهار وشنفنا للسامع بتغريدها تيك الأطيار ثم بعد مضي ساعة ورد علينا من المسلمين جماعة ما بين أعيان كبير وعالم فاضل تحرير فمن المدرسين الكبراء والأجلاء الأعيان الأمراء السادة العجلانية والأعزاء العمادية ومن الجهابذة العلماء والقادة الفضلاء نخبة المدرسين وعمدة الأجلاء المحققين غرة جبين البلاغة والفصاحة وبربر أحدقة المحاسن والملاحة ذو المحيا الأنوري الشيخ عبد الرحمن أفندي الكزبري فجلسنا معه بين يدي الأستاذ المحتشم وتحادثنا معه فإذا هو مطبوع على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وحضر أيضاً جماعة من التجار الموسومين بجميل الصفات والفخار ثم حضرت مائدة الغدا على العادة من ألوان الأطعمة و الحلويات المستجادة فأكلنا في معية الإخوان وحمدنا المولى المتفضل المنان

وعقب صلاة الظهر بيسير تحركت همة الأستاذ للنزول للجامع الكبير فصلى فيه ركعتين وتردد فيه بالفرجة بين الجهتين و رمقنا معه تجاه السيد الحصور وشاهدنا سواطع ذلك النور فعليه وعلى نبينا وسائر النبيين أشرف تحية مع سلام شامل لهم ولجميع الآل والذرية ففتح له السادن الباب ثم دخل ولم نتجاسر أن ندخل معه إلى حضرت ذلك الجناب المهاب فقرأنا الفاتحة لحضرته الشريفة والتمسنا من إمداداته وبركاته المنيفة وقد صادف وجود مدرس من الأتراك يقرر في علم المعاني والبيان لجماعة بينهم وبينه من حيث اللسان اشتراك فبعد أن مررنا عليه أمر الأستاذ بالرجوع إليه فعدنا صحبة الأستاذ والجماعة لمجلسه وأصغينا بالإسماع لقراءة درسه بعد أن جلس الأستاذ عن يمينه و الحقير عن شماله فتأملنا مبحثه فإذا هو راد عليه وزاجر لأمثاله لأن تقريره في النهي عن الإقدام على قراءة أحاديثه عليه الصلاة والسلام بأن يتهجم على تلك الأحاديث النبوية ويقرؤها على غير القواعد العربية أو تفسير القرآن والحديث بغير المراد أو يرفع الحديث مع جهالته بالأسناد فوجدته موصوفاً بضد ما يقرره عائداً عليه وبال ما يفسره أن قرأ العبارة عن القاعدة المستقيمة لسانه انصرف أو أتى بمثال أو شاهد من القرآن أو الحديث عن العربية مال وانحرف وأن فسر آية أو حديثاً أتى بسفاف الكلام وكان بمعزل عن القصد و المرام فتركته راكباً متن عمياء يخبط خبط عشواء مرتبكاً في زيغه و طمسه لا يعرف يومه من أمسه يكبو فليس لسقوطه إحصاء ولا على مثله يعد الخطاء فرأيت السلامة في الأعراض والفرار والله يتولى أمره وخصمه في الدنيا والآخرة النبي المختار على أني معترف بالجهل وقلة البضاعة مقر بعدم أحكام قواعد هذا الفن والصناعة فليس لمثلي أعشى أن ينبه على عثرات الأغشى ولا لمن ليس له من التقوى

لباس أن يتتبع عورات الناس لكن الباعث الذي ألجاني لبيان هذه القضية والسبب الداعي لهذه الصورة على هذه الكيفية أن جماعة من الأكابر التقاة والسادات الأعلام التقاة أخبروا عن هذا الشخص أن يبغض أبناء العرب البغض الشديد ويقضي عليهم بأنهم في حكم بني نصير و اليزيد كأنه لم ينتبه لما ورد في معرض المدح بهذا الوصف للقرآن الذي هو حياة النفوس والمهج من قوله تبارك وتعالى قرآنا عربياً غير ذي عوج وكذا لم يشعر بقول الصادق المصدوق والنبي اليثربي أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي وبقوله من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم فقدنا بذا الأحاديث والقرآن وحكم على أهل الإيمان وبالكفر والطغيان لاسيما آل البيت والمستضيئين بنور مادة هذا الزيت اللذين أنزل الله في شأنهم كرامة لهم وحباً قل لا اسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى فهل هم إلا آل من اختاره الله من العرب واصطفاه وشرفه وفضله على جميع المخلوقات واجتباه فالحكم عليه بالكفر والطغيان يؤذيه لأنه إيذاء لهم كما ورد الحديث فيه فقد قال في حقهم العدناني القريب الداني من آذاهم فقد آذاني ثم أخبر في هذا الحديث رسول الله بقوله ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه فجدير حينئذ بكل صاحب غيرة ونية أن يهجر هذا الرجل وينبذه ولا على حيث الحال ما ذكر أن أتكلم في شأنه وابنه على تحريفه وسقطات لسانه ثم عدنا لمكاننا المعمور الذي بالخير والنعم إن شاء الله مغمور فاستقمنا في مسرة وصفاء مع أخوان الولاء والصفاء ثم ذهبنا لصلاة المغرب في الجامع الأموي الأكبر وحضرنا بعد أداء الفريضة درس الشيخ عبد الرحمن الكزبري فوجدناه جهوري الصوت فصيح اللسان عذب المنطق حسن البيان يؤدي العبارة بلفظ موجز

ويفتح أقفال المغلق بينها والملغز يتحرى الأحكام العربية في التقرير ويتوخى الألفاظ المستجادة بطريق النقيح والتحرير ثم عدنا إلى المكان وصلينا فريضة العشاء بالإخوان وبادرنا بقيام الذكر وابتهلنا إلى الله تعالى بالحمد والشكر وبعد الفراغ منه جلسنا للموانسة مع الأحباب ودارت علينا فناجين القهوة الصهباء وبتنا تلك الليلة في عيشة هنية على أتم حالة مرضية حتى لاح لنا الفجر وأديت الصلاة وثبت الأجر وكان ذلك اليوم يوم الأحد الرابع عشر ذي القعدة الممنوحين فيه بالمدد صلينا الفريضة وجلسنا على تلك التخوت الملاح فورد علينا السادات العلماء وأهل الزهد والصلاح فمن جملة من ورد من العلماء والأئمة الفضلاء رملي نهانه وهيتمي عصره وأوانه شعار الصالحين وقلادة المتقين الشيخ مصطفى أفندي الشهير بين الناس بالكردي فجلسنا معه حصة يسيرة في مجلس الأستاذ فرأيناه في فقه الشافعي عمدة يلجأ له وبهي لاذ لين الجانب رقيق الحاشية تاجه الوقار وله السكينة غاشية فجرى بيننا وبينه مناسبات علمية ومسائل فقهية وأدبية ومنهم الجهبذ الكامل والعامل الفاضل ذو النفس الزكية والأخلاق الراضية المرضية والأدب و السكينة والذات المستكينة صاحب السدانة والدستور الشيخ محمد أفندي الرحمتي خادم السيد الرسول الحصور فقرت برؤياه العين وزال البين من البين فجلس عندنا في مجلس الأستاذ ساعة زمانية ثم صار تردده إلينا عادة وشجية فحصل لنا الأنس بمجالسته والتمسنا حصول خيره وبركته وممن حضر في ذلك المقام صادق أغا الحلبي الحريري ذو الوجه البسام والسيد حسين جلبي ابن السيد أمين جلبي القباقيبي وغيرهم من رؤساء التجار و سادات أشراف وأعيان كبار وأغوات كرام وبيكوات عظام ولما قدمت مائدة الفطور انصرف ذلك الجمهور فأكلنا منها ما

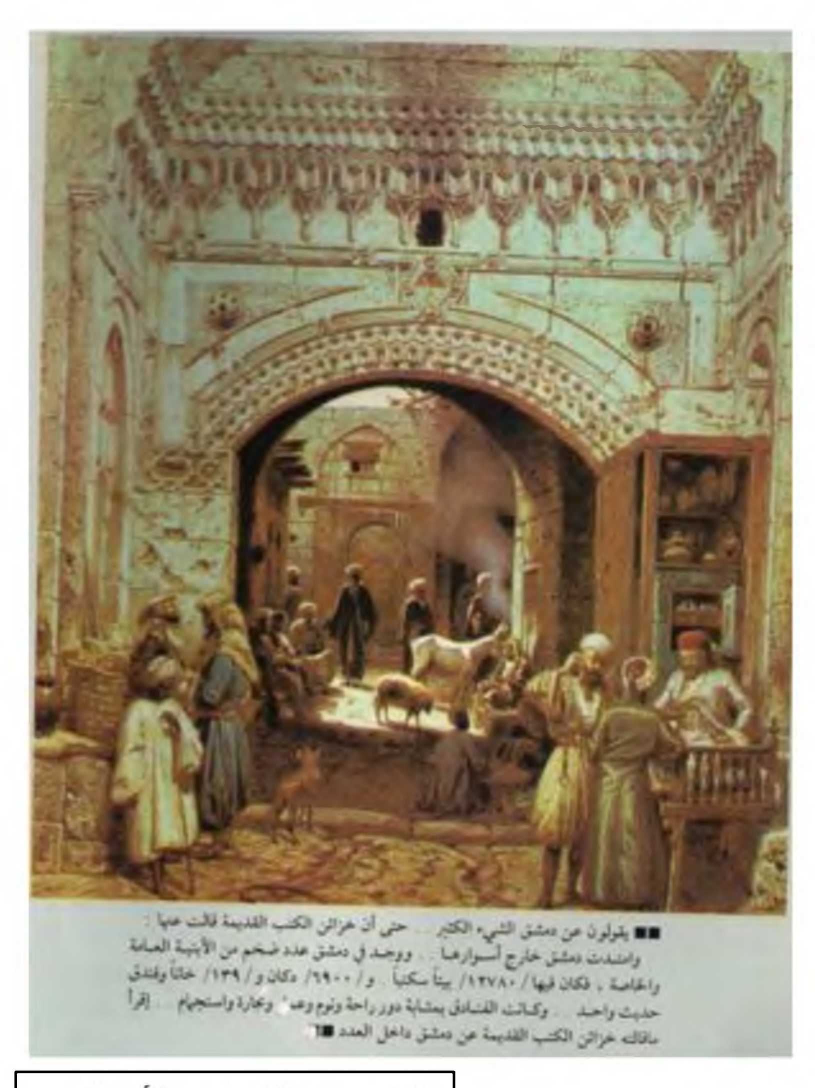
تيسر ثم دعي حضرة البيك إلى الحمام الأستاذ وجميع من حضر فذهبنا صحبة المومى إليه إلى الحمام نحن وبنوا الأخ وبنوا الأعمام فدخلنا إلى حمام يسمى بحمام الخياطين فوجدناه محكم القواعد والأركان بالحجر المتين لطيف البنا ظريف الجوانب والغنا عذب المياه طيب الأفواه فانشرحت النفوس بمنظر هاتيك الأرجاء والجوانب وقرت العيون بعدم مصاحبة أحد لنا في الدخول من الأجانب فأقمنا فيه حتى أخذنا منه بالحظ الوافر واطمأن بذلك قلب المقيم والمسافر وخرجنا منه إلى البيت البراني بعدما تنعم منا الوجه الجسماني والروحاني فجيئ بعد التغيير والتبديل بكاسات السكر وأطلقت في ذلك المحل مجامر العود والعنبر وحضرت قماقم ماء الورد والزهور فرش منها على تلك الوجوه والنحور وأديرت علينا فناجين القهوة فكملت بها المكانة والحظوة فعند إدارة الأستاذ لبس ثيابه أحضر البيك بقجة كاملة من مفاخر الملابس لجنابه ثم خرجنا مع سعادته من ذلك الحمام وعدنا إلى منزلنا بالأغرار والإكرام والأنعام ثم أوسعت البيك المحترم كلاً منا نائلة على حدته وغمرنا بجزيل كرمه وجميل نعمته ولا زال مدا الأيام يغشانا وبله ويشملنا نيله وفضله بل كل يوم عن يوم يربو ويزيد ولسان الحال والقال يقول قط قط فيقول هل من مزيد حتى لم نقدر حياء من سعادته نرفع بذلك رأسا وضقنا من الخجل ذرعا ونفسا أسبغ الله عليه من نعائمه ظلاً ورفع له في رتب العلياء محلا ولطف به في كل حال وحقق له المقاصد والآمال ثم خلوت في سري فمر طيف خيال الأهل والأحباب في فكري فتكدر الخاطر واشتغل البال وصرنا نتقلب من حال إلى حال فصادف وجود الأخ الصدوق والخل الرؤف الشفوق من برؤياه حصول أنسي الشيخ يحيى أفندي النابلسي فأخذ بأيدينا منطلقاً بنا إلى الأسواق بسرعة ثم أدخلنا لدار بعض

أقاربه بقرب القلعة رغبة في التنزه والسلوان وصرف الأكدار والأحزان ثم أحضر لنا عنباً زينياً مجلوباً من بلدة داريا فبينما نحن نأكل من غير شعور إذ ببريد الأهل قد أقبل بالبشرى والسرور مصحوباً بجملة من الرسائل من الأهل والأحباب ذي المحاسن والفضائل فمتعت الطرف في مباينها وتأملنا مضمونها ومعاينها فإذا هي مفصحة بصحة أمزجة الأهل والأخوان وصفاء خاطر الأحبة والخلان مع البشارة بعود الخل العياشي إلى الوطن وخلاصه من أقفاص الرزايا والمحن محملاً نجاح العز والإقبال متوجاً بتاج الوقار و الإجلال فحينئذ تعشقت غيوم الأكدار والغموم وانجاب عن البال والفكر خواطر الوسوسة المفضية للهموم ولم يبق إلا الشوق الكامن في الفؤاد للقاء الأحبة والأهل والأولاد ثم خرجنا وعدنا إلى منزلنا مسرورين ولفضله تعالى حامدين شاكرين فعوضنا التحريرات على السيد الملاذ والسند السؤدد وجناب الأستاذ فحال إطلاعه عليها ونظره إليها بدت أسارير محياه ولاحت طوالع البشر من رؤياه وبتنا تلك الليلة في السرور الزائد وجميل الخير والعوائد إلى أن أصبح صباح يوم الاثنين خامس عشر يوم من ذي القعدة الذي كملت به الثلاثون يوماً من سفرنا بالعدة جاء بعد صلاة الصبح جملة من العلماء والسادة وأبناء الطريق المرشدين القادة فمن جملة من حضر ذو القدم الراسخ في العلوم النقلية والطور الشامخ في الفنون العقلية من تقر برؤيا طلعته العيون الشيخ ياسين أفندي المنسوب إلى قرية عجلون وكان في صحبته رجل من أبناء الطريق قد كسى محياه من المجاهدات والرياضات سنا وبريق فحصل لنا بمفاكهتهما غاية الصفا والتمسنا ببركتهما نظر أهل الوفا ثم تفرق جميع السادة الكرام وحضرت مائدة نفيس الطعام فأكلنا بقدر الكفاية وحمدنا صاحب الفضل والرعاية...))

تجولهم في أسواق دمشق:

ثم نزلنا إلى الجامع الأموي الشريف صحبة الأخ الحاج محمد أغا القطماوي اللطيف صلينا الظهر بالجماعة وخرجنا في معيته من الجامع تلك الساعة فذهبنا للفرجة على أسواق الشام التي لا نظير لها في السعة و الكلافة و النظام فنزهنا النفوس في هاتيك الرسوم والمباني ومتعنا النظر فيما فيها من الأمتعة والأواني ثم عدنا لمحلنا الرحب الفسيح المشرق بسنا صاحب المقام الرفيع والقدر الرجيح جناب حضرت البيك المحترم حفظه الله تعالى من كل سوء وسلم وبتنا تلك الليلة كنسق الليالي الماضية بالذكر وإنشاد القصائد والمذاكرة العلمية وحصول الفوائد فكان السرور من قيد الكدر لنا مطلق وساعد الهم والغم عنا موثقا إلى أن أصبح صبح يوم الثلاثاء السادس عشر من الأيام التي هي منسوبة إلى شهر ذي القعدة الحرام ففي ذلك اليوم الزاهر ورد الفاضل البنية الماهر عمدة العلماء المحققين وكنز الهداية واليقين خلاصة أهل التوضيح والتنقيح ومغنى اللبيب عن التصريح بالتلويح من زها بجده واجتهاده في إفادة الطالبين على الأنام وافتخرت بعلو همته وخفض جناحه دمشق الشام حافظ العه سعيد أفندي الحلبي لا زالت ملحوظاً بعناية الله ثم بأنظار النبي ولا برحت وفود الطالبين تؤم دروسه ومجالس العلم بوجوده مأنوسة فتذكرنا ما سلف لنا معه من العهد القديم في مدينة حلب وكثرة الاجتماع و الموانسة في أيام الطلب وجرى بيننا وبينه محادثة لطيفة رقيقة ومسائل تتعلق بعلوم القوم أهل الحقيقة ثم استأذن وانصرف وبعد ذلك مرات كثيرة إلينا اختلف وقد كنا في ذلك اليوم في دعوة افتخار الأماجد المحلى بالمحاسن والمحامد لطيف الذات رقيق الحواشي الأخ الأكرم الحاج صالح أغا قضار باشى فذهبنا في معية الأستاذ صحبة

البيك المحترم والجماعة د وناشر لوائه وراسخ الود ومحكم أسامر بنائه السيد الشيخ فدخلنا لمكانه العامري الحاوي على أحسن قاعة ونزهنا النفوس في بركة الماء الظريفة ومتعنا النظر برؤية هاتيك الأشجار والثمار اللطيفة وتشنفت الأسماع بأصوات المثاني المترجمة بلسان القال والحال عن وحدة الفرد الوحداني وارتاحت الأرواح بنغمات تلك الأغاني وانجلت غيوم



(الصورة٢٥) رسم لأسواق دمشق القديمة لرحالة أوروبي

الأتراج من مصباح مشكاة هاتيك المعاني ولم نزل في مسرة زائدة حتى أحضرت سفرة المائدة فنظرناها فإذا هي مائدة لم يصنع على منوالها ولا سبقت بنظيرها ومثالها فأكلنا أكلا يثمر إن شاء الله العافية ثم شربنا القهوة العنبرية الصافية ثم لما دنت الشمس من المغيب جيء بالمجمرة وأنواع الطيب فاستعملناه وانصرفنا وإلى منزلنا العامر سرنا وبتنا بنبل المسرات والهنا وحصول المقصود والمنا السابع عشر من ذي القعدة الموذن بصرف البلاء صلينا الفريضة وجلسنا لطلوع الشمس فورد علينا ذو المحيا الذي به كمال الأنس قطب رحى العارفين وخلاصة العلماء العاملين من تقدم على فضلاء العصر تقدم النص على القياس ولو عورض لقال لسان الحال مروا أبا بكر



(الصورة٢٦)رسم جميل لسوق في دمشق – منتصف القرن١٩م

فليصل بالناس بقية السلف وخاتمتهم وبركة الخلف وقدوتهم العلامة الكبير والفهامة التحرير المؤيد بعناية الملك المعيد المبدي جناب الشيخ نجيب أفندي لا

زال كهفا يلجأ إليه في حل المشكلات ومصدراً يرجع إليه في المسائل المعضلات فحصل لنا غاية الفرح بمجالسته وحلت علينا لواحظ أنظاره وفيوضات بركته وكان سنا طلعته للعيون جلاء وعذوبة منطقة للأفئدة دواء بعد مضي ساعة من الزمان ورد صدر صدور الأكابر والأعيان عمدة المدرسين والموالي زينة الأيام والليالي ذو الثغر البسام والهمام المقدام السيد حسن أفندي مرادي زاده المفتي بمدينة دمشق الشام فبللنا بمفاكهة الصدا واستقام إلى أن حضر وقت الغدا فاستأذن الأستاذ وقبل أياديه ثم ذهب لمحله وناديه ثم حررنا ذلك اليوم الأجوبة للأهل والخلان و سيرناها صحبة آدمينا إلى الأوطان ثم ذهبنا في معية الأستاذ المحترم إلى سراية الدستور المحترم على الهمم كريم الشيم الحاج عبد الله باشا المحتشم فإنه إذ ذاك قاطن بحماة المحمية غير أن نجله محمد بيك الحافظ ساكن في تلك السراية البهية فلاقى لحضرة الأستاذ إلى الباب ثم أحضر لنا القهوة والشراب وبعد الفراغ من ذلك حمدنا المالك وعدنا لمحلنا المأنوس الذي هو نزهة النفوس ثم ذهبنا ما عدا الأستاذ إلى مدرسة الكلاسة لزيارة صاحب النباهة و الذكاء والفراسة العالم الجليل والفاضل النبيل من رؤيا محياه على فضله تنبى السيد الشيخ سعيد أفندي الحلبي فدخلنا عليه فإذا هو في حانة درسه يدير كؤوس تقريره على ندمان الطلب من أبناء جنسه يحل شذور الذهب لابن هشام ويزيل بإفراغها في قالب التوضيح عن مخدرات معانيها اللثام فتلقانا بصدره الرحيب وكمال أدبه العجيب وعزم على إبطال التقرير موانسة لهذا العبد الحقير فلم أرض أن أكون سبباً للقطع وباعثاً على تشتيت شمل ذلك النفع عن أولئك الجمع فحينئذ أوجز في حصة الدرس وتقريره ولم يلتفت بعد إلى الشروع في غبرة واحتفل بنا غاية الاحتفال وأبناء الحاضرين

عما بيننا في بدء الطلب من الإتحاد والوصال فجلست عنده ساعة من الزمان واستأذنته في الخروج حذراً من تضييع الحصة على الأخوان فنهض مسرعاً مع بقية الطلاب وخرج مشيعاً لنا إلى خارج الباب وقد كنا ذلك اليوم في دعوة نخبة السادة التجار المحلى بمحاسن المحامد والفخار الأخ الأمجد المحترم السيد إبراهيم التكريتي المكرم فذهبنا في معية الأستاذ صحبة البيك إلى فسيح ذلك المكان ونزهنا الناظر في محاسن محكم ذلك البنيان ثم أفصحت فصاحة الأوتار والمثاني على شجو ألحان الأغاني بأفراد الواحد الأحد وتنزيهه عن الضد والند والشريك والوالد والولد فحركت ساكن الغرام الكامن في فؤاد المستهام ثم وضع الخوان وصف عليه الآنية المملوءة من فاخر الألوان فأكلنا مع الأخوان والجماعة وعدنا لمحلنا قبيل المغرب بساعة ..))

صلاتهم في الأموي ويحيى:

ثم نزلنا إلى الأموي الشريف وصلينا المغرب في ذلك الصحن الواسع اللطيف ثم ذهبنا للفرجة على مكان المحيا وعدنا منه قرأنا الفاتحة لحضرت سيدنا يحيى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ودعونا الله تعالى بالتخصيص والتعميم ثم وجدنا مدرساً فملنا إليه و وقفنا حصة يسيرة عليه فكان يقرر في باب الأيلا على مذهب أبي حنيفة النعمان ويؤدي المعنى بعبارة لطيفة في غاية الوضوح والبيان بعد فراغ درسه مررنا على جناب الشيخ سعيد الحلبي في مجلس أنسه رأيناه يقرأ البخاري الشريف على أسلوب لطيف ثم عدنا لمنزلنا على الأثر وصلينا فريضة العشاء بمن حضر وبتنا تلك الليلة في مسرة وأنعامه وإعزاز وعظيم إكرام حتى أصبح صباح يوم الخميس الذي هو من ذي القعدة السابع

عشر فنفخ روض الأنس ونشر الإقبال قد انتشر ثم ورد جماعة من الأكابر والتجار في ضحى ذلك النهار فقبلوا راحة الأستاذ الأكرم فأقبل عليهم بوجهه البشوش وسلم ثم أنفضوا عن آخرهم ونهض الأستاذ في أثرهم وقصد زيارة السيد سعيد العجلاني فاقتضى أن أكون في معيته من غير تواني فدخلنا لمكانه فإذا هو في الحرم مغبر المزاج والعائدون لرفيه أفواج أفواج فدخلنا وجدناه في قاعة عظيمة مفروشة بالنمارق والرزابي الجسيمة فامتلأ فؤاده فرحاً وسرورا وصار بزيارته له محفوظاً مجبورا وكبت له البسملة في إناء وشرب من فوق كتابته الماء فحصل له في المجلس الفرق التام ثم عقب القهوة والشراب بادرنا بالقيام فأحضر لنا الطيب والبخور وصعدنا قبل الخروج تفرجنا على تلك

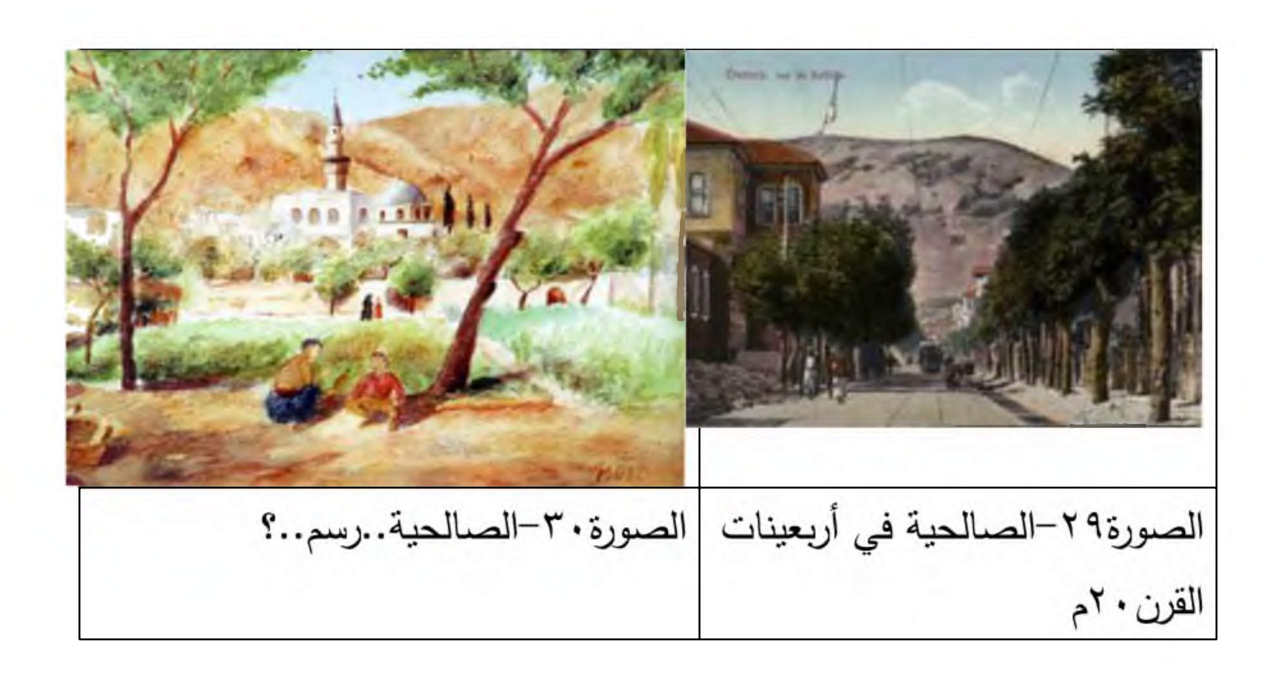


(الصورة٢٧)الجامع الأموي في دمشق- الصورة أواخر القرن١٩م



الصورة٢٨-مقام في الجامع الأموي في دمشق

القصور وعدنا بعد ذلك لمحلنا المشهور وأكلنا ما تيسر من مائدة الفطور وفي ذلك اليوم كنا في دعوة السيد الجليل والكامل الفاضل النبيل الحسيب النسب الهاشمي المطلبي السيد الشيخ عبد الرحمن أفندي الادلبي ذهبنا فيه لمكانه صحبة الأستاذ والأخوان الكرام فتلقانا بالإجلال و الاحترام فحصل لنا في ذلك اليوم كمال النشاط وغاية الصفاء و الانشراح و الانبساط إلى أن حضر الطعام الفاخر فأكلنا منه ما يسر الخاطر ثم استعملنا البخور والطيب واستأذنا في الرجوع لمحلنا ذلك الأخ الحبيب فخرج معنا إلى الباب وشيع الأستاذ وجميع الأحباب ثم أتينا للمكان العامر الأنور وصلينا المغرب بمن حضر وبتنا تلك الليلة على العادة المستمرة بالهناء والصفاء وأنواع المسرة إلى أن انهزم عسكر الليل بظلامه وأقبل جيش صبح يوم الجمعة التاسع عشر ذي القعدة براياته وأعلامه ركبنا صحبة البيك المحترم في معية الأستاذ ذي الطلعة السنية وسرنا



الصورة٢٩-الصالحية في أربعينات القرن ٢٠م	الصورة٣٠-الصالحية..رسم..؟

متوجهين إلى الصالحية وذلك لما سبق لنا من دعوة الأخ الأمجد والحبيب المفرد ذي الهيكل البديع والمحيا السني جناب الشيخ يحيى أفندي ابن حضرت سيدنا عبد الغني فابتدأنا في هذه



(الصورة ٣١) باحة بيت في الصالحية قرب دمشق – عن بارتليت١٨٣٦م

المرة بزيارة كعبة العرفان وجامع الفرقان الفتى المقدام والأسد الضرغام من تجرد بالعرفان عن قشر السوى وحاز شرف العلم والفضل والتقوى حضرة قطب العارفين ابن العربي الشيخ محي الدين أذاقنا الله من شراب مشربه وسلك بنا واضح نهجه ومذهبه فدخلنا لذلك المقام السامي اللطيف ووقفنا تجاه مرقده الشريف وقرأنا لحضرته الفاتحة ودعونا الله تعالى بالدعوات الصالحة ثم

للمدفونين عنده واستدعينا إمداده ورفده ثم خرجنا منه إلى التكية السنية المشرفة بأنوار الحضرة النابلسية فقرأنا فاتحة داخل الباب لقبور ذريته وأخرى بالخصوص لحضرة الشيخ إسماعيل درصدفته ثم قبل الراحة والجلوس دخلنا لقام تاج الرؤوس بلبل أرواح المعارف وثمرة أغصان العوالم والعوارف صاحب النور السني حضرة الشيخ عبد الغني فقرأنا ما تيسر في تلك الحال وتملينا من مطالعة مشهد ذلك الجمال ورفعنا أكف الضراعة متوسلين بصاحب الشفاعة ثم بصاحب تلك الحضرة البهية أن يمنحنا النفع به مع بلوغ الأمنية ثم خرجنا تلك الساعة إلى فسيح تلك القاعة واستقمنا ذلك اليوم بين أهل الوفا في لذة عيش وسرور وصفا ودقت آلات الطرب على سماع أصوات المغنين وحصل النشاط والانشراح بنغمات هاتيك التلاحين إلى أن دخل وقت المساء وحضرة مائدة العشاء فكان من سماع تلك الآلات الانتها ثم أكلنا من المائدة بقدر الاشتها ثم صلينا فريضة المغرب وشنفنا الأسماع إلى وقت العشاء بسماع الأنشاد المطرب وبادرنا بعد ذلك بصلاة العشاء الشريفة ثم شرعنا في الأذكار اللطيفة وبتنا تلك الليلة في سرور خديم وفرح مقيم..))

زيارتهم ضريح ابن العربي:

إلى أن أصبح صباح يوم السبت العشرين من ذي القعدة ذهبنا لصلاة الفريضة في مقام من لم يبلغ أحد شاؤه وحده الطائي المغربي حضرة ابن العربي قدس الله سره اللطيف ونور ضريحه الشريف فبعد أن صلينا في حرم الجامع نزلنا إلى مقامه الذي بالنور ساطع فوجدنا في مقامه الجم الغفير وجلسنا على الصفة قبالة وجهه المنير فرأينا ذلك الجم ما بين مصلى وتال للأوراد وقارئ وذاكر

بحسب الاستعداد وكلما فرغ ناس خرجوا وخلفهم آخرون وهلم جرا على هذه الحالات والشؤون فقرأنا لحضرته ما تيسر من القرآن مع سورة ياسين وضممنا لذلك الصلاة على سيد المرسلين وتوسلنا به إلى الله تعالى في صرف الكروب وحصول المأمول والمطلوب ثم قرأنا الفاتحة لبني الزكي في مقامه وأعطينا ما تيسر من الصدقة لخدامه ولقد أطلعت في رحلة العارف النابلسي على ما كنت أتمناه في سري ونفسي من معرفة مولد هذا الهمام و وفاته ومحل ولادته ومدت حياته فذكر أنه ولد في مرسيّه هي بلدة من البلاد الأندلسية وكانت ولادته في زمن السلطان محمد بن سعد بن مردتبيش في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان الشريف بحسب البحث والتفتيش سنة خمسمائة وستين وتوفي في شهر ربيع سنة ستمائة وثمانية وثلاثين وعاش من العمر ثمانية وسبعين سنة وبرع في العلوم الغربية فلم يبلغ أحد بلغه فيها ولا نهج منهجه وسنه ومما يدل على علو شأنه وامتيازه على أقرانه فتوحاته المكية ونصوص الحكم مع التنزلات الموصلية وما ذاك إلا بوهب إلا هي صمداني وفيض و إمداد رباني ومن



(الصورة٣٢) قبر الشيخ
محي الدين بن عربي في

كراماته أنه استقام على وضوء واحد ثلاثة أشهر بصحيح النقل في الخبر عن الإمام الهيتمي أحمد ابن حجر ومنها أنه لما ألف كتابه الفتوحات المكية وضعه على ظهر الكعبة أوراق مفرقة فلم يلحقه بلل من المطر ولم تأخذ الريح مع كثرتها منه ورقة فمن انتقصه أو شانه زات به القدم ويندم حيث لا ينفعه الندم وقد ألف في شأنه العارف النابلسي رسالة سماها الرد المتين على منتقص حضرة الشيخ محي الدين ومما يدل أيضاً على فخامة منصبه وعلو قدره التنويه بالمدح له من العارف النابلسي فريد عصره في قصيدته التي أولها خذا حيث هبت نسمة البان والرند وعوجا على تلك المعاهد من نجد لأنه لا يعرف ما في الزوايا من الجنايا الأصاحب البيت أو من مصباح مشكاته متوقد من مادة هذا الزيت ثم أتينا إلى التكية ودخلنا إلى المقام ذي الإمدادات الربانية فجلسنا قبالة مدفنه الشريف على العادة وقرأنا ما تقدم ذكره وزيادة واستنهضنا همة ذلك الهمام وتوسلنا به إلى الله تعالى في بلوغ المرام وكذا قرأنا لصاحب الأسرار و الأنوار حفيده الشيخ مصطفى المدفون بخداء ذلك المزار وكذا لولد الشيخ مصطفى المذكور الشيخ عبد الله الولي صاحب الجذب المشهور فإنه دفن عند والده في قبره وضمخت تلك الحضرة بطيبه ونشره ثم عدنا لدى الجماعة وحضر الغدا تلك الساعة فأكلنا صحبة الأخوان وحمدنا المولى على ما أولى من الفضل و الإحسان ثم طلب الأستاذ زيارة جبل قاسون الذي بالأولياء والصالحين مشحون فركبنا صحبة الأستاذ مع السادة النابلسية لنحظى بهاتيك الآثار ونتملى بتلك الأنوار البهية فمررنا في الطريق على مقام فيه شهداء يقال أنهم على حالهم حين الدفن يشاهدون من غير بلاء فقرأنا لهم الفاتحة وانتشفنا من طيب روايحهم الفايحة ثم مررنا في سفح ذلك الجبل المشهود فقرأنا الفاتحة

للشيخ يوسف القميني وخادم مقامه الشيخ محمد و القميني بفتح القاف وكسر الميم المخففة خلافاً لما عليه الناس من التشديد في لغتهم المحرفة نسبة إلى قمين الحمام وقد كان رجلاً من الأجلاء الكرام ومن المجاذيب المولحين يأوى إلى قمين حمام البزورية المنسوبة إلى الشهيد نور الدين والناس يحكون عنه عجائب وأمور خارقة وغرائب وكذا عن خادمه الشيخ محمود فقد كان ساكناً يعيا له في ذلك المزار المحمود ثم قرأنا الفاتحة لكل من في تلك الناحية من ذي قبر مقصود وخصصنا بفاتحة أخرى مغارة الشيخ مسعود وكذا قبور السادة الكيلانية ومن حولهم من أهل تلك البقعة الشريفة البهية ثم سرنا إلى أن شاهدنا مقام الأربعين فقرأنا لهم الفاتحة عن بعد حيث كنا راكبين ثم مررنا في طرف السفح تحت قبة النص وشملنا أرج ذلك النشر حتى وصلنا إلى مزار الشيخ محمد الزعبي الذي نوره الساطع على ولايته يبني وكذا تجاهه مقام الشيخ أبي بكر بن قوام فقرأنا الفاتحة الشريفة لتلك الأرواح الكريمة ولم نزل سائرين حتى وصلنا إلى الربوة والمنشار وقرت العيون برؤية تلك الأنهار فنزلنا للاستراحة بين نهر بردة وبانياس فحصل لنا غاية النشاط والإيناس ثم صعدنا لمهد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وقرأنا الفاتحة ودعونا بما ألهمنا به الملك العلام حيث أخرنا أن هذا المحل أحد مواطن إجابة الدعاء وقبوله فمن دعا فيه بما شاء ظفر بمقصوده ومأموله وبينما نحن على حافة بانياس في نزاهة ونشاط وصفاء خاطر وسرور و انبساط إذ بالأستاذ قد خلع ثيابه ونزل النهر ثم خرج منه متغير الطور والحال فتبدل صفاء الخاطر بكدر ثم انجلى عنه في أسرع ساعة زمانية فعلمنا أن ذلك لسر لا يمكن افشاءه و ايذاعه بين البرية ثم عدنا في ذلك الآن إلى شريف المكان وقد دنت الشمس للغروب وحضر الطعام

الفاخر المرغوب فأكلنا صحبة الأغرة الكرام وبتنا تلك الليلة من الأذكار وسماع المطربين في غرام وهيام ثم تفرق القوم وتاقت النفوس للنوم فأخذنا مضاجعنا إلى الصباح والاستغناء عن ضوء المصباح وكان ذلك اليوم يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة الذي ليس لفضله أمد صلينا الفريضة بالجماعة ثم جلسنا مع الأخوان في إيوان تلك القاعة فورد علينا ذو المقام الأفخم الأخ الأمجد الشيخ يحيى أفندي المحتشم فدعى الأستاذ إلى الحمام فذهبنا في معيته صحبة الأخوان الكرام فدخلنا إلى حمام بقرب المدرسة العمرية صغيرة الحجم لكنها نضيرة بهية فاغتسلنا من ذلك الماء الحميم ونلنا الحظ الوافر والنعيم ثم عدنا إلى التكية بعد الخروج وتغذينا من طعام هؤلاء السادة الذي بالصحة والعافية ممزوج ثم دخلنا لمقامه ذي الفيض الرباني النابلسي العارف الصمداني قدس الله سره وأعلى في عليين مقره وجلسنا في حضرته المنيرة اللطيفة وقرأنا مع الرفقة ختمة شريفة ثم أهديناها لروحه الطاهرة والتمسنا إمداده وبركاته الزاخرة وبتنا تلك الليلة في سرور تام وإعزاز وإكرام إلى أن أنكشف ظلام الليل الحالك واتضحت بنور الصباح الطرق والمسالك وكان ذلك اليوم يوم الاثنين الثاني والعشرون من ذي القعدة الخالي من الكدر و البين صلينا الصبح في مسجد ذي المقام السني وقرأنا الفاتحة لسيدنا عبد الغني ثم خرجنا لمحل الجاوس وبالنظر إلى المياه وخضرة الأشجار تنزهت النفوس وقد حضر لدينا في وقت الأصيل الأخ الأكرم السيد مصطفى أغا الوكيل ودعانا للنزول على الشام والذهاب لمكانه صحبة الأستاذ والسادة النابلسية الكرام حيث سبقت منه الدعوة قبل الطلوع إلى الصالحية فأجبناه ووعدناه بعد النزول بحصول المراد والأمنية فلما حضرت مائدة الفطور أكلنا ما تيسر واستأذنا وأخذنا الدستور فركبنا وسرنا وعلى

مقبرة مرج الدحداح فقرأنا الفاتحة للصحابي أبي الدحداح ثم لمن يليه من أهل الدين والصلاح ولكنه غير معروف على التعيين وإليه تنسب تلك المقبرة بيقين وفيها ضريح أبي شامة كني بشامة فوق حاجبه الأيسر فكانت عليه علامة وهو الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي النحوي المحدث المقري الجليل ويقال أن في تلك المقبرة عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق ويقال أنه مات بحبشي جبل بين مكة والمدينة على ستة أميال تنقل و دفن بمكة على التحقيق وخرج البيك لملتقانا ذلك اليوم فاجتمعنا به في الطريق وذهبنا في معيته لمكانه صحبة القوم ثم بعد النزول وحصول الراحة توجهنا إلى بيت مصطفى أغا صاحب المحاسن والملاحة فدخلنا لمكانه الباهي الباهر فوجدناه نزهة للنفوس و النواظر محكم الأركان والتأسيس مزيناً بالفرش الفاخر النفيس وقد قام سوق آلات الصفاء والطرب وبلغت الأنفس من أمانيها الأرب غير أن هذا المسيء المقترف الذي مقصوره معترف كان إذا دقت الآلات خرج لمجلس آخر يتشاغل إما بمطالعة كتاب أو مع جليس له يتذاكر وقد حملني حضرة الملاذ على سماعها غير مره فلم ألق لذلك بالأولى أحببت في ذلك أمره ثم أرسل بواسطة الأخلاء يذكرني بالرسالة التي ألفها في شأنها شيخنا عبد الغني فطبنا في نيل منهل شربه وحذراً من تغير قلبه بادرت لحضور مجلس أنسه في صورة المرافق مع ملاحظة قول السيد الأكرم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا يخفى أن سماع الآلات حرام في ظاهر الشرع المكرم وعند أهل الله تعالى غير محرم ما لم يقترن بلهو فظيع فإنه حينئذ حرام عند الجميع ثم إن بعض أهل الأدب والفضل من علماء الشريعة المطهرة وفق في هذه المسألة بين علماء الشريعة و الحقيقة المنورة فقال من ذهب إلى الحرمة فلصدق مقاله ومن

ذهب إلى الحل فلصحة حاله فما أحسن هذا التوفيق الدال على كمال الأدب والتحقيق وقد اتفق لي مرة في مجلس هذا السيد الذي مذهبي عقد ولاه أني سمعت هذه الآلات كسماع أهل الله وذلك لما شاهده من حال الحقير بطريق الكشف عن الاعتراض على السامعين وقيامي عليهم النكير ومن المعلوم أنه من جملة السامعين للآلات فربما لاث به مثل هذا المسيء وظن فيه ارتكاب المحرمات مع أن هذا لا يخطر ببال ولا يجري به مقال لأن أفعال أهل الله وأقوالهم على أحد حالين أما أن تصدر عنهم في حال المحوا وفي حال الصحو مع زوال الغين فما صدر عنهم في حال المحو من الشطحات فلا مدار عليه في الشرع فضلاً منه تعالى ومنا كما قال قائلهم لقد رفع التكليف في سكرنا عنا وما صدر عنهم في حال الصحو من هذا السماع فعلي حسب ما يشاهدونه من التنزيه المطلق الصادر عن سائر الجماد و الحيوان بلسان القال و الحال للوجود المحقق إذ هم عرائس حضرته ومرات مشهده المتحققون بحقيقة قوله وأن من شيء إلا يسبح بحمده على أن ما سبق عن العارف النابلسي الجليل لا يحتاج معه إلى تأويل ولا تفصيل وحيث أنه لست من ندمان هذه ألحان ولا من فرسان هذا الميدان لزمت التمسك بظاهر الشريعة حذراً من الهلكة والقطيعة لأن ها هنا مهام تحار فيها الأحلام ومداحض تزل فيها الأقدام فالوقوف على ساحل السلامة راحة لا سيما لمن لا يحسن السباحة ثم لما دنت الشمس من المغيب حضرت مائدة الطعام الفاخر العجيب فأكلنا في معية الأخوان و الأحباب وبعد القهوة واستعمال الطيب عدنا إلى شريف المكان وبتنا تلك الليلة على طريق العادة من الأذكار و المذاكرة و الاستفادة إلى أن ذهب الدجا بازج وأقبل الصبح ببرج وكان ذلك الصبح صبح يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذي

القعدة الذي نلنا الخير فيه وشاهدنا سعده صلينا الفريضة وجلسنا كالعادة على التخوت وسرحنا الناظر في تلك المياه والرياح والثمار التي هي للأرواح قوت..))

زيارة قاضي الشام:

فتحركت همة الأستاذ الهمام لزيارة محمد سعيد أفندي قاضي الشام فأرسل جناب البيك بخبره ليكون على بصيرة ثم توجهنا في صحبته فكانت عين حاكم الشرع قريرة فخرج لملتقاه وأجله وأكرم مثواه فشاهدنا منه حسن الخضوع والاعتقاد وخفض الجناح والانقياد فجلس بمقدار شرب القهوة والشراب ثم نهض الأستاذ المحترم فخرج القاضي معه مشيعاً له إلى الباب فلما عدنا إلى سني المقام ورد لتقبيل راحة الأستاذ جماعة من الخاص و العام وممن ورد للسلام عمدة العلماء الأعلام قاموس البلاغة والصحاح و رامون الفصاحة و المصباح مجمع البحرين من علمي الباطن و الظاهر وملتقى النهرين من علوم الأوائل و الأواخر من تغذى بلبان السادة الصوفية وترعرع في جحور الجهابذة البكرية ذو المنهل الوافي والمشرب الصافي جناب السيد الشيخ عمر أفندي اليافي فدخل أولاً لمكاننا المخصوص وسلم علينا وعلى الحاضرين بالعموم والخصوص فتذكرنا معه العهد القديم ورأيناه على سالف الود خير مقيم وقد اعترف بالقصور واعتذر بانحراف مزاجه عن المبادرة إلينا بالسلام والحضور ثم دخلنا معه لدى حضرة الأستاذ فاحتشمه وأجلسه لجانبه وأكرمه فلبث في المجلس حصة يسيرة ثم استأذن بطلب مسيره ثم خرج واستدعى أن نأتي لزيارته وأن نكون يوماً مخصوصاً في ضيافته فأجبناه للأولى واستعفينا عن الثانية لروجان سوق

الضيافات التي قطوف ثمار أغصانها دانية واستقمنا ذلك اليوم في نزاهة وحال مطرب إلى أن حانت فريضة صلاة المغرب فبعد فراغنا من العشا نزلنا إلى الجامع الأموي نتمشى ثم صلينا المغرب مع أمام السادة الشافعية وقرأنا الفاتحة لحضرة سيدنا يحيى على نبينا وعليه أفضل صلاة وأكمل تحية ثم تحلقت ثلاث حلق من الدروس فاستمعنا لكل حصة زمانية ونحن وقوف على الرؤوس وبعد ذلك عدنا لبهي المكان واجتمعنا بالرفقاء و الأخوان وقد أتى في تلك الليلة القاضي الذي زرناه في الزمن الماضي فجلس لدى الأستاذ بالأدب و الاحتشام وشيعه حضرة الأستاذ في خروجه إلى الباب على وجه الإكرام وبتنا تلك الليلة مسرورين بإنشاد القصائد ونيل البر و العوائد إلى أن انصرف الليل الداج وأقبل الصباح بالإبلاج وكان ذلك الصبح صبح يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذي القعدة الخالي من الانزاح و الأكدار و الشدة ...))

زيارة حمام القاشاني:

تحركت همة الأستاذ فيه للنزول إلى الأسواق التي لا نظير لها على الإطلاق فنزلنا في صحبته نتسلى ونمتع النظر بهاتيك الأمتعة ونتملى فمررنا في السوق على حمام القاشاني فدخلها حضرة الأستاذ من غير تواني وكان معنا الأخ النبيل الحاج مصطفى أغا الوكيل فوجدناه حماماً محكم البنيان وبيوته الثلاثة في غاية الحسن و الإتقان فأذلنا فيه درن الأوساخ عن الجسم وحصل فيه من النعيم أوفر قسم ثم بادرنا بلبس الثياب واستعملنا الطيب وشربنا القهوة و الشراب وعدنا لمحلنا المأنوس وحصلت الراحة للأجسام والنفوس وبتنا تلك الليلة في سرور وفرح ونشاط ومرح ...))



الصورة٣٣-حمام القيشاني في دمشق



الصورة٣٤-صورة قديمة لحمام القيشاني -القرن١٩م

زيارة أحد الأدالبة:

إلى أن أشرق الصباح بنوره وذهب الليل بديجوره وكان ذلك اليوم يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة فدعانا لضيافته فيه ذو الخلة و المودة نخبة أهل السيادات الحاج ديب جلبي الأدلبي الأصل المدعو بابن السادات فذهبنا قبيل العصر لمحل الضيافة فوجدناه في غاية الطلاقة و الظرافة قد حوى على بحرة ماء عظيمة مفرطة في السعة تدفع البخاسة ولا تقبلها مع التغير على المذاهب الأربعة فجلس الأستاذ والجماعة في القاعة الكبرى وجلسنا مع جناب الشيخ عبد الرحمن أفندي في قاعة صغرى تارة نتسلى بإيراد المسائل و الحكايات وأخرى بمطالعة الرحلة القدسية لصرف الأسماع عن سماع الآلات إلى أن حضرت مائدة العشا وكاد من الطعام أن يمتلأ الحشا تحولنا عن الطعام إلى محل متسع وجلسنا نحن والأحباب على مكان مرتفع ثم شربنا القهوة واستعملنا البخور وخرجنا من المكان بالمسرة والحبور فبينما نحن نمشي في الطريق إذ بالرجل المجذوب على التحقيق الذي هو صاحب الواقعة مع والي الشام التي شاع ذكرها بين الخاص و العام فحين رأى الأستاذ التجأ إلى جانب الطريق ولم يلحظه من تلقائه ولم يزل مطرقاً رأسه بالأرض إلى أن جاوزه الأستاذ فصار ينظره من ورائه فتأملناه فوجدناه مملوءاً من الحال مردا برداء المهابة و الجلال مكشوف الهامة البشرية عارياً من الملابس الحسية ولقد رأيته بعد ذلك غير مرة على حالته فلم نتجاسر على قربه ومكالمته وقد جاء مجاذيب الشام للسلام على هذا الأسد الضرغام إلا أنهم لا يدخلون عليه بل يقفون عن بعد ينظرون إليه حتى أن مجذوباً منهم محلوق اللحية دعوناه أن يتقدم نحونا فأبى وقال الأذن إلى هنا وفيه الكفاية والبغية إلا ذلك المجذوب الفارق المسلوب

لم يأت لزيارة الأستاذ في الظاهر والله أعلم بحقيقة الحال والسرائر ثم استقمنا تلك الليلة على أكمل حال وبتنا في أصفا ذهن وبال إلى أن غاب الليل الغاشي وظهر الصباح بعرفه الغاشي وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الشريف السادس والعشرين من ذي القعدة الذي فضله منيف صلينا الصبح بالرفقاء الأمجاد وجلسنا لقراءة الأذكار والأوراد وختمنا ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتمسنا من الله تبارك وتعالى ببركته حصول الأجر والمغنم ثم ورد علينا جماعات من الناس فحصل بمحادثتهم الاستيناس ولم نزل نبل بمفاكهتهم الصدا حتى حصلت الكفاية من الغدا..))

صلاة الجمعة في الأموي:

ثم نزلنا إلى الجامع الأموي الشريف وجلسنا قبالة المنبر لاستماع خطبة المحاسن اللطيف وبعد الفراغ من الجمعة والظهر زرنا السيد الحصور وفي ضمن ذلك رأينا وكيل الوزير الوقور ثم ذهبنا لحلقة ذكر من حبة في الأفئدة ثاوي العبد الخاشع الشيخ مصطفى النحلاوي فرأينا نور الفلاح في وجهه لاح وهيكله يشهد له بالتقوى والصلاح فتلقانا بالإعزاز و الإكرام وعاملنا بالأدب و الاحتشام ثم بعد الفراغ من ذكره وانتشاق عرف طيب عطره ترددنا في الحرم إلى جهة الشرقية فرأينا حلقة ذكر قد افتتحه رجل من مشايخ الطريقة القادرية فجلسنا عند حضرت سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام وقرأنا سورة ياسين بالكمال والتمام مع مشاهدة ذكر الذاكرين وسماع أصوات المنشدين فحزنا بمعونة الله تعالى الفضيلتين وحصلنا على كمال المثوبتين ثم عدنا



(الصورة٣٥)الجامع الأموي في دمشق

لمنزلنا السعيد وبتنا تلك الليلة بعيش رغيد إلى أن انفجر فجر يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة الخالي من الكدر والمقت وثبنا لأداء الصلاة طلباً لارتشاف كؤوس فيوضات الصلاة ثم جلسنا لتنزيه النفوس وجلا الأبصار بهاتيك المياه والخضرة والثمار وقد كنا ذلك اليوم مدعوين عند النسبر الكامل و الشجاع الباسل درة الصدفة الكيلانية وإكليل تاج العصابة الهاشمية المسمى باسم جده القطب الرباني جناب السيد عبد القادر أفندي الكيلاني فذهبنا لمكانه بعد الفطور وحصل لنا فيه غاية الفرح والسرور فيا له من مكان ما أبهاه يجلو بنضارته ومائه وبستانه عن الفؤاد صداه لاسيما النظر على ما اشتمل عليه من القاعتين العظيمتين اللتين حليتا بماء العسجد و اللجين وتواردت كاسات السكر وفناجين القهوة المطيبة بالعنبر و شنفت الأسماع بنغمات الأغاني ومتعت الأبصار بمحاسن تلك المغاني وروحت النفوس بطيب أصوات المثاني وانتظم

شمل المحبين بنيل المنى والأماني إلى أن مدت مائدة الطعام الفاخر التي يعجز عن مضاهاتها البادي و الحاضر ولما قرب وقت المغرب جيء بالبخور وقمقم ماء الورد الذي بلسان حاله عن طلب القيام معرب فاستعملنا من ذلك الديب وخرجنا شاكرين فضل ذا السيد الحبيب وأتينا لمحلنا المعهود رافلين بإبراد السرور و السعود فأرسل القاضي في تلك الساعة يدعو الأستاذ لضيافته وشرط علينا أن نكون بجمعنا في معيته..))

تجولهم في أسواق دمشق:

فلما أصبح صباح يوم الأحد الثامن والعشرين من ذي القعدة الذي لا يحصي فضله أحد صلينا الفريضة بالأخوان وبعد طلوع الشمس بنحو ساعة نزلنا إلى سوق البالستان المعبر عنه عند أهل الشام بسوق الأروام فجلسنا صحبة يحيى أفندي عند شيخ السوق نتأمل ما فيه وما يجلب إليه من المتاع مع كثرة الازدحام المخلوق فكأنه في الكثرة والازدحام محشر وإليه الخلق تساق وتنتشر فسبحان الخالق الذي أحصى كل شيء عددا الرازق الدني لم ينسى من رزقه أحدا ثم عدنا لشريف المكان وتغذينا صحبة الأخوان ثم حضر لدينا الحاج محمد أغا القطماوي الخل الموفي جلس حصة يسيرة فأخذناه وتوجهنا به لزيارة الشيخ اليافي فتلقانا بوجهه البشوش وصدره الرحيب وقابلنا مقابلة المحب للحبيب فجلسنا نتجاذب معه أطراف المسائل العلمية ونرتشف من سلاف خمرة آدابه المعتقة البكرية ونستملي من فيوضات أسرار كلماته البكرية ونستجلس عرائس الحكم الخارجة من خدر أفكاره ونقتبس من أشعة أنوار ذكائه ونكاره ثم استأذناه في الذهاب فخرج مشيعاً لنا إلى الباب فمررنا على باب جيرون

وشاهدنا تلك النوفرة العظيمة التي تسلي المحزون ثم دخلنا الأموي العديم المثال وتأملنا تلك القطع و الأشكال فكلما رددنا فيه النظر نعثر على شيء لم يكن عندنا به خبر ثم عدنا لمحلنا المعهود لإزال رواق العز عليه ممدود فبتنا تلك الليلة على أحسن حالة جميلة إلى أن طوى وشاح الليل وانتشر الصباح ودعت دعاة الصلاة بألسنة فصاح وكان ذلك اليوم يوم الاثنين الحادي والعشرون آخر ذي القعدة من غير مين فاستيقظنا من سنة النوم وصلينا الفريضة بمن حضر من القوم وجلسنا نستمع مثاني نغمات الأطيار على



(الصورة٣٦)دمشق –صورة لسوق الحميدية ،وسور دمشق

أفنان هاتيك الأشجار ثم دخلنا على حضرة الأستاذ الأفخم والسند الملاذ المحترم فعرضنا له بتحريك الهمة للوطن وبث الأشواق بالأحبة والسكن واستدعينا منه سرعة السفر كيلا يظلنا الشتاء بوابل سحابه ويغري علينا برده فيفترسنا نيابه وامتنع ولوح بالإقامة مدة لينقطع بذلك في السفر المطمع فكررنا على سعادته المقال فما زال عن تلك الحال بل شوهد منه التغير و مبادي حال تشعر بالتطور فطلبنا منه الأذن في السفر للأقارب وابن الأخ الأصغر فأطرق ملياً ثم

أذن لهم وأشعر فحوى كلامه بالملاحظة معهم فخرجوا القضاء أغراضهم وسؤال الركب عن زمن سفرهم و أفاضهم فأحكموا معهم قواعد السفر واتفقوا على الخروج في يوم الخميس الأنور فاجتاحت نار الجوى وتصاعدت زفرات النوى ولا سبيل لبلوغ المرام ولا حيلة تقضي بزوال الأوم إلا التسليم و الإنقياد و الالتجا إلى الله تعالى في تحريك همة الأستاذ وبتنا تلك الليلة في قلق و وجد وأرق مفرط قد جاوز الحد إلى أن أستنار صبح يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة الثابت في مجلس الشرع بالبرهان وإقامة الحجة ذهبنا فيه لحمام يدعى الحمام الملكي لسان حاله ينادي كل من دخلني وقع في شركي فيا له من حمام ما أنضره وأسناه وأطلقه وأبهاه فحصل لنا بدخوله الارتياح وزالت بحسن وضاءته الأكدار و الأتراح...))

زيارتهم قلعة دمشق:

ثم خرجنا منه لدى حضرة الأستاذ لمشاهدة تلك الطلعة فرأينا قد تحركت همته للفرجة على القلعة فخرجنا صحبة ذلك الهمام وذهب في معيتنا جماعة من الشام فسرنا إلى أن وصلنا إلى



الصورة٣٧–الصورة رسم لبرج قلعة دمشق ومقهى – القرم١٩م	الصورة٣٨–رسم نهر بردى، وبرج قلعة دمشق، واستراحة بطراز عثماني –القرن١٩م

باب القلعة فرأينا داخل الباب من جند الوزير أنفاراً مجتمعة فدخلناها فإذا هي قلعة حصينة محكمة التأسيس أبنيتها رصينة واسعة الرحبة عالية الأكناف يحيط بها سور وأربعة عشر برجاً من سائر الأطراف لكن فيها بعض أبراح مختلة وأبنية من بيوتها معتلة وقد عرى بعض سورها سقوط ومن البعض الآخر شيء آيل للهبوط ثم إنها مع هذا الطول و العرض ليست مبنية على تل وإنما هي مبنية على الأرض وتفرجنا على جميع البدن والبروج وعلى معمل البارود عند إرادة

الخروج ولما خرجنا من باب القلعة تلقانا آغت قبى قول وأدخلناه لمكانه بالإعزاز و الإكرام و القبول فشربنا القهوة عنده في ذلك المكان...))

زيارة الضرائح:

ثم خرجنا قاصدين زيارة الشيخ رسلان فذهبنا خارج السور إلى أن دخلنا من باب السلام فمررنا في الطريق عن حريم النهر على قبرين يقال أن صاحبيهما من شهداء الصحابة الكرام فشرفنا بتلك المشاهد التي بالأسرار طافحة وقرأنا لحضرتهما سورة الفاتحة ثم مررنا على مدفن الصحابية الشهيرة ذات الضريح الأنور السيد خولة أخت ضرار بن الأزور فوقفنا عند شباكها وقرأنا لها الفاتحة راغبين إليه تعالى بكرامتها أن يمنحنا خاتمة الخير كما منحنا الفاتحة ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى المقصود بالزيارة والخصوص بالأنفاس الصادقة وعلو الإشارة شيخ مشايخ الشام وأعيانها العارفين ذي السر الظاهر والمدد المكين جليل الشأن عظيم البرهان حضرة الشيخ رسلان فدخلنا لمقامه اللطيف و وقفنا قبالة وجهة الشريف وشاهدنا كواكب الهيبة في أبراج تلك لحضرة طالعة وبوارق العظمة و الجلال في أفلاكها لامعة فحينئذ لزمنا التذلل و الخضوع وقرأنا لحضرته بالحضور والخشوع والتمسنا من بركاته واستدعينا عاجل مدده وفيض فيوضاته ورأينا ضريحه بين قبرين مسامتين له في ذلك اللحد فسألنا عنهما فأخبرنا عن الذي من جهة وجهه أبو عامر المؤدب وعن الذي من ورائه خادمه المشهور بأبي المجد واختلف في صاحب هذا القبر الأخير على أقاويل من جملتها قيل أنه نجم الدين ابن اسرائيل صاحب النظم المشهور على لسان أهل التوحيد ببدايع المعاني ولطائف المباني وذكر المواجيد فقرأنا لهما الفاتحة أيضاً وشربنا لأجل التبرك من قناة الماء التي في شباك الشيخ الفايضة فيضا ثم جلسنا خارج الحضرة على تلك الصفة وتوجهنا جهة تلك القبور في الجبانة التي ملائكة الرحمة بأهلها محتفة وهي جبانة كبيرة مسلكها من هذه الجهة صعب فأردنا أن نتبرك بزيارة أهلها لا سيما بزيارة سيدنا أبي بن كعب لكن بسبب الأستاذ لم تتيسر الزيارة والأهل في الله أن نعود مرة ثانية ونفوز بربح التجارة ثم عدنا من حيث أتينا فوجدنا الطعام حاضراً فتغدينا واستقمنا بقية ذلك اليوم وتمام تلك الليلة في سرور و إيناس بزيارة حضرات الأولياء والأصحاب سادات الناس إلى أن انمحت ظلمة الليل الداج بإشراق نور الصبح الوهاج وكان ذلك الصبح صبح يوم الأربعاء ثاني ذي الحجة الحرام حررنا فيه المكاتيب للأهل والأحباب والأصدقاء الكرام ولم نفرغ من ذلك إلى مغيب الشمس وبتنا

تلك الليلة لم نذق طعم الكرى من شدة هيجان النفس فلما أدبر الغسق وبدا حاجب الفجر و افتلق وكان ذلك اليوم يوم الخميس الثالث يوم من يوم ذي الحجة المقضي فيه بفراق أنس الجليس صلينا فريضة الصبح بمن حضر وانبعث على فقد الأحبة الخواطر و الفكر..))

وصول البريد من ادلب:

فبينا نحن في حال كئيب إذ بأحد الرسل راجعاً من الوطن بخبر ضياع المكاتيب ومعه كتاب من قرة العين والروح التي بين الجنبين ولدنا السيد إسماعيل مخبراً عما حدث عندهم بضياع المراسلة من الخطب الجليل فألقى في أفكارهم أن التحرير من أصله معدوم وما هو إلا لفقد أحد منا معلوم فحصل لهم الاضطراب واجتمع الأهل و الأقارب و الأحباب وقامت قيامة الأكدار وعدم القوم العقل والاصطبار مع ما انضم إلى ذلك من أفول كوكب الخلان ومغيب شمس الأخوان المحب الصادق في حبه و وداده و الخليل الذي لم تبلغ الأخلاء معشار عشر شفقته ورشاده الأخ المرحوم السيد محمود أغا أبو زيد زاده بلغه الله الحسنى العالية و زيادة وسقى الله ثراه صيب الرحمة وغمره بفضله ومغفرته دعمه فازددنا كدرا على كدر وجف دمع العين بعدما كان انحدر وكاد أن يذهب الشعور من ترادف هذه الأمور فاستعملنا الصبر على البلوى وسلمنا الأمر لعالم السر والنجوى للعلم بأن القدر لا ينفعه معه الحذر وما كتب على الجبين يستوفي ولو بعد حين ولا سيما تجرع كاس المنون فإنه حق وإنا به مؤمنون ولنا أسوة بمن أنزل عليه في محكم الكتاب المكنون تسلية لكل قلب محزون أنك ميت وأنهم ميتون اللهم اجعلنا من اللذين إذ أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ليخرج لنا توقيع أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وأردت أن أكتفي بسفر ابن الأخ ورفقائه عن تحرير جواب الكتاب إلى الوطن لعدم الاستعداد لذلك وكثرة ما بي من الألم و الحزن ولكن اتفق رأي الجماعة والقوم على تحريره وإرساله ولو وصل قبل المتوجهين بيوم فسطرته والفؤاد بنار الأحزان يلتهب والكبد على جمر الكدر والأشجان يتقلب ولولا ساعة من ساعات التلهي اختلستها ولحظة من لحظات الغفلة اختطفتها لما قدرت على تحرير تلك الكلم ولا على رقم حرف واحد مفهم ثم إن الجماعة لما دنى وقت الظهر تهيئوا للسفر وكان الأستاذ خرج لزيارة المقبرة فقدومه منتظر فإبطاء حتى انقطعت بقدومه تلك الساعة الأطماع وآيسوا حينئذ من الاجتماع بسعادته و الوداع فخرجنا مشيعين لهم لأجل الوداع إلى الباب وقرأنا لهم الفاتحة ودموع العين في انسكاب وإذا بالأستاذ

الأفخم قد أقبل قبادر كل لراحته وقبل فشافهنا بالخطاب تسلية لنا وجبراً لقلوبهم بقوله أنا نذهب معهم للوداع إلى محل ركوبهم فذهبنا صحبته في معيتهم إلى خارج باب السلام فودعناهم عند مقام السادات الشهداء الأصحاب الكرام وهؤلاء الأعزة الانجاب مدفونون بمسجد يسمى مسجد الأقصاب فقرأنا الفاتحة لأرواحهم الشريفة وعدنا فمررنا في الطريق على جنينة لطيفة فأمر الأستاذ بدخولها في ذلك الآن وما قصده إلا التسلية لنا وطفي أوام الأحزان فدخلنا تلك الجنينة التي في غاية الشراحة وجلسنا لزوال التعب وحصول الراحة فواسانا مواساة الأخ لأخيه ولاطفنا ملاطفة الوالد لبنيه ثم خرجنا من ذلك المكان قبيل العصر وأتينا محلنا وقد فترت ثورة القلق والحصر فبتنا تلك الليلة على أحسن حال متسلين بمشاهدة طلعة الأستاذ البديعة الجمال إلى أن انشق غسق الليل عن صبح يوم الجمعة المزيد الرابع يوم من ذي الحجة الذي بفضل عرفة فريد صلينا الفريضة المكتوبة ودعونا الله تعالى بالدعوات المطلوبة ثم في صحوة ذلك النهار دخلنا صحبة البيك ذي المجد و الفخار إلى مجلس حضرة الأستاذ الذي لجميع الكمالات حاوي فبعد الاستقرار و الجلوس طلب من البيك المحترم المبادرة في زيارة الجباوي فنهض البيك المحتشم حفظه الله حالاً على الأثر وبادر بتوجيه مؤنة السفر وقد استقر الرأي والاصطلاح على تحريك الهمة للسفر في الصباح فلما أسفر صباح يوم السبت الخامس يوم من ذي الحجة الحرام هيئنا الدواب للركوب جهة المقصد و المرام ثم أنا ودعنا نحن و البيك الجماعة ورفعنا من مركب الترحال شراعه إلى أن وصلنا بعد ساعة للقدم وقد سبق رسول البيك بتهيئة الفطور وتقدم وإنما سمى بالقدم لوجد تأثير قدمه الشريف عليه الصلاة والسلام في حجر كان في ذلك المحل من الرخام وكان على جهة المكان الذي فيه الحجر درابزون في غاية الإتقان فلما أرسل الوزير الخطير أحد بني العظم الحجر للأستانة بطلب حضرة السلطان أرسل ذلك الدرابزون إلى تكية الشيخ عبد الغني ووضعه في جهة من جهة مقامه السني فنزلنا في قبة الحاج ذات السواري ونزهنا النواظر في سعة ذلك الفضاء والخضرة والماء الجاري ثم دخلنا لزيارة ذي النور المتلالي حضرة الشيخ أحمد العسالي فرأينا عليه من المهابة والجلال ما يقصر عن الإحاطة بوصفه المقال فقرأنا الفاتحة لحضرته الشريفة والتمسنا من فيوضات امداداته المنيفة ثم خرجنا من شريف حضرته مشمولين بنوافح معطار بركته وصعدنا للقصر الذي بناه الوزير المرحوم محمد باشا العظم قوال بنضرته وإطلاقه عنا الهم والغم ثم أحضرت المائدة فأكلنا وحمدنا المولى على نعمه

الزائدة وبعد أن صلينا الظهر بيسير ركبنا متون الخيل وجددنا في المسير إلى أن وصلنا إلى قرية العباسية الذي منّ الله علينا فيه بزيارة ذلك الأسد قدم لنا الفطور ..))

جولاتهم حول دمشق:

ولم يكن لنا عن ركوب الطريق فتور فدخلنا تحت ذلك النقار فنقرت حوافر دوابنا طيور أحجاره بالمنقار وما هو إلا كمنقار سعسع الذي سنا نظم العارف النابلسي في وصفه شعشع حيث قال :

بحسب الحال ** كلما جاءت الدواب إليها ** نقرتها بذلك المنقار

ثم لم نزل ندور معه حيث دار ونصافح بأكف الحوافر أيدي هاتيك الأحجار ولم نزل سائرين إلى وقت الظهيرة فنزلنا خارج دير ماكر على ساقية ماء صغيرة وكان معنا كديش من النحول توقف فاحتوشته ضواري ذلك المنقار فجعلت تختطف من بشرته وتتلقف ولم ترض منه بهذا الحال حتى نصبت له فنح النكال فوقع فيه وسقط فأقمناه بعد الجهد فإذا مكسور اليد من الوسط فقادوه بالسهولة لدير ماكر حتى فات فبعد الرجوع إلى الشام جاء الخبر بأنه مات ثم بعد شرب القهوة وزوال التعب سرنا قاصدين من في ركوب هذا الطريق الوعر هو السبب حتى أشرفنا على (جبا) ولاحت لنا بوارق أنوار ذلك المجتبي فدخلنا تلك القرية التي لا تشبه القرى واجتمعنا بأهلها الذين ليس للمسافر عندهم بسبب الفقر قرى فرأينا جدرانهم بطاق واحد من الأحجار مصفوفة وظهورها بأنواع الأخشاب مسقوفة تكاد تنالها الأيدي لدنوها وقربها ومع ذلك ليس لها طاقات ومنافذ إلا من أبوابها ولصغر أبوابها يفتقر الداخل لمطأطأة الرأس ثم إذا دخل لا يبصر ما فيها إلا بنور النبراس وأهل تلك القرية ليس لهم متاع ولا درياش ولا يوجد عندهم وساودة ولا لحاف وفراش كأنهم يفترشون من تحتهم الأرض ويتدثرون بالسقوف في الطول والعرض وليس عندهم ماء جمع ولا آبار ماء نبع من مسيرة ساعة ونصف يأتون به وإذا حضر حصل النزاع بين القوم في شربه على أن لا نلحقهم في أنفسهم بشيء يشين لأمرين أحدهما عدم يسارهم والآخر كونهم من ذرية سعد الدين ثم بعد الغدا بلذة وارتياح ذهبنا لزيارة ذلك المقام ونشر معطاد طببه قد فاح فدخلنا بالخضوع والسكينة والخشوع والوقار والطمأنينة فكاد أن ينكسر فقار الظهر من مهابته و ينخطف البصر من بهاء جماله وجلالته ثم إن بناؤه بالحجر المتين مع غاية الإتقان والتمكين وله روحانية

ونضارة و وضاءة و سفاوه ورأينا في جانب ضريحه قبر أحد أولاده وقبر آخر هو من جملة أحفاده و ولده الكبير الشيخ علي مدفون في جانب حوش المسجد في مكان مخصوص فقرأنا لحضرته ولمن دفن عنده ما تيسر من القرآن ولنجله المذكور فاتحة بالخصوص وعدنا لدى حضرة الأستاذ في محل نزوله وصلينا فريضة المغرب بعد حلول الوقت ودخوله ثم أمر الأستاذ بإيقاد المصابيح بعد أن أرخى الليل ذيله وطلب من أولاد الشيخ أن يهيئوا النوبة لقيام الذكر في تلك الليلة فبعد الفراغ من العشاء ودخول وقت العشاء ذهبنا نحن و البيك المحترم صحبة الأستاذ على الأقدام لزيارة ذلك الأسد الهمام فدخلنا معهم كالدخول السابق وشممنا نشر عرف جدته العابق وقرأنا لحضرته الفاتحة ودعونا الله تعالى بالدعوات الصالحة فجلسنا بين المسجد والحضرة في مكان ودقت النوبة السعدية العظيمة الشان وجلس الأستاذ في الحضرة وحده وقدح الحال في الأفئدة زنده فلعب بذرية الجباوي الغرام وتصاعدت زفرات الوجد والهيام وقام الذكر على صوت الحادي فأشرق سنا الأسرار في ذلك النادي وفي تلك الحال خرج الأستاذ في كوكب الجمال يهتز طربا ويميل ومن صفو راح الحب نشوان ثميل فيا لها من ليلة ما أبهاها وساعة ما أشرقها وأجلاها ثم بعد فراغ الذكر عدنا لمحل النزول رافلين بإبراد الحمد و الشكر ومالت النفوس للنوم فلم ترقد تلك الليلة أعين القوم لكثرة ما في تلك البيوت من البراغيث مع عدم المجير منهم والمغيث فوجدنا لها وثوبا كوثوب الذباب على غنم أهل البادية من الأعراب ولقد شكى العارف النابلسي براغيث سعسع ذات الأذناب مع أن أهلها أضافوه حتى بعليق الدواب فقال فما أكلنا من ضيافتهم مقدار ما أكلت منا براغيثهم فكيف بمن لم يضيفوه بل هو قد أضافهم لجدير بأن يبادر بالشكوى حيث لم يكن في مقابلة ذلك جدوس فيا لها من ليلة برغوثية هجمت عساكرها على الأجسام فأوقعت فيها النكاية والأذية قد أحرمت الجفون الوسن وأذكرتنا نعمة بالراحة والرفاهة بالوطن واستقمنا إلى أن طلعت طلايع الصباح ونفضت الديوك أجنحتها للصياح ذلك اليوم يوم الاثنين الكريم السابع من ذي الحجة الذي فضله عميم صليت الصبح في مقام سعد الدين وجلست تجاهه فقرأت له سورة يس فودعنا ضريحه الشريف وطلبنا منه الإمداد للسفر تلك الساعة فتجلت علينا غمامات الشتاء بالطل ونقطتنا السحب بدرر الوبل فسرنا إلى أن وصلنا إلى تلك الأحجار النواقير فأغارت على دوابنا أطيارها بالمناقير فكنا بين غمام من فوقنا يقطى ونقار من تحت أرجلنا ينقر ولم نزل هذا الحال ساعة من الزمان فتقشعت الغيوم ووجه الشمس قد بان فلم يبق من المشقة سوى نقر الحوافر إلى أن وصلنا إلى قرية(كناكر) فبتنا تلك الليلة في مكان تؤم

مكان جبا غيران براغيثه لم تبرز لنا من الخبا فحصل لنا بالنسبة لجبا في المنام راحة ولم نزل نائمين حتى أبدى يوم الثلاثاء صباحه وكان اليوم الثامن من ذي الحجة الميمون فقرت بطلوع ذلك الصباح العيون فركبنا وسرنا مع الأستاذ ذو الرفاق و بالقدوم على الشام استنارت الوجوه بالإشراق حتى وصلنا إلى دير ماكر نزلنا خارج القرية أفطرنا وكل منا لله تعالى حامد شاكر ثم ركبنا وأبذلنا في السير المجهود لنتخلص من تلك العقبة الكؤود فما تخلصنا منها إلا بالقرب من قرية كوكب فحينئذ حصلت الراحة للراكب والمركب ونزلنا على ساقية من الماء فاستكان الجسد وزال بعض التعب و الإعياء ثم ركبنا وسرنا إلى أن أقبلنا على بلدة داريا الكبرى فلمعت في خواطرنا بوارق الذكرى وشاهدنا عن بعد مقام أبي مسلم الخولاني وكذا مقام أبي سليمان الداراني فقرأنا لكل فاتحة على حدته وجاء حصول مدد كل وبركته وقد ذكروا لنا أن مدفن بلال الحبشي بحذاء أبي مسلم الخولاني فقرأنا لحضرته الفاتحة ولكل من في المقبرة من قاص وداني وكذلك على ما بلغنا وقيل أن نبياً من بني اسرائيل هناك يقال له حزقيل فخصصناه بفاتحة شريفة والتمسنا من فيوضات بركاته المنيفة ثم نزلنا في(جفتلك داخل داريا) فنالت القلوب بأكل عنبها رطوبة وديا فتغذينا بما بقي معنا من الزاد وحصلنا بالزيارة على المراد ثم ركبنا وسرنا إلى أن وصلنا القدم الذي كانت في السفر من البداية وإليه منه العود والنهاية فقرأنا الفاتحة لصاحب القدم العالي حضرت الشيخ أحمد العسالي قم أشرفنا على باب الله وقرأنا الفاتحة هناك لأهل الله ثم مررنا على المقبرة التي فيها صاحب المقام السني الولي الكبير والعلامة الشهير الشيخ الشهير بالحصني فقرأنا له ولمن في تلك الجبانة الفاتحة ودعونا الله بالدعوات الصالحة فلما كان قبيل العصر دخلنا الشام ذات الثغر البسام و وصلنا بحمده تعالى لمحل الإقامة مصحوبين بالصحة والعافية والسلامة وجلسنا في مكاننا الأنور و ألقينا عنا ثقل المشقة و وعثاء السفر وبتنا تلك الليلة فرحين بحصول الراحة ومشاهدة الأصدقاء والأحباب ذي المحاسن والملاحة إلى أن طلع الفجر وحصلنا بأداء الفريضة على الأجر وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء يوم عرفة عند أهل الشام التاسع من ذي الحجة بالنسبة إليهم لا إلى أهل مكة والبيت الحرام حضر فيه لمعايدتنا ومعايدة الأستاذ الحبيب القلبي عمدة العلماء الكرام السيد الشيخ سعيد أفندي الشامي الحلبي فجلس حصة يسيرة لدى الأستاذ المحترم ثم حضر لدينا فكانت ساعة بالمذاكرة تغتنم ثم حضر بعده العالم الفاضل ذو المقام الأدبي الأخ الأمجد السيد الشيخ عبد الرحمن أفندي الادلبي حياه الله وبياه ولا أفلت شمس محياه فإنه منذ ذهب الأهل و الأقارب كوكب جوده لدينا طالع ليس بغارب ففي كل

صباح ومساء عندنا ملازم مع التصدي لقضاء المصالح و اللوازم وقد استمر الإصدار و الإيراد على هذا الحال إلى أن دخل وقت الزوال ولما دنى وقت العصر نزلنا إلى الجامع صلينا فريضة الوقت وتملينا بزيارة ذي النور اللامع والسر الجامع الحصور الأكرم والرسول المحترم ثم عدنا لمكاننا المعهود العامر بمطالع كواكب أهل الفضل و الجود فقبيل المغرب تعشينا ثم بعد الجماعة صلينا ولا يخفى أن الغريب مهما كان في سعة وعيش رغيد يستوحش بتذكر أهله و وطنه في مثل ليلة العيد فخلوت تلك الليلة في سري وجعلت نديمي إذ ذاك فكري وإذ بحضرت عمدة العلماء المحققين ونخبة الأئمة الفضلاء المدققين الذي تواتر حديثه العذب وتسلسل واشتهر خبره المطلق فصح أن بقيد البلاغة مسلسل جناب شيخنا الشيخ نجيب أفندي لا زال فايحاً معطار نشره الندي قد دخل لحضرت الأستاذ ولم يكن معنا خبر ثم دخل علينا و شذا عرف فضله وكمالاته انتشر فنشر علينا من بحار أبحاث علومه درراً نفيسة شريفة ومن أزهار بستان فضله ثمار المسائل اللطيفة ثم ذهب بمن معه من القوم وتاقت النفس للنوم فنمنا بعد أن صلينا العشاء

العيد في دمشق:

إلى أن زال عن عين الصبح الغشاء وكان ذلك اليوم يوم الخميس الذي هو العيد الكبير العاشر بحساب أهل الشام من ذي الحجة المنير فابتدر المؤذنون بعد ذهاب الليل الطويل وصعدوا المنارات ورفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل فتوجهنا للصلاة في الجامع الأموي فوجدناه قد غص بالناس من مدني وقروي واجتمع فيه السادات الأكياس في أبهى زينة وأحسن لباس فصلينا العيد واستمعنا الخطبة ثم صافح كل صديق صديقه وكل محب حبه ثم عدنا من الجامع إلى المحل وعايدنا البيك المحترم والأستاذ الأجل ثم أقبلت السماء بالغمام وأنهل وبلها بقطى كالدرر النظام وقد كان الناس من اضمحلال ماء الأنهار وقلة الأمطار في كرب شديد فصار لهم ذلك اليوم عيدا على عيد واستبشروا في تلك السنة بزوال القحط والسنة ولم نزل ذلك اليوم في منزلنا مقيمين وبتذكار الوطن والأهل لهجين وقد كان من عادة الأستاذ قبل توجه ركب الأهل إلى الأوطان أن يأمر بقيام الذكر بعد العشاء كل ليلة على أي حالة كان فلما قصدوا بلدهم ولم يوجد من يسد مسدهم جعل بدل الذكر قراءة شرح ورد السحر لمؤلفه الإمام الهمام الذي شاع ذكره واشتهر فوظف على هذا الحقير في كل ليلة قراءة شيء يسير فشرعنا تلك الليلة في قراءته وبعد الفراغ قرأنا الفاتحة لحضرته وبتنا تلك الليلة على تلك الحال التي تجلب الاسقام والبلبال إلى أن طلع

نجم الصباح ونجم وقت الاصطباح وكان ذلك اليوم يوم الجمعة السعيد الحادي عشر من ذي الحجة الذي يربو فضله على بقية الأشهر الحرم ويزيد فأدينا ما وجب من الصلاة وحصلنا إن شاء على جزيل الصلاة فحضر عندنا بعض المحبين إلى أن دنى الوقت خرجوا بسرعة فجددنا الوضوء وخرجنا في أثرهم لصلاة الجمعة ثم عدنا لدى حضرت الأستاذ ذي الطلعة السنية فوجدناه متهيئاً لزيارة(الصالحية)فذهبنا صحبة سعادته ونزلنا في التكية عند ذرية الأستاذ النابلسي وحفدته وتشرفنا بزيارة العارف النابلسي في ذلك اليوم وتسلينا تلك الليلة برؤية مطالع محيا صدور المجالس و وجوه القوم فلما أصبح الصباح وأشرقت تلك النواحي بالوجوه الصباح وكان ذلك اليوم يوم السبت المبارك الذي في الفضيلة لا يداني ولا يتدارك ذهبنا لجامع الشيخ الأكبر وصلينا الفريضة بعدما اتضح الصبح وأسفر ونزلنا لمقام ذلك القطب الهمام والأسد المقدام وجلسنا مقابل وجهه الكريم وقرأنا ما تيسر من القرآن العظيم وأهدينا ذلك لروحه راغبين في فيوضات كرمه وفتوحه وقرأنا الفاتحة للمدفونين في مقامه وأعطينا ما ألهم به المولى لخدامه ثم عدنا إلى المقام السني وقرأنا ما تيسر لحضرت سيدي عبد الغني ثم استأذنا ولاده السادة وتوجهنا إلى الشام فبينما نحن في الطريق إذ بالبيك المحترم خرج ملاقياً لنا بالحشم والخدام فسرنا جملة إلى أن مررنا على مقام الأصحاب الشهدا أهل الفضائل والمنح والجود والندا فوقفنا لقراءة الفاتحة تجاه مراقدهم المباركة المحفوفة بأنوار الأرواح القدسية والملائكة ثم سرنا إلى أن وصلنا لمكان البيك المحترم واجتمعنا بكل حبيب عزيز وخل مكرم واستقمنا ذلك اليوم الشريف نتلقى الواردين للمعايدة من عالم فاضل وكامل لطيف ثم بعد صلاة المغرب والسنة ورفع الأيدي بالدعاء لمن له الفضل والمنة دعاني الأستاذ لقراءة شرح الورد البكري على العادة فقرأت مقدارا يرضي الأستاذ بحيث لا يطلب زيادة وبتنا تلك الليلة بصفاء الخاطر والجنان إلى أن أومضت بروق الفجر ذات اللمعان وكان ذلك اليوم يوم الأحد الفريد الثالث عشر من ذي الحجة السعيد ذهبنا فيه لمعايدة ذي المقام الفردي جناب الشيخ نجيب أفندي فدخلنا لمجلسه الأزهر وتمتعنا برؤية محياه الأنور فحللنا من حدايق أخلاقه جنات النعيم وتملينا بين أغصان عباراته بلطائف النسيم وحيث أنه يوم عيد لا يقتضى التطويل استأذنا وخرجنا ولم نشف من مطرب عباراته الغليل فشيعنا إلى الباب وعاد لموانسته الواردين من الأحباب ثم قصدنا زيارة من بكل وصف جميل حري الشيخ عبد الرحمن أفندي الكزبري فتلقانا بصدره الرحيب ومنطقة العذب الرطيب فلبثنا عنده ساعة لطيفة واقتطفنا من ثمرات أزهار كلماته الشريفة واستأذناه في الذهاب فخرج أيضا أمامنا إلى الباب ثم

أتينا لمدرسة الكلاسة لزيارة الشيخ سعيد أفندي الحلبي صاحب الذكاء والفراسة فوجدنا مكانه غاصاً بالأحباب والمريدين فحيانا تحية الأخلاء وتلقانا تلقي الأكابر والمقربين وكان من عادته في محله لا يسقي القهوة فأبدلنا مكانها بالرجلات الحلوة ثم خرجنا من مجلسه بعد الاستيذان فأجرى العادة بالتشيع إلى خارج المكان ثم عدنا لمحلنا ببلوغ الأمنية وأقمنا فيه على أحسن حالة مرضية ولما دنى وقت العصر ذهبنا لزيارة فريد الوقت والعصر ذي المشرب الصافي والمنهل الوافي السيد الشيخ عمر أفندي اليافي فتلقانا بالإجلال والإعظام وعاملنا بالإعزاز والإكرام وجرى بيننا وبينه في مجلس الاجتماع ما تقربه العيون وتستلذه النفوس والأسماع ثم توجه منه الكلام بالسؤال عن تجلى حضرة الأستاذ الهمام فأخبرناه أن الوقت والآن مشتغل بمطالعة بعض تأليف العارف النابلسي عظيم الشان ولعل تصحفه هذه الرسائل يكون لحكم ومقاصد و وسائل وقد أخبرناه أنه يبحث الآن عن رسالة من يلهو للعارف النابلسي في اسمه تعالى هو فأخبرني الشيخ المذكور أنها رسالة بديعة المباني فريدة المعاني قد متع النظر فيها واستخرج درر خوافيها فسألته عن السبب الموجب للتأليف و الوضع فأجاب للرد على بعض النحاة القائلين بأن أفراد هو في الذكر مع قطع النظر عن الخبر في حيز المنع و الحامل له على الامتناع ما ذهب إليه من الرأي والنظر أن هو مبتدأ والمبتدأ لا تتم فائدته إلا بالخبر وقد أجاب العارف النابلسي في تلك الرسالة بأجوبة عديدة كافية شافية كلها سديدة وكما منعوه بهو منعوه أيضاً في لفظ الجلالة و ألزموا الذاكر بهذا الاسم الشريف بعد النطق به ملاحظة الخبر لا محالة فأرشدني اليافي بقوله الشافي إلى ما أجاب به العارف النابلسي أيضاً عن الذكر باسم الذات السبحاني أن الذكر به من غير ذكر الخبر ورد به النص القرآني قد خاطب الله به مصطفاه بقوله عز من قائل قل الله ثم بالمناسبة انتقل البحث إلى تعريف العلم وأنه على مذهب النحاة لا ينطبق على لفظ الجلالة لما في ذلك من مذلة القدم لأن العلم ما وضع على شخص أو شيء بعينه غير متناول ما أشبهه فتطبيق هذا التعريف على لفظ الجلالة يحتاج ليقظة قلب و عين منتبهة لأن وضع العلم على الشيء فرع عن الحكم عليه بأنه شيء والحكم عليه بأنه شيء فرع من تصوره والله تبارك وتعالى منزه عن الصورة فلا يقول بإثباتها الأحائد عن الحق ساقط في مهواة تهوره فإن حكم عليها بالصورة فمزلة قدم وإن لم يحكم عليها بذلك فيكون التعريف قاص غير جامع لأفراد العلم مع أن هذا التعريف المذكور هو ما عليه الجمهور فذكر لي الشيخ المومى إليه ما أجاب به العارف النابلسي بطريق التلخيص بما يشفي الغليل غير أني ذو نسيان فتقر في ضبط هذا التقرير

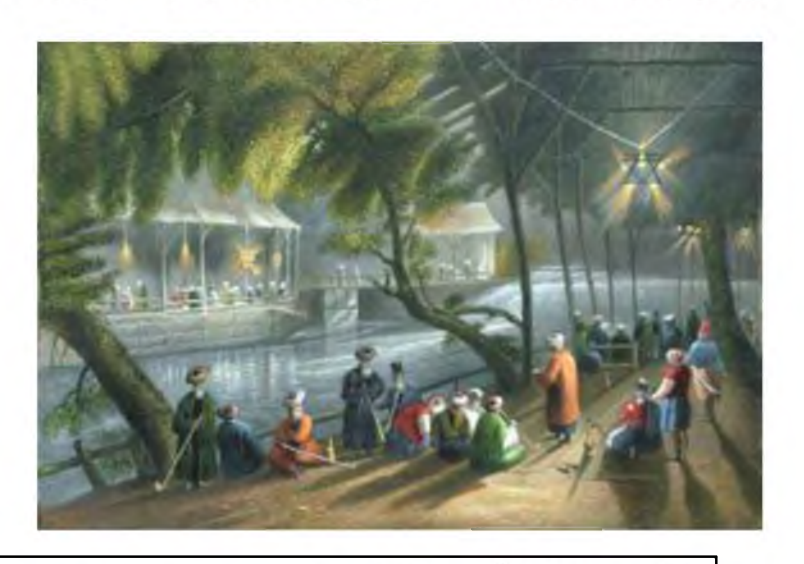
لتحرير وليس إليه ذلك الوقت من سبيل ثم بعد استيفاء المجلس الأنس استأذناه في الذهاب فخرج مشيعاً لنا لأحكام بيان المحبة على قواعد التأسيس ثم عدنا لمحلنا على الأثر وصلينا فريضة العصر بمن حضر وبتنا تلك الليلة في أكمل مسرة مصحوبين بالصحة والعافية على أرفع أسرة إلى أن طلع الفجر وجعل المؤذن وصعد يعلي بالصلاة ويؤذن فأدينا الصلاة بالجماعة على قدر الطاقة والاستطاعة وكان ذلك اليوم يوم الاثنين الرابع عشر ذي الحجة المبرأ من الوصم والشين طلب فيه حضرة الأستاذ المحترم بستاناً من جناب البيك المحتشم فأمر حضرت البيك المذكور بفرش بستان من الصالحية من بساتين والده الدستور الوقور فهيئنا للمسير ظهور المطايا وإذا برجل قد أقبل من جهة السرايا يخبر أن حضرة الآغا الذي هو المتسلم مراده أن يتشرف بلثم راحات الأستاذ وعليه يسلم فانتظرناه نحو ساعتين فلم يأت إلى بين الصلاتين فدخل بالأتباع والخدام على عادة رسوم الوزراء العظام فجلس عنده ساعة من الزمان ثم استأذن وخرج من المكان..))



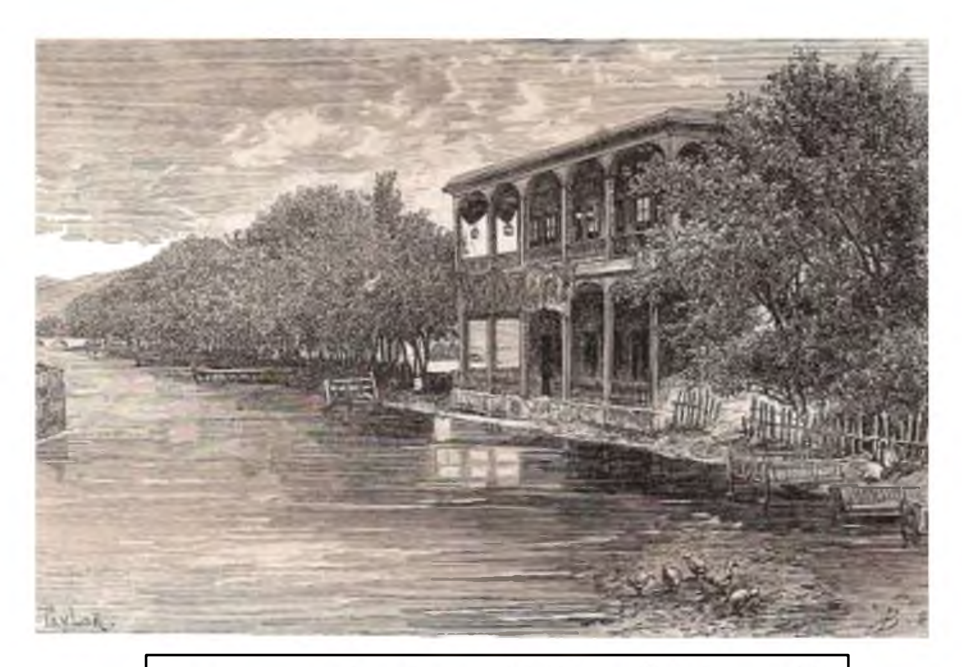
(الصورة ٣٨-نهر بردى عند التكية السليمانية –قافلة تحط رحالها-عن بارتليت١٨٣٦م

تنزههم عند نهر بردى:

فحين خروجه ركبنا الدواب وسرنا إلى ذلك المتنزه المستطاب فدخلنا إليه وجدناه عديم المثال وجديراً بأن تضرب به الأمثال النهر داخل فيه وعليه ناعورة ومما يليها سرير على النهر



(الصورة ٣٩)أحد متنزهات نهر بردى ..رسم الرحالة بارتليت ١٨٣٦م(معدلة بالألوان)



(الصورة٤٠ أحد متنزهات دمشق على نهر بردى —رسم بارتليت ١٨٣٦م

مؤلفات النابلسي:

وكان إذ ذاك بين يدي حضرت الأستاذ مجموع رسائل جمة كلها تأليف العارف النابلسي قادة هذه الأمة فكاشف بما في الضمير من تلك الواقعة فاستخرج رسالة وأمران اشتغل فيها بالمطالعة فتأملتها فإذا هي الثمرة التي أروم اقتطافها واللؤلؤة المكنونة التي أندب استخراج أصدافها فامتلأت سرورا ومرادا وقررت ناظرا وفؤادا فأحببت أن أطرز بها هذه الرحلة وأجعلها تبركاً بنفس مؤلفها بردة لها وحلة قال مؤلفها ذو الروح الأنسي والنفس القدسي القطب الكبير الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله سره وأعلى في الفردوس مقره :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الهادي للصواب والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وجميع الأصحاب أما بعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه الخبير عبد الغني النابلسي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي قد سألني بعض أصحابنا أن اكتب له شيئاً على تعريف العلم والجواب عما ورد عليه من الأشكال فأجبته إلى ذلك والله ولي التوفيق والهادي إلى طريق التحقيق أعلم أن قول النحويين في تعريف العلم أنه ما وضع على شخص بعينه غير متناول ما أشبهه أو على شيء بعينه غير متناول ما أشبهه يحتاج في معرفته إلى أصلين الأول في معرفة الشخص ومعرفة المراد بهما في هذا الكلام والأصل الثاني في معرفة قولهم بعينه غير متناول ما أشبهه وحاصل الأشكال على هذا التعريف أن يقال وضع العلم على الشيء فرع

عن الحكم عليه بأنه شيء والحكم عليه بأنه شيء فرع عن تصوره والعلم الموضوع على ذات الله موضوع على ما لا يمكن تصوره لأن الله تعالى منزه عن التصور لأن التصورة حصول الصورة في الذهن والله تعالى لا صورة له حتى تحصل في الذهن وإذا لم يكن له صورة لا يمكن تصوره البتة فيكون تعريفهم لعلم قاصراً عن جميع أفراد العلم فليس جامعاً ولفظ الجلالة داخل في الأعلام الموضوعة لغة مع أنه ليس على مصور ولا مكيف فلم يكن التعريف مانعاً ولا بد من الجواب والله أعلم بالصواب وأصل الجواب منحصر في أصل المشار إليهما أما الأصل الأول فهو في معرفة الشخص والشيء ومعرفة المراد منهما فنقو الشخص هو كل ذي صورة حسية أو خيالية والشيء هو الموجود إما على كون العبارة في تعريف العلم مشتملة على لفظ الشيء فلا ينبغي أن يتشكل لأن الشيء إذا كان عند أهل السنة والجماعة بمعنى الموجود والله تعالى يطلق عليه أنه شيء قال تعالى قل أي شيء أكبر شهادة قل الله غاية الأمر أنه يقال فيه تعالى أنه شيء لا كالأشياء حتى يمتاز وجوده عن وجود ما سواه وأما الحكم على الشيء بأنه شيء وأنه فرع عن تصوره فنقول أن التصور حصول الصورة في الذهن والصورة تابعة لذلك الشيء المتصور فالشيء الذي لا صورة له صورته أنه لا صورة له لعدم الصورة كما قالوا في علامة الحرف عدم العلامة له علامة فلا يبقى في تصور الشيء الذي هو الحق سبحانه وتعالى إلا أنه لا صورة له في حقيقة ذاته فعدم تصوره هو تصوره فيرجع الأمر إلى الحكم على أن لا صورة أنه صورة مقيدة بعدم الصورة

ويبقى الفرق بين الحق والعدم المحض أمر تعبدي وهو اعتقاد الوجود المتصف بالصفات اللائقة به الواردة عنه على حساب ما هو عليه لا على حسب التصور فيكون الحق والعدم متساويان بالنسبة إلي فهو مناد عقولنا ولا فرق إلا بذلك الأمر التعبدي وهو الإيمان باعتقاد الوجود و الصفات اللائقة به وأما في حقيقة الأمر فلا شبهة في الفرق كالفرق بين الإثبات والنفي لكن ذلك الفرق إنما هو بالنسبة إلى الحق لا بالنسبة لما نحن عليه من الإدراك العقلي ولا ننكر نسبة الصورة إلى الحق تعالى كما ورد في الحديث الشريف((إن الله خلق آدم على صورة الرحمن)) فصورة الرحمن صورة صفاته ولهذا خص الرحمن لأنه من أسماء الصفات وصورة الصفات هي صورة أفعاله تعالى وصورة أفعاله تعالى هي صورة منفعلاته

والمنفعلات هي جميع المخلوقات وآدم هو صورة جميع المخلوقات فآدم عليه السلام حينئذ مخلوق على صورة جميع العالم وصورة جميع العالم منفعلة على صورة الأفعال الإلهية على معنى أنها آثار الأفعال ومقتضياتها ومقصودات توجهاتها الأزلية وصورة الأفعال هي صورة الصفات الأزلية على معنى أن القادر مثلاً يقتضي مقدورا والمريد يقتضي مرادا ونحو ذلك ولكن إذا كان آدم على صورة جميع العالم لا يلزم أن يكون مثله في العظم والمقدار والهيئة وإنما ذلك من حيث الجمعية الكونية وهذا معنى الصورة في ذلك وكذلك حيث قلنا أن جميع العوالم على صورة الأفعال الإلهية فلا يلزم أن تكون مثل الأفعال الإلهية من جهة القدم وعظم الجلال والسطوة لأن العوالم منفعلة حادثة والأفعال الإلهية قديمة وإنما ذلك من حيث كون العوالم

في تلك الأفعال الإلهية بالقوة كما أن الحروف المرقومة في توجه القلم إذا أخذه الكاتب وأقبل به على القرطاس ليكتب ما يعلمه فهي كائنة في ذلك التوجه بالقوة لا بالفعل ثم توجه به في القرطاس بالفعل فيكون الفعل على صورة القوة وإلا لتخلفت القدرة و الإرادة وثبت العجز وهو محال في حق الله تعالى وهذا معنى الصورة وكذلك صورة الأفعال الإلهية على صورة الصفات الأزلية على التنزيه التام فافهم هذا والله ولي التوفيق والأصل الثاني في معنى بعينه غير متناول ما أشبهه فإن قولهم بعينه الضمير راجع إلى الشيء أو الشخص على سبيل التأكيد والمراد على حسب ما هو عليه حقيقة الأمر من غير عدول إلى مفهوم عقلي يوجب التصرف في معنى ذلك الشيء كما أن الإنسان إذا فهم الحجر مثلاً يتصرف بعقله في تصوره بحيث يتصوره شجر أو حيوانا أو نحو ذلك فإنه حينئذ يكون متصوراً لغيره لا له والمراد تصوره ما هو عليه فإن كانت له صورة مخصوصة يتصور صورته المخصوصة وإن كانت له صورة متعددة كالأجسام كلها مثلاً يتصورها كلها وإن لم يكن له صورة البتة كالحق تعالى لا يتصور له صورة أبداً وإلا لم يكن تصور ذلك الشيء بعينه فيكون الاسم الموضوع ليس موضوعاً على ذلك الشيء غير متناول ما أشبهه و المراد بقولهم غير متناول ما أشبهه أي في اسم الشيئية حتى يبقى التعريف جامعاً لجميع الأسماء الأعلام وهذا مقدار ما فتح الله تعالى عليه في هذا الوقت من البيان و الله الموفق قال المؤلف تم في مقدار يسير من الزمان بحمد الله الذي لا رب غيره وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أجمعين ثم لما قاربت الشمس للغروب حضرت مائدة الطعام الفاخر المرغوب فأكلنا بلذة ونشاط وانشراح وانبساط ثم بعد الفراغ نزلنا من البستان إلى شريف المكان فصلينا فريضة المغرب ودخلنا لدى الأستاذ قرأنا حصة من شرح الورد المطرب ثم خرجنا من مجلسه لمحلنا المخصوص واستوفينا بالمذاكرة صحبة السيد الشيخ عبد الرحمن أفندي أهل الكمال والخصوص وبتنا في عيش خصيب وفؤاد بالمسرة رطيب إلى أن رفع الفجر جناح الظلام وفتح آذان المنارات عيون النيام فبادرنا بتعاطي أمور الطهارة ورجونا بأداء ما وجب الحفظ والحقارة وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء خامس عشر ذي الحجة حضر فيه لدينا الأخ الشيخ عبد الرحمن أفندي فتقضت معه ساعة بالمسرة والبهجة ثم بعد انفضاض المجلس جعلنا المطالعة خير نديم ومونس واستقمنا على هذه الكيفية إلى الغروب فنزلنا للأموي الشريف لأداء الفرض المطلوب ثم جلسنا لدى مرقد السيد الحصور صاحب السنا والنور وقرأنا من القرآن العظيم على حسب التيسير ولم يكن بيننا وبين الأرض سوى بساط خلق فحصل من البرودة بعض تأثير فخرجت ولم أشعر إلا وقد لعب الريح من الجنب إلى القدم واشتد ألمه إلى أن صرت إلى حالة من العدم ولم يسعني التخلف عن حضور مجلس الأستاذ ذي الشيم الزكية فحضرته ابتغاء مرضاته بمشقة كلية قم خرجت من مجلسه من غير شعور وصليت العشاء الأخيرة من غير خشوع وحضور ثم توطأت الوطاء بتلك الآلام و الأوهاج أتقلب على نار الاسقام كما يتقلب الفراش في السرج إلى أن من الله علي بسنة من النوم..))

ذهابهم إلى حمام البزورية،وغيرها:

فأصبحت يوم الأربعاء السادس عشر ذي الحجة ذا قدرة مع التكلف على مجالسة القوم فحضر جماعة من الأحباب الكرام ووصفوا لنا دخول الحمام فذهبنا لحمام البزورية ثم خرجنا منه على الحالة الأولية فدلني بعض الأصدقاء على دواء لطيف حصلت به الراحة بسبب التنقية للمعدة والتنظيف وبتنا تلك الليلة بالنسبة لما قبلها في سكون وراحة حتى أظهر طائر الصباح جناحه وكان ذلك اليوم يوم الخميس السابع عشر ذي الحجة طلب فيه من جناب البيك الذهاب إلى جنينة لأجل الفرجة والنزهة فأخذونا إلى جنينة باب السلام التي سبق دخولنا إليها يوم وداع الرفقاء الكرام وهي جنينة تشرف على نهرين وفيها بركة وسلسبيل تقر برؤيتهما العين فاستقمنا إلى العشاء ثم عدنا للمكان قبل العشاء وحصل لنا ذلك غاية الانشراح و السلوان بسماع الأغاني واجتماع الأخوان فقرأنا للأستاذ حصة من شرح ورد السحر إلى أن ملت الأنفس من السهر ثم



(الصورة٤١)حمام البزورية في دمشق

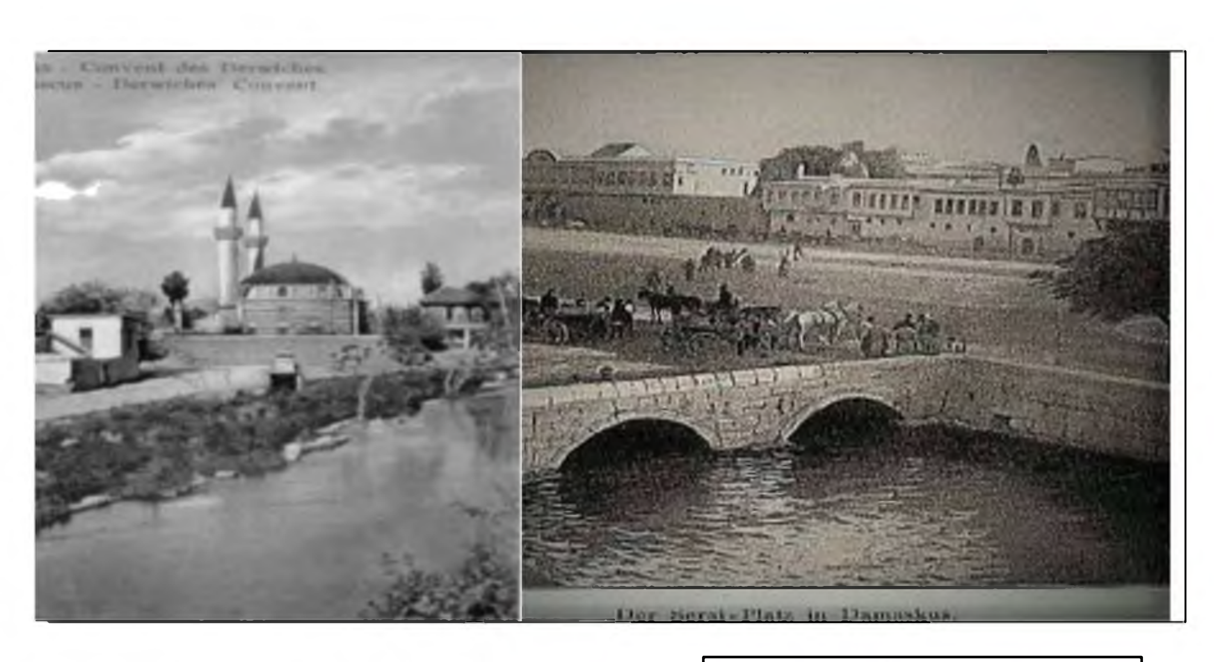
نمنا بعد انصراف القوم إلى أن نادى منادي الفلاح الصلاة خير من النوم صلينا صلاة الفجر السافر وحصلنا على الثواب والأجر الوافر وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الثامن عشر ذي الحجة الذي أسعد الله طالعه ففي ذلك اليوم دعانا جناب البيك صحبة الأستاذ لحمام المرادنية فذهبنا إليه فوجدناه في غاية النظافة و النضارة ومحاسن الزخارف البهية ثم خرجنا من الحمام في معية حضرت البيك كثير الندا وأتينا لمحله العامر فأكلنا ما قسمه المولى من مائدة الغدا واستقمنا ذلك اليوم وليلته من المسرة والقراءة كجري العادة مع أهل الكمال والفضل و المجدة والسيادة إلى أن

تبسم ثغر الظلام عن ثنايا الفجر و نادى المؤذن حي على الفلاح ونيل الأجر فبادرنا بالصلاة رغبة في فضل من غفر و عفى وختمنا التضرع والابتهال بالصلاة على السيد المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجد وشرف و عظم وكان ذلك اليوم يوم السبت التاسع عشر ذي الحجة الذي فقهنا فيه من المرض وحفظ الله علينا فيه المهجة أتى لزيارتنا في صباحه صالح أغا قصاباشي ويليه حضرة عمدة الفضلاء شيخنا الشيخ عبد الرحمن أفندي رقيق الحواشي فجلسنا حصة من الزمان ثم بعد ذهابهما دخلنا لدى حضرت الأستاذ علي القدر و الشأن فوجدناه عنده جماعة من الخاص والعام فجلسنا إلى أن انتهى المجلس وبادر كل بالقيام ثم لما دنى وقت صلاة الظهر الشريفة نزلنا إلى الأموي فرأينا جماعات الصلاة فيه مصفوفة فصلينا ذلك الوقت المذكور ودعونا الله تعالى بتيسير الأمور ثم عدنا لشريف المكان فحضر عندنا جماعة من الأحبة والخلان فتسلينا بريا محادثتهم وتملينا بأنوار مشاهدتهم وبتنا تلك الليلة في طيب عيش وهنا وسرور مع بلوغ منا إلى أن ضحكت ثنايا الصباح ودخل موسم العبادة والفلاح وكان ذلك اليوم يوم الأحد المحمود العشرين من ذي الحجة الذي بالخير معهود صلينا الصبح وجلسنا لطلوع الشمس ثم دخلنا لمجلس حضرت الأستاذ ذي اللطافة والأنس ثم دخل لمجلسه البيك المحترم ذو الأخلاق المرضية فطلب منه حضرت الأستاذ ذلك اليوم زيارة المولوية فذهبنا في معية البيك المحترم إلى المولوية ذات الحضرت العلية والسدة السنية فدخلنا لشريف ذلك المكان وشاهدنا هاتيك الأرجاء الحسان فوجدناها محتفة بالرياض و الأشجار شبه جنة تجري تحتها الأنهار وفيها ايوان مفروش بالحجر المرمر و فستقية ماء ينجلي برؤياها النظر ثم دخلنا لديوانها الواسع الأطراف المفروش بالدفوف المرتجدة الظراف المسقوف عليه قبة عظيمة نزهة للنفوس وحوله سدد عالية مصنوعة للجلوس وفي داخله قبة صغيرة زهية قد دفن فيها شيخ تلك التكية ولجانبه قبر وزير فقرأنا لهما الفاتحة ومن القرآن على حسب التيسير ثم صعدنا في درج وشممنا عرف ذلك الأرج فدخلنا إلى قصر واسع بناءه البهي شاسع فوجدناه يطل على الأبنية والبساتين ينفح فيه عرف تلك الثمار و الرياحين فاستقمنا إلى صلاة العصر بالنشاط والكيفية..))

ذهابهم إلى المرجة،و التكية السليمانية:

ثم ركبنا وسرنا للفرجة على تكية السليما نية فمررنا في طريقنا على المرجة ومتعنا النظر في ذلك الفضاء ذي الأنهر و الرياض ذوات البهجة ثم دخلنا التكية وبلغنا بالفرجة منها الأمنية

فوجدناها واسعة الفناء عالية الأرجاء جهاتها كلها مبنية بالأحجار الملونة وجانباها أماكن للفقراء وأبناء السبيل بمتين الحجر مكونة ثم دخلنا لمسجدها الجامع النضير الذي لم نشاهد له مثلاً في المحاسن ولا نظير بسدة من الحجر المرمر ومحرب أمثلها وكذا المنبر ولها منارتان لأجل الإعلان بالأذان ولها مطابخ ومراتع ومدافق ومنافع وبركة ماء كبيرة وجناين حاوية على أشجار ورياض نضيره وفي الجملة لا يقدر على إحداث مثلها أحد في هذا الزمان إلا ملك عظيم مثل بانيها سليمان بن عثمان ثم عدنا لمحلنا المعمور رافلين بإبرار الأفراح و السرور فوضعت المائدة وحصلنا بالأكل على الفائدة ثم بعد صلاة المغرب الشريفة دخلنا مجلس الأستاذ واقتطفنا من رياض شرح الورد أزهار لطيفة وبتنا تلك الليلة بين أهل الوفا في كمال المسرة والصفا إلى أن أضاء الصباح وصليت الفريضة وحصل الثواب و الأرباح وكان ذلك اليوم يوم الاثنين الحادي والعشرين من ذي الحجة الحسن الزين حضر عندنا جماعة من الفضلاء و الأحباب فجرى بيننا وبينهم مذاكرة أدبية وتعرض لكرامات الأولياء والأقطاب ثم بعد تفرق الجماعة ومضي ساعة طلب الأستاذ الفرجة على مكان المرحوم محمد باشا عظم زاده فكان حضرت البيك المحترم متمثلاً أمره و مراده فذهبنا قاصدين لذلك المكان فعرض لنا في الطريق سليمان بيك أدخلنا



(الصورة٤٢)المرجة قبل وضع النصب في وسطها .يظهر نهر بردى الغزير-أواخرالقرن١٩م

الصورة٤٣التكية السليمانية ونهر بردى

لمحل سكناه بيت المرحوم يوسف باشا جليل الشان فبعد شرب القهوة ونيل الكرامة استدعى من حضرت الأستاذ بأن تكون إلى المساء الإقامة فأجاب دعوته في الحين وأرسل أحضر لسعادته المنشدين واتفق أن مكان محمد باشا المقصود بالذات بالزيارة قريب من المحل الذي نحن فيه وهو في تلك الحارة فذهبنا جملة لذلك المكان وسرحنا النواظر في محاسن ذلك البنيان فرأينا ما يقصر عن وصفه اللسان ويعجز عنه ترجمان البيان ذا قاعات فريدة و بيوت عديدة و قصور عالية رفيعة و ديوانخانات محلات بديعة قد انفرد حرم ذلك المكان بثلاثة أشياء لم توجد في سائر البلدان أحدها قوس في إيوان القاعة مرفوع من كثرة الصناعة فيه يظن أنه من العجين مصنوع وثانيها بركة في القاعة بثمانية سباع من النحاس يخرج منها لمحل النوفرة لا يجاورها واحد وهي بمعيار الهندسة على ذلك المحل معيره وثالثها صحن الدار التي في الظرافة عليها المدار هي من الداخل والخارج مثمنة الشكل وفي جانبيها سبعان من نحاس كأنهما حقيقة خرجا من عرينهما وجلسا في ذلك المحل ثم بعد استفاء الفرجة وبل صد المهجة خرجنا لمحل الدعوة وقضينا من سماع الأصوات الحسنة الشهود واستمر ذلك إلى المغرب الشريفة فوضعت المائدة الحاوية على فاخر الأطعمة اللطيفة فأكلنا بالانشراح و المسرة وتعللنا بشرب القهوة لحين ما رفعت السفرة فذهبنا لمكاننا المعهود ذي الظل الممدود وبتنا تلك الليلة على العادة من قراءة شرح الورد ونيل الإفادة إلى أن ذهب الدجى وطرقت بصلاة الصبح أبواب الرجا وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذي الحجة السني ورد علينا في صباحه عزيزنا المحترم الشيخ محمد



الصورة٤٤)التكية السليمانية في دمشق-
صورة داخلية

أفندي ابن العارف عبد الغني فاستأنسنا بوروده وتملينا بأنوار طلعته وشهوده وشنفنا الأسماع بسيرة جده وروحنا القلوب شميم عرف طيبه ونده ثم ذهب وخلفه من لذروة الكمال حاوي الأخ الأمجد الحاج محمد أغا القطماوي فاستقام إلى صلاة العصر نتلي معه بذكر فرائد من النظم والنثر وبتنا مع أخوان الصفا تلك الليلة على العادة من حكاية ظريفة ومسألة مستجادة إلى أن نفضت الديوك أجنحتها للصياح وهبت نسمات الصباح فأدينا صلاة الصبح الفضيلة وحصلنا إن شاء الله على الأجور الجزيلة وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء السعيد الثالث والعشرون من ذي الحجة الذي يربو فضله عن غيره ويزيد أصبح جناب البيك المحترم متوعك المزاج فحصل لنا بسببه غاية القلق و اللجاج حيث أننا أضيافه وقد شملنا بره و اسعافه لاسيما وقد جرى بيننا وبينه العهد الوثيق المتين في طريق السيد الرفاعي والباز عبد القادر محي الدين وبنيت بيننا صداقة لا تنحل عراها ومودة لا تندرس ربوعها وذراها فأقام خمسة أيام في الحرم وفي كل يوم نسأل عن المماليك والخدم فرفعنا أيدي الابتهال والضراعة وتوسلنا إليه سبحانه بسيدنا محمد صاحب الشفاعة أن يمن عليه بالراحة والشفاء وينزل على دائه من عنده الدواء ثم حركنا همة الأستاذ لعيادته أو لكتابة إناء بخط أيدي سعادته وما قصدنا إلا التفاؤل بذلك ليزول ما في القلب من ظلمة الريب الحالك فما استتم الخاطر إلا وقد بادر بكتابة الأنا ودخل مسرعاً على حضرت المومى إليه ولا فترو لأونا فسأل خاطره وخرج وتكلم بكلام يشعر بحصول الراحة والفرج ولما فرغنا من صلاة المغرب والأوراد دخلنا لعيادة قدوة الأكابر والأمجاد فوجدناه في كوب و وهم وشدة خوف من كثرة ذلك الألم فسألنا خاطره الأنور وقرأنا عليه من القرآن ما ألهم المولى به ويسر وختمنا المجلس بالفاتحة ودعونا الله تعالى بالدعوات الصالحة ثم خرجنا من الحرم لدى الأستاذ الأكرم وفي القلب من الوجل على المومى إليه ما الله به أعلم فقرأنا حصة من شرح ذلك الورد الباهر و انتشقنا عرف شذا ورده الفاخر وبتنا تلك الليلة في حالة من عجة ونار وساوس في الفؤاد متأججة إلى أن كشف الظلام سجاف ذيله وأقبل الصباح برجله وخيله بادرنا بأداء الصلاة راغبين إلى الله في طلب رضاه وكان ذلك اليوم يوم الخميس المبارك الرابع والعشرين من ذي الحجة الذي حقنا اللطف فيه وأدرك استخبرنا عن البيك المحترم من خاص الأتباع و الخدم فأخبرونا أنه أصبح عود مزاجه غضاً طرياً وريحان راحته مخضلا زهيا فحمدنا الله تعالى على نعمه التي تترى و تتوالى وحضر في ذلك اليوم لزيارتنا جناب الشيخ يحيى أفندي وحصل بمفاكهته جلاء الفؤاد و الصدى فلبث عندنا من الزمان حصة ثم خرج وأبقى الفؤاد من عدم

التضلع من منطقة العذب في غص وبعد دخول المغرب و أداء الفريضة دخلنا لمجلس الأستاذ وشاهدنا سناه و وميضه ونهلنا من مورد شرح ذلك الورد العذب ما ارتوى به الفؤاد وشفى ظماء القلب وبتنا تلك الليلة إلى أن انكشف الظلام وأيقظ ديك الفجر الشام أدينا ما علينا من الوظيفة وجلسنا لاستماع نغمات تلك الأطيار اللطيفة وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الخامس و العشرين من ذي الحجة الحرام صلينا الفريضة واشتغلنا بوظيفة الصلاة والسلام على سيد الأنام فطلب الأستاذ مكاناً للتنزه و السلوان فذهبنا صحبته في معية الأخلاء و الأخوان فدخلنا لجنينة في الوراقة وشاهدنا روحانية ذلك المحل وإطلاقه فجلسنا إلى بعد صلاة العصر نمتع النواظر برؤية تلك الرياحين و النهر ثم عدنا لمحلنا وأكلنا ما تيسر من العشاء بلذة وهنا ونلنا برؤية طلعة البيك غاية المنا وبتنا إلى أن طلعت بالفجر طلايع النور نافحة بنسيم تلك الرياح وشميم تلك العطور وكان ذلك اليوم يوم السبت السادس و العشرين من ذي الحجة الخالي من الغضب و المقت لم نبرح من مكاننا حتى أدينا فرض الظهر الشريف بعد الفراغ من الطهارة و التنظيف دخل السيد مصطفى أغا الوكيل وعرض بالذهاب لجنينة باب السلام لحضرت الأستاذ الجليل فذهبنا صحبته إلى تلك الجنينة البهية ونزهنا النفوس في تلك الأنهار الجارية والرياض الزهية فاستقمنا إلى المساء ولم نبرح مقيمين حتى فرغت مائدة العشاء فحينئذ عدنا للمحل الأنور ودخلنا لمجلس الأستاذ الأكبر وقد حضره عمدة الفضلاء السيد الشيخ عبد الرحمن أفندي و ولداه الأكرمان فقرأنا من شرح ورد السحر حصة من الزمان وبتنا تلك الليلة بالمسرات محفوظين من جميع الآفات إلى أن ولى الليل بديجوره وأقبل الصباح بضيائه ونوره وكان ذلك اليوم يوم الأحد السعيد السابع و العشرين من ذي الحجة الذي بفضله كل أحد شهيد حضر عندنا بعض الأحباب وتسلينا بما أوردوه على المسامح من الخطاب وفي هذا اليوم عرض مصطفى أغا الوكيل على حضرت الأستاذ الجليل الذهاب إلى جنينة العمادية للنزاهة وصفاء الخاطر و الطوية فذهبنا إلى تلك الجنينة المذكورة التي بالنضارة و الروحانية مشهورة فجلسنا في تلك الطيارة الباهية المطلة على الأنهر الجارية وشاهدنا تلك الأشجار ذات الظل الظليل والماء الذي تحت الطيارة الجاري من السلسبيل فزال الكدر من البين وقرت بريا ذلك العين ولما حانت صلاة العصر خرجنا من الجنينة اللطيفة إلى جامع قبالتها اشتهر بجامع السقيفة فصلينا العصر بجماعة من الناس وزرنا فيه ولياً يقال له الشيخ عثمان من أهل الإمدادات و الأنفاس فقرأنا له الفاتحة ورأينا حضرته بالأسرار طافحه ثم ذهبنا من ذلك المكان لزيارة قطب وقته حضرت الشيخ رسلان فدخلنا لحضرته

وشاهدنا بوارق مهابته و جلالته وقرأنا له الفاتحة وتوسلنا به إلى الله بأن يجعل الأمور ناجحة وقرأنا أيضاً للمدفونين في مقامه ودفعنا ما تيسر من الصدقة لخدامه ثم وجهنا وجهه وجوهنا إلى تلك المقبرة البهية وقرأنا الفاتحة لأرواح أهلها الزكية ثم زرنا ضريح إبراهيم الحوراني وعدنا إلى الجنينة بنيل الحظوظ و الأماني فوجدنا العشاء قد حضر وكلامنا من جهة القوم منتظر فجلسنا للأكل من المائدة وحبانا الله بره وعوائده ثم ذهبنا لمكاننا المعتبر وقوانا بعد أداء المغرب لدى الأستاذ حصة من شرح ورد السحر وبتنا إلى أن هجم عسكر الصبح وخفقت ألويته على هاتيك البطاح وكان ذلك اليوم يوم الاثنين المنير الثامن والعشرين من ذي الحجة الشهير طلب حضرت الأستاذ النزهة في مكان بعد أن تفرق الزائرون و الخلان فتربصنا إلى بعد الظهر بساعة ثم توجهنا صحبة الأستاذ و الجماعة إلى جنينة عظيمة شهيرة بالسراية من النضارة و النزاهة و المحاسن في غاية رحبتها واسعة و جدرانها شاسعة مفروشة ومبنية من الرخام الملون وجميع ما فيها من الأماكن على هذه الكيفية مكون فدخلنا إلى قاعة عظيمة لا نظير لها وخارجها رواق بالمحاسن زينها وكملها وفيها قصور ودائرة تامة ومنافع ومرافق عامة وفي صحن الجنينة بركة ماء تزيد عن عشر في عشر قبالتها ديوان خانة عظمة خالية عن القصر فاستقمنا ذلك اليوم في صفاء خال عن الكدر وانشراح عرى عن الضيق و الضجر فلما دخل المساء وفرغنا من العشاء عدنا لمكاننا المأنوس بكمال الصفا ومسرة النفوس وبتنا في أرغد عيش على فرش الهنا وأسرة الراحة التي ليس معها عنا إلى أن هبت نسمات صباح ذلك اليوم وهبت جماعة الصلاة من النوم وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء التاسع و العشرين من ذي الحجة الأزهر فأدينا فيه فريضة ذلك الوقت الأنور واستقمنا نتحادث مع الأخوان إلى أن انفجر النهار فعرض مصطفى أغا الوكيل على الأستاذ الذهاب لحاكورة بقرب الربوة و المنشار فاقتعدنا الدواب وسرنا في معية الأحباب فمررنا على مشهد الصحابة ورفع لنا وجه وقارهم و مهابتهم نقابه فقرأنا لهم الفاتحة في ذلك الحين وسرنا إلى أن وصلنا لقرب مقام محي الدين فقرأنا لحضرته الفاتحة و انتشقنا عوابق عطوراته الفايحة ثم بجانب سفح قاسون و قرأنا الفاتحة لكل من في تلك البقعة مدفون ثم مررنا على مقام الشيخ الزعبي و الشيخ أبي بكر ابن قوام فقرأنا لكل الفاتحة والتمسنا الإمداد على الدوام إلى أن وصلنا تلك الحاكورة ذات الايناس الحاوية على شجر الليمون و البردقان و الكباد وحب الآس فجلسنا على شاطئ نهر يزيد الذي يربو ماؤه على غيره من المياه ويزيد وكان معنا كتاب تأليف الطائ المغربي سيدنا محي الدين بن العربي يسمى الفواتح المكية فاشتغلنا بمطالعته

لنقتطف من ثمار فوائده السنية وقد كنا قبل لم نسمع بهذا التأليف فيا له من مؤلف مع صغر حجمه حوى علوماً جمة لم توجد في مفردات من

التضيف فبينما نحن نجتني من فواكه عباراته ونلتقط من بحار معانيه درر تقريراته أن ظفرنا فيه بفصل معقود في الإمام المهدي المنظر وبيان إمارات ظهوره وما له من الوزر وكذا في السفياني وبيان مكاني خروجه وقتله موضحاً ذلك إيضاحاً شافياً في تحريره ونقله فمن إمارات ظهور هذا الكئيب الأجرم أنه يوجد كسوف في شهرين على التوالي وهما ذو الحجة و محرم فما استتم السياق المتقدم الموصوف إلا وقد ظهر في الشمس مبادئ الكسوف ولم يزل يزداد إلى أن أظلم الكون ظلمة قليلة لكنها استمرت نحو ساعة من الزمان طويلة فبادرنا بالوضوء حيث لم يتيسر الاغتسال وصلينا الصلاة المشروعة بمن حضر من الرجال وشرعنا بعد ذلك في الاستغفار وأنبنا إلى العزيز الغفار ورفعنا الأيدي بالإبتهال و الضراعة وتوسلنا إليه سبحانه بصاحب الجاه و الشفاعة أن يحسن لنا الأحوال ويوفقنا لصالح الأعمال ثم حضرت مائدة الغدا من قبل البيك المحترم ذي الجود و الندى فأكلنا نحن و الجماعة واستقمنا في ذلك المكان إلى أن بقي لوقت الغروب ساعة حضرت مائدة العشاء فأكلنا على حسب ما قدره الله وشاء ثم ركبنا وعدنا للمحل المأنوس في غاية من الصفاء وانشراح النفوس و بعد صلاة المغرب دخلنا مجلس الأستاذ على العادة وقرأنا من شرح الورد الحصة المعتادة وبتنا تلك الليلة إلى أن رفع الليل دجاه وخلف مكانه النهار وضيا وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء تمام ذي الحجة ثلاثين الذي فضله على الشهور ظاهر مبين فحصل لنا بجمع الشمل بالأحبة ارتواء وانجلت بأنوارهم على القلوب الظلماء وجرت المحادثة في شأن الكسوف واستفاض على السنة اليهود كل قول مكسوف من أنه سيقع في هذه السنة المقبلة أمور غريبة وحوادث في بلاد الإسلام عجيبة فمن المعلوم أن إخبارهم لا يعول عليها وإن صادفت الواقع لكونها من قبيل التجارب وعلم الحساب و المواقع فهذا علم يدركه أهل علم الفلك لا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله أو من ارتضاه من بني أو صديق أو ملك وقد أخبروا عن خسوف القمر في نصف محرم ولا مانع من ذلك لما أشرنا له فيما تقدم ثم تفرق المجلس و زال ما كان بوجودهم نستأنس فنزلنا للجامع الأموي المشهور صلينا فريضة الظهر عند حضرت السيد الحصور وقرأنا لحضرته الفاتحة و دعونا الله تعالى بالدعوات الصالحة وعدنا لمنزلنا المعهود واستقمنا ذلك اليوم في عيش رغيد محمود إلى أن دخل المساء وحضرت مائدة

العشاء أكلنا ما تميل له النفوس ثم صلينا المغرب و دخلنا لمقام حضرت الأستاذ المأنوس وشممنا من معطار شرح الورد ما يزري بعبير الند و الورد ولما مضت تلك الساعة أتينا لمحلنا المخصوص بالجماعة جلسنا نتكلم بالفرائد العلمية واللطائف الأدبية إلى أن أوفى لنا السرور كيله وأجلب علينا النوم رجله وخيله انفض مجلس القوم فأخذنا مضاجعنا لأجل النوم وبتنا إلى أن طلع الفجر وأضاء وأشرق نوره في ذلك الفضا وكان ذلك اليوم يوم الخميس غرة شهر محرم الذي أنعم الله فيه بخروج البيك من الحرم وقد كسته العافية خلعتها و ألبسته الصحة أرديتها فامتلأ القلب سرورا وازداد إنسان العين نورا وحمدنا المولى الشافي على هذا الكرم الوافي فجلسنا مع سعادة المومى إليه بكمال الانشراح وصفاء الخاطر و المسرة و الأفراح ولم نخرج ذلك اليوم من ذلك المكان الشريف بل تسلينا بمطالعة بعض كتب العارف النابلسي الحاوية على كل معنى لطيف ثم بعد المغرب دخلنا لمجلس الأستاذ الزاهر و تمتعنا بمشاهدة جماله الباهر وقرأنا الحصة الموظفة من شرح الورد السيد البكري ذي النفس العالي والفيح العطري ثم خرجنا لمحلنا المنظوم وأنهينا مع أخوان الصفا المجلس المعلوم وبتنا تلك الليلة في أتم سرور وأوفى نشاط وحبور إلى أن طلع وجه الصباح وهبت نسمات الصبا في الرياض فأمالت الأرواح وكان ذلك اليوم يوم الجمعة المعظم وهو اليوم الثاني من شهر الله المحرم ذهبنا بعد إشراق شمس ذلك النهار إلى زيارة ضريح الشيخ أحمد النحلاوي ذي الأنوار و الأسرار فدخلنا تلك الزاوية فوجدناها على الأشائر و الزردخانة حاوية واجتمعنا بأحفاده الكرام وحضرنا تلك الذكر الساعة في ذلك المقام وشاهدنا من أحد الأحفاد الوجد والاصطلام والجذب الصحيح و الأحوال و الهيام ثم لما فرغ الذكر وأثنى على الله بالحمد والشكر تصافحنا معه وطلبنا خير دعاه ثم فتح لنا باب حضرة جده وأدخلنا حماه فوقفنا قبالة ضريح ذلك الولي السند و قرأنا له الفاتحة والتمسنا منه المدد ثم عدنا لمحلنا فجاء إلينا الأخ الأكرم القطماوي الذي لكمال الطرف و الأدب حاوي فتحادثنا معه بمقتضى الوقت و الحال وما تبرزه القدرة الإلهية من الأمور التي لا تخطر ببال ثم ذهب لشأنه بعد أن سحر اللب ببيانه فاستقمنا ذلك اليوم في محلنا الخاص إلى المغيب ثم صلينا المغرب ودخلنا لمقام الأستاذ الحبيب فمتعنا بمطالعة وجهه المنير واستخرجنا من معدن شرح الورد خالص الأكسير وكان ممن حضر المجلس ذو الفضل و العقل الرصين جناب السيد الشيخ عبد الرحمن أفندي و ولده السيد محمد أمين ثم بعد انتهاء الحصة وانتهاز الفرصة خرجنا لمكاننا الميمون صحبة الأخلاء الذين تقر برؤياهم العيون وقد حضر في جملتهم أعز الأحباب جناب محمد أفندي سليل سيدنا عمر

ابن الخطاب فتسامرنا معهم ساعة زمانية وحصل بمفاكهتهم على الأدب و الأمنية وبتنا تلك الليلة في شاة بهية وحالة مرضية إلى أن انتفض الصباح عن صبغة الليل و شمر الدجا لمسيرة الذيل وكان ذلك اليوم يوم السبت الثالث من شهر المحرم الذي هو أول الأشهر التي نبه على فضلها وحرمتها الكتاب المكرم فأدينا الفريضة المكتوبة وجلسنا نمتع النظر في هاتيك المياه و الخضرة التي للنفوس مرغوبة فورد علينا الأحبة بقلوب مستبشرة و وجوه مضيئة مسفره فاقتطفها بمفاكهتهم أزهار الكمال وحصلنا بمحادثتهم على ثمرة الولاء و الوصال فبعد أن تفرقوا عن آخرهم حضر الغدا في أثرهم فمدت الأيدي إلى الزاد ومنحنا الله تعالى منه المراد واستقمنا في محلنا إلى الغروب ثم دخلنا لمجلس الأستاذ والسيد السند الملاذ فجمعنا لمعاني شرح ورد السحر حواسا و اقتبسنا من أشعة أنوار مبانيه نبراسا وبتنا تلك الليلة بأجفان من أثمد النوم كحيلة إلى أن أضاء الفجر وقام مؤذن الثواب و الأجر وكان ذلك اليوم يوم الأحد أول الأسبوع رابع شهر الله المحرم الذي فيه الخير مجموع جلسنا بعد صلاة الصبح في مكاننا المألوف فحضر عندنا صالح أغا قصا باشي من بكمال الرقة موصوف وكذا نجل الشيخ عبد الرحمن أفندي السيد أمين الذي في وده وحبه صادق لا يمين ثم حضر عندنا شريف الذات بهيا المحيا درتا الصدفة النابلسية الشيخ عمر أفندي وابن أخيه الشيخ يحيى وجرى بيننا ذكر جبل قاسون وما حواه من الأولياء ذي السر المصون ثم هذبا وكوكب أنسهما أفل فحصل لنا بمفارقتهما عظيم الملل وأقمنا إلى أن مضا ذلك اليوم و غربت شمسه وأقبل ظلام ذلك الليل الأليل ولبسه فحضرنا مجلس الأستاذ لنستضيء بسنا أنواره ونستظل بظل حمايته ونلتمس من ملاحظة أنواره فأمرنا بقراءة الموظف من شرح ورد السحر فبادرنا في الحال أمتنا لا لما به أمر فتبركنا بقراءة تلك الحصة من شرح الورد واستنشقنا من طيب شذاه ما يفوق على الند ثم عدنا لمكاننا بتنا على فرش الهنا بنيل الأماني و المنا حتى تبسم ثغر الدجا عن فلق الصبح وركضت خيول النسائم في ميدان الأفراح وكان ذلك اليوم يوم الاثنين خامس شهر محرم الحرام الممنوحين فيه من الله تعالى بجزيل العطاء و الأنعام فجلسنا على عادتنا بعد أداء الفرض في ذلك المكان نستقبل من يرد علينا من الأحبة و الخلان ثم قمنا لمجلس الأستاذ المعمور الذي هو بأنواع البركات مغمور فرأينا عنده مفخر الأمراء وسليل الوزراء جناب البيك المحتشم فنلنا بمطالعة محياه كل خير و مغنم و أقمنا عامة ذلك النهار لم نخرج من مكاننا الخاص إلا لصلاة و الأذكار ثم بعد غروب الشمس ذلك اليوم و صلاة المغرب جماعة بالقوم قرأنا من شرح الورد الحصة الموظفة فاطلعنا على أبحاث خلت عنها الكتب المصنفة ثم

خرجنا من مجلسه الأنيس وجلسنا في محلنا المخصوص مع الحبيب الشيخ عبد الرحمن أفندي الذي هو خير جليس وبتنا تلك الليلة على أسرة الإجلال وأتم حالة مرضية من الأحوال إلى أن طلعت أزهار الصباح على أغصان هاتيك الجوانب و النواح وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء سادس محرم الميمون الذي لم نصادف فيه كدرا في شأن من الشؤون فنهضنا في تلك الساعة المضية وأدينا وظائف العبودية وجلسنا على العادة لتلقي الواردين من الأصدقاء و السادة المحبين فورد علينا الشيخ أحمد النابلسي شيخ شبل البيك السعيد الذي بالمحاسن وكل كمال فريد فتذاكرنا معه بحسب المقام إلى أن نزل من القصر فطب دائرة العارفين الأعلام فحضرنا عنده تلك الساعة ودخل لمجلسه حضرة البيك مع الجماعة فطلب حضرة الأستاذ الفرجة على قرية من قرى الشام يتنزه فيها يومين أو ثلاثة من الأيام فاعتمد رأي البيك على قرية يقال لها(جوبر) لكونها بالقرب من الشام مع ما فيها من المحل المعتبر فأرسل أمامنا أحد الخدام و أصحبه بالطباخ لتهيئة الطعام وصممنا على الذهاب إليها مع القوم من الغد بعد الاستيقاظ من النوم واستقمنا ذلك اليوم على الطريقة المعهودة إلى أن أرخى ذلك الليل بنوده فحضرنا بعد صلاة المغرب مجلس الأستاذ واقتطفنا من أغصان بساتين شرح الورد الثمار الملاذ وبتنا على ما يسر الناظر ويصفي الخاطر إلى أن ظهر نور الفجر وثبت حكم الأجر وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء سابع شهر محرم المؤذن بطيب العيش و الرخاء انتبهنا فيه من سنة الكرى و أدينا الفريضة لخالق الورى فخرج البيك وانتظم شمل الأحباب فهيئنا ما نحتاجه واقتعدنا ظهور الدواب وسرنا بين هاتيك البساتين و انتشقنا عرف تلك الزهور و الرياحين..))

سفرهم إلى جوبر:

فحين أقبلنا على(جوبر) بادر وجوه القرية و شيخها لملتقانا عند وصول الخبر فأدخلونا لمكان تغر بنائه بسأم يشبه في النجارة و التجسيم أمكنة الشام حاوي على جنينة ذات أشجار زهية وأزهار نضرة بهية تتشنف الأسماع بنغمات أوزها و أطيارها وتنجلي الهموم بمشاهدة ثمارها و أزهارها فحضرت مائدة الغدا على خوان فأكلنا ما تيسر في صحبة السادة الأخوان ثم لما دخل وقت الظهيرة خرجنا إلى محل على حافة نهر يحلو البصر و البصيرة وحضر جماعة يغنون قرت بسماع نغمات أصواتهم العيون إلى أن دنت الشمس من المغيب أمر حضرت الأستاذ بإحضار العشاء إلى ذلك المكان الرحيب فأحضر تلك الساعة لدينا فأكلنا من ما أنعم الباري به

علينا وصلينا المغرب في ذلك المحل المعلوم ثم عدنا منه إلى منزلنا المنظوم فبادر المنشدون بإنشاد القصائد العظيمة و الأشغال المطربة لذوي الطباع السليمة واستمر الحال على هذه الطريقة و المنوال إلى أن دخل وقت صلاة العشاء الأخيرة فصليناها بالجماعة قبل أن يذهب كل مذهبه و يقصد مصيره فصدر الأذن من الأستاذ بقيام الذكر تلك الساعة فبادرنا إليه في حضور تلك الجماعة وحضرنا رجل من أهل الجذب وعلى رأسه قبع من قباع الدالاتية قد عراه الوله و الحب فلما انتهى الذكر ختمناه بالدعوات المرجوة الإجابة التي أحكمت سهامها إن شاء الله تعالى هدف الإصابة وحيث أن المحل النازلين فيه يضيق في وقت النوم عن الجميع دعانا رجل من أهل القرية فذهبنا معه لمكانه فإذا هو في غاية من الكلافة و التجسيم و التوقيع فوطأ لكل منا على حدته أحسن وطاء وبتنا تلك الليلة عنده في كمال المنح و العطاء إلى أن طلع فجر الصباح وآذن ستر الليل بالافتضاح وكان ذلك اليوم يوم الخميس المأنوس الثامن شهر محرم الخالي من الكدر و النحوس هببنا من النوم وصلينا الفريضة بالقوم ثم حضرنا لمجلس الأستاذ الأكرم وحصل لنا برية محياه الحظ و المغنم ثم حضرت مائدة الفطور فأكلنا على الكفاية و الميسور وذهبنا صحبة الأخ العمري اللوذعي لزيارة حضرت المولى الأصمعي فوجدنا مقامه مبنياً بالآجر و الطين كبيوت أهل القرى و المساكين ومع ذلك لأسقف له بل هو سماوي غير أنه على المهابة و الجلال حاوي فتشرفنا بمقامه المعهود وتبركنا بضريحه الذي بالأنوار مشهود وقرأنا له الفاتحة وانتشقنا عرف الروايح الفايحة ثم ذهبنا لزيارة الضرايح المشهورة بالسادات فقرأنا لهم الفاتحة وحصلنا على الخير و البركات ثم خرجنا إلى المقبرة في معية الأخوان بقصد ضريح خليفة النحلاوي الشيخ عثمان فقرأنا له الفاتحة على تؤده وتنورت بزيارته الأفئدة وقرأنا بعد ذلك الفاتحة لأهل القبور راغبين في نيل المثوبة و الأجور ثم عدنا إلى جامع تلك القرية ونلنا بصلاة فريضة الظهر جماعة المأمول والبغية ثم عدنا لمحلنا وقد تمكن منا البرد فحرك ريحاً كامناً في الجنب زائداً عن الحد فاستقمنا بقية ذلك اليوم لم نقم من المجلس ولم نلق بالاً لمغن مطرب ولا مؤنس غير أنا في الصورة نستمع الأناشيد و التلاحين مع تجرع غصص الألم وعدم إظهار الجزع للحاضرين ثم إن الذي ثبت في فكري و أجمع عليه أمري أني متى صليت العشاء بالجماعة أن أذهب للمنام تلك الساعة فبينما أنا أردد ذلك في الفكر إذ بالأستاذ المحترم قد أمر بقيام الذكر فبادرت لما أمر ولرفت الإمتثال إذ لا يسعنى مخالفته في حال من الأحوال فبنفس الأستاذ وبركة الأسياد الكرام تناقص ما كنت أجده من الأوجاع و الآلام ثم ذهبنا إلى محل النوم

ذي النضارة و الشراحة وبتنا في دعة وألفة مجتمعة وراحة إلى أن ذهبت ظلمة الليل البهيم وظهرت أنوار الصبح الحادث بقدرة القديم وكان ذلك اليوم يوم الجمعة التاسع من شهر محرم الذي فيه القلوب إلى الإمدادات الربانية مطلعه..))

وصول البريد من ادلب:

فحضرنا مجلس الأستاذ المحترم و الفؤاد بنار القلق و الوجد على الأهل و الأحبة مضرم حيث أنه صدر منا لجهتهم التحرير مرتين ولم نظفر منهم بخبر يسر الخاطر ويقر العين فاشتغل الفكر و البال وأثارت النفس من كمين الأذى ما يوجب الريب و الخيال فبينما نحن في وجل متلف و شوق إلى الأحباب مدنف إذ بلغ السمع قدوم شخص يتردد إلينا مصحوب بمراسلات من الوطن لدينا فهاجت الأشواق لمطالعة أخبار الأهل و الخلان الكرام فأرسلنا من جهتنا واحداً يأتينا به من الشام فأقبل به علينا ودفع المراسيل إلينا فانسرينا بقدومه واستقصينا خبرهم من منطوقه ومفهوم ثم فضضنا ختومة المكاتيب فأول كتاب طالعناه كتاب الخل الخليل و الأخ الحبيب البارع الكامل و الجهبذ الفاضل ذي المنطق العذب الحالي السيد الشيخ محمد أفندي الغزالي ثم التالي له كتاب عمدة السادة وعنوان المجد و السيادة لطيف الذات رقيق الحواشي الأخ الأكرم السيد الشيخ محمد جلبي العياشي ويليه كتاب من عمدة الأماجد الأجلاء وزين الأكابر و الصلحاء ابن العم الأمجد المحترم السيد الشيخ الحاج عبد الرؤوف أفندي المكرم والرابع من جناب نخبة الفضلاء وزبدت النبلاء ابن العم المحتشم السيد أحمد أفندي المنلا و الخامس من حبيب القلب و ابن شقيق الروح ومن هو بكل كمال ممنوح نخبة السادة الشرفا ابن الأخ السيد مصطفى و السادس من نور إنسان العين و الروح التي بين الجنبين ولدنا النبيل السيد إسماعيل فشممت روح الأنس وارتاحت بذلك النفس وفرحنا غاية الفرح وزال الهم والترح وقرت العيون بالاطلاع على تلك المباني وارتوت القلوب بمضمون هاتيك المعاني فكانت ألذ من الماء على الظمأ حيث أفصحت بسلامة أهل الحي و الحما فصاح حادي الأرواح لما اشتاقت إلى الأشباح لقد ذبت من ألم الفراق و البين فمتى تقر العين بالعين ليالي وصل لو تباع شريتها بروحي و لكن لا تباع ولا تشترى ولكني ألتزم الصبر على التنائ لعلي أن أبلغ من رؤية الأحباب مناي ويسكن بالاجتماع روع الفؤاد وأفيق من سكرة البعاد وقد صادف ورودها حركة توجه القافلة لجهة الوطن فبادرنا بتحرير الأجوبة لمن هو في الفؤاد سكن فاشتغلنا ذلك اليوم بالتحرير حتى إنه عرض الغنا

على حضرت الأستاذ فأبى من شفقته ورقته لئلا يحصل للفكر تشويش وتكدير فأنهينا من الكتابة ما هو مطلوب وكان الفراغ منها في مزاحمة الغروب فمدت لدينا أشرف مائدة وحصلنا بالأكل منها على الفائدة ثم باشرنا صلاة المغرب بذلك الجمع وعقب الفراغ افتتحت الأناشيد فقر بها الناظر و تشنف السمع وبعد أن دخل وقت العشاء ودارك صلينا الفريضة وشرعنا على العادة في الذكر المبارك وبتنا تلك الليلة في أحسن الشؤن راغبين إليه تعالى في تحقيق الآمال والظنون إلى أن انجلى الغسق ومؤذن الصبح بالتكبير نطق وكان ذلك اليوم يوم السبت العاشر من محرم الذي نوه بشأنه وشأن صيام التاسع حضرت النبي المكرم حضرنا في صباحه مجلس الأستاذ واستقمنا إلى أن تغذينا من صنوف الألوان الملاذ فلما كان الفراغ من الطعام تهيئنا للركوب والعود إلى الشام وسرنا إلى أن مررنا في صايح الجورة فقرأنا الفاتحة للشيخ ضاهر هناك صاحب كرامات مشهورة ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى مكاننا المعمور وبتنا تلك الليلة في غاية الفرح والسرور إلى أن عطس الفجر المنير فشمته المؤذن بالتهليل و التكبير وكان ذلك اليوم يوم الأحد الحادي عشر محرم الأنور الأسعد ذهبنا في الصباح لحمام البزورية فأزلنا درن الأوساخ عنا وحصلت الراحة الكلية ثم خرجنا وعدنا لشريف المقام فورد للسلام عليه الأحباء و الأصدقاء الكرام فاستأنسنا بمشاهدتهم وانشرحنا بمفاكهتهم وبتنا تلك الليلة في انشراح و انبساط سرور اغتباط إلى أن تنفس الفجر وثبت للمصلين الأجر وكان ذلك اليوم يوم الاثنين الثاني عشر يوما بلا مين حضر لدينا صالح أغا قصا باشي وغيره من الأحباب فجلسنا معهم ثم دخلنا لمجلس الأستاذ رفيع الجناب فحضر لديه حضرت عمدة الفضلاء و الأعيان منيني زاده فتلقاه بالبشر و بالتبجيل و التعظيم زاده فجلس عنده حصة من الزمان و خرج معه مشيعاً لباب المكان ثم عدنا لمحلنا في صفاء فحضر عندنا الأخ القطماوي نخبة أهل الوفاء فتحادثنا معه نحو ساعة رملية وخرج على أحسن حالة مرضية وبتنا تلك الليلة في كمال البسط و الحبور وعظم الانشراح و كمال السرور إلى أن تولت الأحلام و الأحلاك و استنارت بضياء الصبح الأفلاك وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء ثالث عشر محرم أدينا الفريضة وحمانا الله من المأثم فجلسنا على العادة لتلقي الأحباب فورد علينا أعز الأخلاء و الأصحاب عمدة العلماء وزين الصلحاء وصاحب الفضل المجدي السيد الشيخ عبد الرحمن أفندي فتسلينا بمذاكرته واقتطفنا من ثمار أزهار محاضرته ثم خرج وجاء في أثره السيد الحبيب و الهمام النجيب الشيخ الحاج يحيى أفندي النابلسي فكان بوروده على كمال سروري وأنسي فتجاذبنا معه أطراف الكلام وتملينا بمحياه الذي رؤياه يشفي

الأؤام ثم ذهب لمكانه بالسلام ولم نزل بقية اليوم على حال الاستقامة إلى أن ارتفعت ظلمة القلوب و الغشا ودخل وقت صلاة العشاء صلينا الفرض وقرأنا الفاتحة والتمسنا أنوار بركاتها اللائحة وبتنا في مسرة وراحة و ملاء البسط لنا كاساته و أقداحه وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الرابع عشر محرم ذو النور و الضياء فحضرنا عند الشيخ عبد الرحمن أفندي من بإسعافه و معرفه لنا مسدي فحصل برؤيته الصفا و طيب المزاج و نلنا بمحادثته كمال الأنس و الابتهاج ثم بعد قد خرج و بساط المنادمة تلك الساعة الدرج واستمر الحال إلى أن خرجت دوح الشمس من جسد الدنيا بالغروب وخفقت من نسائم الليل القلوب صلينا صلاة المغرب البهية ودخلنا حضرت الأستاذ العلية فقرأنا حصة من شرح الورد نلتمس بها دخول خانة لنحتسي من كاسات دنانه ثم خرجنا من ذلك المكان وجلسنا ساعة مع هاتيك الندمان وكل بعد ذلك لمكانه قد انعطف فما مضا ست ساعات إلا والقمر قد خسف وقد مر مقولة حضرت الحاتمي الرباني أن الكسوف أن وقع في ذي الحجة ومحرم على التوالي فذاك علامة لظهور السفياني هذا إن أراد بالكسوف ما يشمل القمر كما أطلق الخسوف و الكسوف على كل عند الفقهاء وغيرهم من أهل النظر فيكون السفياني قد آن أوانه وأظل أهل العصر أبانه وإن كان المصطلح عليه عندهم أن الكسوف مخصوص بالشمس والخسوف بالقمر فالحادث المذكور لا تعويل عليه ولا هو معتبر وبتنا تلك الليلة في خيال من عروض هذا الحال إلى أن انتهك سر الظلام وأقبل الصبح بثغره البسام وكان ذلك اليوم يوم الخميس المكرم الخامس عشر يوما من شهر الله المحرم فبادرنا لصلاة الصبح والتمسنا بها المنح والفتح فورد علينا جماعة من أهل الطلب موصوفون بكمال الفضل و الأدب فتذاكرنا معهم في مسائل علمية وختمنا المجلس بمسامرات أدبية إلى أن تضحى النهار فاستأذن كل منهم وسار واستقمنا ذلك اليوم في عيش صافي و سرور وافي إلى أن ونت الشمس للغروب ونلنا من المأكل غاية المطلوب فدخلنا مجلس الأستاذ اللطيف وقرأنا حصة من الشرح الشريف فلمعت منه بوارق الغيوب وحصل من ذلك وجد في القلوب فكففنا عن القراءة واستقمنا في مجلس أنسه إلى أن أخذ حده فقام كل لمكانه يخلو بنفسه وبتنا تلك الليلة حتى ورد بشير الصبا بورود الصباح وصفقت غصون ربا الصلاة بالأرباح وكان ذلك اليوم يوم الجمعة السادس عشر محرم الذي كل الخيرات فيه مجمعه فصلينا السجدة وطلبنا من الله تعالى إحسانه ورفده وجلسنا في المكان على المعتاد نشم روح الأنس من الوارد ثم لما دنى وقت الصلاة الأزهر نزلنا الجامع الأموي الأنور فجلسنا قبالة الخطيب لسماع الموعظة والصوت الرطيب فخطب خطبة نظمها

كعقود الجواهر وأبدع فيها بمحاسن المواعظ و الزواجر وبعد الفراغ من الصلاة ذهبنا لزيارة السيد الحصور لنيل الخير و الصلاة فتشرفنا بزيارته والتمسنا من فيوضات إمداده وجميل خفارته ثم عدنا لمكاننا المأنوس وبتنا تلك الليلة على أكمل حالة حاصلة للنفوس ولما أن بدا سنا الفجر وظهر بدارنا بالصلاة رغبة في طاعة من إذا عصى غفر وستر وكان ذلك اليوم يوم السبت السابع عشر من محرم ذهبنا فيه لوداع وحيد دهره وفريد عصره ذي الأخلاق الحميدة والشيم كامل الآداب والمعاني السيد عبد القادر أفندي الكيلاني فما استقرينا المجلس إلا وحضرت الأستاذ مشرف و مونس فتلقاه بصدره الرحيب وحياه بالتأهيل والترحيب ثم تشافهه الأستاذ بالسفر ولوح له بالسلامة فيه من غير مشقة ولا خطر وقد كان الأفندي المومى إليه عزم على أخذ الطريقة القادرية من ابن عمه الجليل علي الشأن والتمس من حضرت الأستاذ كتاباً يفصح لابن عمه بما أضمره في لجنان فأعرض عن تحرير الكتاب وكاشفه بما في ضميره بطريق الإشادة وعنده وداعه قال له الطريق الطريق بصريح العبارة ثم عدنا إلى المكان بعد الوداع فمدت المائدة فأكلنا بمقدار ما يحصل به الانتفاع ثم بعد العصر ساعة زمانية خرج الأستاذ الأكرم إلى الصالحية فعرضت له بذهاب الحقير أمامه فخيرني بين الذهاب معه وبين الإقامة وأفهم أنه يزور الشيخين ويرجع على الأثر فذهب معه ابن الأخ وتخلفت حيث الأذن من سعادته صدر فلم يستوف الزيارة إلا عند غروب الشمس فاستدعاه بنو العارف النابلسي للبيوتة عندهم لنيل الشرف و الأنس فلبى دعوتهم فاستقام إلى الصباح ثم ركب و وفد علينا فتملينا بنور محياه الوضاح وكان ذلك اليوم يوم الأحد الثامن عشر من شهر محرم المخصوص من الله الصمد ولم نزل ذلك اليوم ما بين صادر و وارد مع هم ذاهب وغم شارد إلى أن وضع العشاء و أذال وجه الليل بنور المصباح الغشاء أكلنا ما تيسر من الطعام وصلينا المغرب في ذلك المقام و قرأنا من شرح الورد حصة على العادة و اجتبينا من ثمرات مسائلة المستجادة واستقمنا في مجلس الأستاذ إلى أن انفصم بقيامه فخرج كل سنا متأهباً لمنامه ودخلنا لمحلنا المذكر وبتنا في صفاء الخاطر و السرور إلى أن طار طائر الصباح وتعارفت الوجوه الملاح وكان ذلك اليوم يوم الاثنين التاسع عشر المحرم بادرنا فيه بصلاة الصبح للفوز بالأجر و المغنم فورد علينا جملة من الأصدقاء وحصل بمنادمتهم للقلوب ارتواء واشتغلنا يومنا ذلك بمطالعة الرحلة القدسية نستكشف ما تضمنتها من الأسرار و المواهب اللدنية ثم إنه في ذلك اليوم نقطت السحائب ديار الشام بلآلئ أمطارها ونثرت عليها نسائم منظوم العقود من أقطارها فأصبحت الأنهار مغدقة و الرياض و

البساتين بعد أن ذبلت مخضلة مونقة وغصت البقاع من الري فسبحان من جعل من الماء كل شيء حي وتباشر الخلق بحلول الخصب وزوال الآواء والخطب وكان قد تكرر المطر قبل ذاك اليوم ثلاث مرات فامتلأت القلوب و الأفئدة مسرات وتراسل المطر إلى أن دنت الشمس للغروب فظهر عسكر الليل وصلينا الفرض المرغوب فقدمت المائدة فشهدناها من مواسم معن ابن زائدة فأكلنا منها ما تيسر وجلسنا في مجلس الأستاذ حتى غاب الشفق الأحمر فخرجنا لمحلنا المذكور في كمال المسرة و الحبور وشرعنا في المطالعة على ضوء النبراس إلى أن غلبنا النعاس فنمنا تلك الليلة براحة إلى أن خفق طير الصباح جناحه وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء العشرون من شهر محرم الذي نلنا فيه من الخير بزيارة الصالحين رياشا وأثاثا فحضر لدينا صالح أغا المتقدم ذكره وفاح في المكان عطر حديثه ونشره ثم دخلنا معه لحضرت الأستاذ ذي المقام العلي وقطب وحي كل ولي وجلسنا بين يديه لا نعيد ولا نبدي إلى أن سأل عن ضريح الشيخ عبد الرحمن الكردي فأخبره صالح أغا مدفون في محلة العمارة في مدرسة كانت له في حياته موصوفة بالنزاهة والنضارة فعقب فراغ مائدة الغدا عزم الأستاذ على الذهاب لذلك المنتدى فمشى البيك المحترم أمامه وسرنا في معيته قاصدين مقامه فوصلنا مدرسة ذلك الهمام الذي أجمع على ولايته أهل الشام فدخلنا صحبة الأستاذ لمقامه أول مرة والتمسنا بزيارته المثوبة و المبرة فخرجنا إلى صحن المدرسة إلى صفة بشاطئ نهر بردة ذات نشاط وفرشوا لنا السجادات فجلسنا هناك وحصل لنا غاية الانبساط واجتمعنا هناك بابن بنت الشيخ الكردي المذكور وسألناه عن والده فأخبرنا بأنه ابن الشيخ الكزبري العالم المشهور و وجدناه شاباً ملك زمام الأدب و اللطافة وتوشح بوشاح الكمال و الظرافة كيف لا وهو عريق الطرفين وحسيب الأصلين ثم أمرني حضرت الأستاذ في ذلك إلا شيء أن أدخل لمقام حضرة المومى إليه مشي لأجل إصلاح التاج الذي على الشريح وقراءة ما تيسر من القرآن بطريق التلويح فدخلت بالذلة و الخضوع و وقفت بعد الإصلاح لعمته بالسكينة و الخشوع فقرأنا له سورة تبارك رغبة في حصول الأجر منه تعالى وتبارك ولقد أخبرني من أثق بخبره وأعول على حاله و مخبره أن صاحب هذا المزار رجل من الأولياء الكبار فمن كراماته أنه عزم في بعض الأحيان على السفر للديار القدسية وأراد أن يصحب تلميذاً له من جملة إخوانه غير قادر على توجيه مطيه فأعطاه الشيخ المومى إليه ثمن حمار ليركبه في معيته إلى تلك الديار فاشتراه لوقته و ربطه في بيته فلما أصبح الصباح تهيأ الشيخ للسفر جهة المقصد وزيارة هاتيك المقامات فأحضر القوم دوابهم فذهب التلميذ ليأتي

بحماره فإذا به قد مات فأتى حضرت الشيخ باكياً ولما عرض من واقعة حال الحمار حاكياً فخاطبه الشيخ بأنه حي وقال له ارجع فاركبه و ات به إلي فذهب إلى البيت وجده قائما ففرح به وركبه وكان في سفره عليه للشيخ خادماً إلى أن رجع الشيخ من رحلته وذهب التلميذ لأهله وعشرته وأدخل الحمار من بيوته بيتا فأشرف عليه في الصباح فوجده ميتا فذهب لحضرت الشيخ وأخبره بالمصاب فكان جوابه له أما ترضى أن أركبك في الذهاب و الإياب فما أعظم هذه الكرامة حيث أحياه الله له حتى بلغ عليه مرامه ومن كراماته الجمة التي أخبرني بها بعض أهل الفضل والقادة الأئمة أن رجلاً من إخوانه احتضرت زوجته و وجهت للقبلة فخرج مفتكراً في أمر تذهيبها لما عراه من القلة فتوجه لمدرسة شيخه المذكور و فؤاده بشأن زوجته مفطور فشغله الشيخ ذلك اليوم في خدمته ولم يدر من كفاه مؤنة غسلها ودفنها من قرابته وأكثر ما غلب على ظنه أنها باقية ليست مدفونة وأنهم من أجل مؤنها ينتظرونه فلما غربت الشمس تعشى بين أخوانه فعند ذلك أمره الشيخ بالذهاب إلى مكانه فذهب يقدم رجلاً ويؤخر أخرى خجلاً من الأهل و الجيران الذين لا يقبلون له عذرا فطرق الباب فإذا بوالدته خرجت وعلى عتابه من حيث الإهمال و الغيبة عرجت فقالت له أما تستحي من شيخك الذي هو طول النهار في مكانك وأنت لا تبالي بين أخوانك وندامائك فقال لها هل أنت راضيه قالت لا ولكن زوجتك حظيت هذا اليوم فيه فلا زال جالساً يعوذها و يقرؤها بقية النهار حتى ردت إليها العافية وها هي قائمة على قدميها في صحن الدار نفعنا الله من بركاته ومدنا بنظره و إمداداته ثم خرجنا من مقامه لدى الأستاذ الأكرم فإذا هو على المسير و الرجوع قد عزم فسرنا في صحبة السند الأستاذ الماجد فمررنا على وليين لم تعلم أسماؤهما وهما في مقام واحد فقرأنا لهما الفاتحة ودعونا الله تعالى بالدعوات الصالحة ثم وصلنا إلى شريف المكان وتعشينا من طرايف الألوان وبتنا تلك الليلة في أنواع المسرة نمتع الخاطر ونتزه الفؤاد و الناظر حتى لاح فجر يوم الأربعاء الحادي و العشرين من محرم ذي النور و الضياء فحضر بعد طلوع الشمس عمدة المدرسين ونخبة الفضلاء و الأماجد المحترمين جناب من له القدر و السيادة السيد أحمد أفندي منيني زاده فابتهجنا بجمال طلعته و ارتوينا من فيض جداول محاضرته فما لبث إلا القليل وإذا بالطلب لنا جملة من قبل الأستاذ الجليل فحين دخل عليه نهض له قائما وأجلسه تجاهه وكان له منادما ولما أستأذنه في الذهاب شيعه إلى خارج الباب وبتنا تلك الليلة في سرور كامل وخير من الله شامل..))

اللقاء مع أعيان الشام:



(الصورة٤٥)جامع الدرويشية في دمشق
.بناه والي دمشق درويش
باشا٩٨٢هـ/١٥٧٤م

إلى أن أشرقت الأفق بالصباح وفاح عطر شذاه الفياح وكان ذلك اليوم يوم الخميس الثاني و العشرين من محرم المبارك النفيس حضر في الصباح المذكور من أعيان الشام النقيب سابقاً السيد سعيد أفندي العجلاني المشهور فقبل يد حضرت الأستاذ الشريفة وجلس في مجلسه جلسة خفيفة ثم نهض وخرج قبل استيفاء المجلس و التمتع بمشاهدة أخلاقه الراضية وعلى أثره في الحال ذهب الأستاذ إلى الحمام الزينبية فعقب خروجه حضر لدينا ذو الود و الإخلاص أخونا السيد محمد خلاص و دعانا للفرجة على الأسواق وما ينشأ عنها من النزهة والإطلاق فمررنا بسوق الأروام ونزهنا الناظر في تلك الأمتعة العظام وسرنا إلى أن وصلنا إلى الدرويشية ودخلنا جامعها السامي ذا الأبنية و الزخارف السنية ثم خرجنا منه و مررنا على جامع السليمانية ولم ندخل إليه حيث أنا قبل ذلك الوقت تفرجنا عليه ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا لجامع السنانية واطلعنا على محاسنه التي تزري بمحاسن الجوامع بالكلية لا سيما كلافة تلك العواميد المبرومة بحسن الأسلوب التي رؤيتها تأخذ بمجامع القلوب ثم خرجنا منه و مررنا في سوق الطويل إلى أن وصلنا إلى سوق جمقق فحصل لنا غاية الوهن بحيث لم يبق من العتب فينا رمق ثم تمشينا بالتؤده على حسب الإمكان إلى أن وصلنا إلى شريف المكان وبتنا تلك الليلة في عافية وأصبحنا في نعم منه تعالى وافية وكان ذلك اليوم يوم الجمعة السعيدة الثالث و العشرون من محرم الذي أيامه حميدة فحضرنا في ذلك اليوم المشهود صالح أغا ذو الخلق المحمود فجلس حصة من

الزمان وتحادثنا معه بحسب ما يقتضيه الوقت و الأوان وإذا بالأستاذ خرج و ولى قاصداً في خرجه زيارة المنلا فبعد وقوفنا على خبره خرجنا مسرعين في أثره فلما أقبلنا على المحكمة أسرعت المحاضر و النواب مستقبلين حضرته إلى خارج الباب وقبلوا زيله و قدمه وخرج القاضي إلى صحن المحكمة فأدخله إلى محله بالأدب وجلس بين يديه جثياً على الركب فاستقام إلى أن شرب القهوة ونلنا الراحة و الحظوة فنهض من مكانه مسرعا يقدم القاضي إلى الباب مشيعا ثم أتينا إلى المكان الواسع فتوضأنا ونزلنا إلى الجامع وشنفنا الأسماع بالخطبة الشريفة الحاوية على الترصيع و التسجيع و المعاني اللطيفة وبعد فراغ صلاة الإمام ذهبنا لزيارة سيدنا يحيى على نبينا وعليه أفضل الصلاة و السلام فجلسنا صحبة ابن الأخ عند حضرته لتلاوة ياسين فقرأناها وأهدينا ثوابها له ولبقية الأنبياء و المرسلين و الأصحاب و الصديقين و الأولياء و العلماء العاملين و دعونا الله تعالى بتحقيق المرام لنا ولأحبابنا من خاص و عام ثم عزمنا على العود لمكاننا محل الخلوة و الفكر وإذا برجل أخبرنا أن الأستاذ قد حضر الذكر فأتينا مكان ذي المنهل العذب الصافي السيد الشيخ عمر أفندي اليافي فوجدنا الأستاذ جالساً خارج الحلقة البكرية فقبلنا يده وجلسنا نستمع الإنشاد بالنغمات المصرية والشيخ اليافي غير موجود وقد أخبرنا أن ولده في غالب الأحايين ينوب منابه في هذا الذكر المقصود فلبثنا في الذكر حتى انتهى ثم تردد الأستاذ في الجامع إلى أن صار إلى ذكر الشيخ مصطفى النحلاوي المنتهى فجلسنا في ذكره ذي الهيبة و الجلال و شاهدنا فيه المواجيد و الأحوال وما هو الأمن خلوص ذلك الرجل و انكساره و رجوعه إلى الله تعالى في فاقته و افتقاره و وجدنا في حلقته اثنين من أهل الجذب قد غلبهما الشوق و الحب فاستقام الأستاذ ونحن في معيته إلى النهاية وحلم على الناس بتواردهم عليه لتقبيل يده وتزاحمهم حلما بلغ الغاية ثم عدنا إلى المكان و وقت العصر قد آن وبتنا تلك الليلة في مجالسة هذا الحبيب في صفاء عيش خال عن الواشي و السرقيب إلى أن لاح صبح يوم السبت وانتشر الرابع و العشرين من شهر محرم المعتبر فحضرنا مجلس الأستاذ و السيد السند الملاذ فجلسنا عنده ساعة من الزمان فكان له في ذلك الوقت واردات يقصر عنها اللسان فخرجنا من مجلسه على عجل وحصل لنا من ذلك عظيم الوجل و استقمنا على تلك الحال إلى أن دنت الشمس للغروب فتعشينا وأدينا فريضة الوقت المرغوب ودخلنا مجلس الأستاذ على العادة وقرأنا من شرح الورد ما حصلت به الإفادة وفي أثناء القراءة جاء لزيارة الأستاذ القاضي فأردنا الكف عن القراءة فكان إكمالها من طرف الأستاذ بطريق التقاضي ومن جملة من حضر معه قاضي

بغداد وهو شامي الأصل عالم فاضل من السادة الأمجاد ثم استأذن وخرج وبتنا تلك الليلة نقرع أبواب الخير و الفرج إلى أن أقبل موكب الصبح الملم وأدبر عسكر الليل المدلهم وكان ذلك اليوم يوم الأحد المكرم الخامس والعشرين من شهر الله المحرم ورد علينا في ذلك اليوم وحيد الدهر و الأوان وفريد العصر والزمان الزاهي بحسن منطقه العذب على الأنام من افتخرت بعلومه السامية دمشق الشام حضرت الشيخ نجيب أفندي لا زال خير مرشد و مهدي فأضاء المكان به و استنار وحصل لنا بتشريفه العز و الفخار فبينما نحن في تشيف الأسماع ببلبل أرواح معارفه و الاقتطاف من ثمار أغصان علومه ومعارفه إذ بالأستاذ قد خرج لزيارة مفتي أفندي المرادي فلم ألحق به لوجود الشيخ المذكور مع كون الذهاب للمحل المذكور ليس مرادي فلحق به على الأثر ابن الأخ السيد عمر ثم ذهب ذلك الإمام الفريد وبقيت في فقد شديد وبتنا تلك الليلة على ذي الحال ومن الوحشة في غاية الخبال حتى أشرقت نور الصباح في السماء وانجلى سواد الليل والظلماء وكان ذلك اليوم يوم الاثنين المنير السادس و العشرين من شهر محرم الخطير فلم ألبث بعد طلوع الشمس غير دقايق وإذا قد دخل علينا ذو الفهم الثاقب و الذهن الرايق جناب الشيخ عبد الرحمن أفندي الادلبي دام في حراسة الله و النبي واعتذر لنا أنه لو علم عدم عود الأستاذ حقاً لحضر لتسلينا تلك الليلة وإن كان على نفسه مشقاً وقد استقام حضرت الأستاذ في بيت المفتي ستة أيام ولم يتيسر لنا التشرف بلثم أياديه إلا يوم الجمعة تمام الثلاثين يوماً من محرم الحرام صلينا الصبح في ذلك النادي وذهبنا لزيارة حضرة الأستاذ في بيت المرادي فوجدنا عند سعادته الأعيان الكرام فتلقونا بالإجلال و الإعظام فقبلنا أيادي الأستاذ ذي الولاية فما استقرينا المجلس إلا وقد قاموا وخرجوا لزيارة القاضي و المسلم في السراية فعرضنا لحضرة الأستاذ بالرجوع لمكانه فوعد بالوعد وقت مجيء أوانه فلما أيست ذلك اليوم من تشريف طلعته البهية استأذنته بالذهاب إلى الصالحية فطابت نفسه بالاستيذان ثم قبلت يده وذهبت في ذلك الشان فمررنا في الطريق على مشاهد الصحابة فقرأنا لهم الفاتحة راغبين إلى الله في الأتا به فوصلنا إلى الصالحية وقرأنا الفاتحة المحضرة الحاتمية حيث كان المرور على مقام حضرته و التعطر بشذا عرف دوحته ولما وصلنا إلى نكبة ذي النفس القدسي العارف النابلسي دخلنا لفسيح ذلك الرحاب فتلقانا بنوه بالتأهيل و الترحاب فتحادثنا معهم إلى وقت العصر ثم دخلنا لمقامه المحلى بالمحاسن و الفخر صلينا الفريضة بالجماعة و وقفنا تجاه حضرته التي بالأنوار شعشاعه فقرأنا الفاتحة لحضرته وعدنا للقصر الزهي نتسامر مع ذريته فمتعنا الطرف بمشاهدة أشجار هاتيك

الجنينة وروحنا القلوب بزهو ذلك الروض و شممنا رياحينه وأخذنا في مجاذبة أطراف المسائل العلمية و الحكايات المطربة الأدبية و بتنا تلك الليلة في عيش رغيد وتجلى بالمسرة و الصفاء فريد إلى أن انشق سواد الليل وأقبل الصبح ما يسا ببرده يجر الذيل وكان ذلك اليوم يوم السبت غرة شهر صفر الذي فزنا فيه بزيارة حضرة الشيخ الأكبر ذهبنا فيه قبل الشمس لمسجده الجامع وصلينا الصبح في ذلك الحرم البارع ثم نزلنا لمقامه الشريف وتشرفنا بذلك المرقد اللطيف فجلسنا لضريحه مستقبلين وقرأنا عنده سورة طه و ياسين مع بعض أدعية و أوراد ما ثوره طالبين من كرمه تعالى أن تكون الزيارة مبرورة ثم قرأنا الفاتحة للمدفونين في مقامه وأعطينا ما يسره الله من الصدقة لخدامه ثم أتينا إلى التكية بصفاء الخاطر و خلوص النية فقرأنا الفاتحة لنجل الأستاذ في الباب وقت العبور ثم لمن يليه من بقية هاتيك القبور ثم دخلنا لدى حضرة ذي المقام السني صاحب العبودية المضافة للمولى الغني فقرأنا ما تيسر من السور القرآنية وأهدينا ذلك لروحه و روح حفيده و ولده المجذوب ذي الكرامات السنية ثم عدنا إلى ذلك القصر و أفطرنا صحبة بنيه ذي المفاخر و القدر ثم ودعناهم بعد معالجة كلية و إبرام و ركبنا..))

قراءة كتب من ادلب:

ونزلنا إلى دمشق الشام فبعد استقرارنا بيسير حضر حضرة الأستاذ الكبير فبادرنا لملاقاته ولثمنا شريف راحاته فدخل لمكانه البديع وتشرف بلثم أياديه البيك ذو القدر الرفيع وكان قبل ذلك اليوم قد ورد علينا جملة مكاتيب من الأهل و وجوه القوم من جملتها كتاب فيمن هو لجيد الدهر قلادة جناب حضرة محمد أفندي غوري زاده وكذا كتاب من نخبة السادات الكرام الأخ الماجد السيد الشيخ عبد السلام وفي ضمن كتابنا عريضة من الأفندي المذكور لحضرة الأستاذ المهاب مع هدية يستمطر بهما سحب إمدادات ذلك الجناب ففضنا ختم كتابه وشنفنا السمع بشريف خطابه ومتعنا النظر في بديع مباينه واستخرجنا من غور بحر ألفاظه لؤلؤ أصداف معانيه وتنزهنا بمطالعة روض كتاب الشيخ عبد السلام المصون فبحسن سبكه وترصيعه قرت العيون وبقية الكتب من الوطن قد أرسلها أعز الأهل و الأخلاء و السكن أحدها من إنسان العين ابن شقيق الروح التي بين الجنبين وثانيها ممن شدت به البلاغة نطاقها ومدت به الفصاحة رواقها الأديب البارع السيد الشيخ أبو النور الساطع وثالثها من الولد النبيل السيد إسماعيل ورابعها من عميد المعالي وابن عميدها ومالك أزمة المفاخر طريفها وتليدها كريم الأخلاق والشيم الأخ الأجل

المحترم السيد محمد هاشم أفندي غادري زاده لطف الله بنا وبه ونوله مراده وغيرها من ابن العم المحترم وبني الشقيقة و الأجناب و الحشم فاطلعنا منها على كل معنى بديع وسررنا بها حيث أفصحت بصفاء خاطر الجميع وحصل برؤيتها الإيناس وزال ما وسوسه في الصدور الخناس فعرضنا على حضرة الأستاذ الجليل ذي الفضائل جميع ما لدينا من الرسائل فطالعها فردا فردا وابتهج بها فرحاً و للمسرة أبدى وفي تلك الليلة قرأنا له حصة من شرح الورد الصديقي ذي الشرب الصافي و المنهل الحقيقي وبتنا في سرور وانتعاش حيث عاد الأستاذ لمحله وزال الأبحاس إلى أن كشف الصبح عن وجهه القناع وأشرق محياه الشعشاع وكان ذلك اليوم يوم الأحد الثاني من شهر صفر الخير سلمنا الله فيه من الأسا و الضير وبعد مضي ساعة دخل علينا الأخ المواسي الحاج مصطفى أغا كبيش علي زاده الشهير بمعبوك أغاسى وقد أبدى المعذرة لدينا حيث أنه منذ دخلنا الشام إلى الوقت المذكور لم يسلم علينا فقبلنا معذرته لمشاهدتنا حاله فاستقام ساعة وخرج مصحوبا بالجنود و الاستمالة ثم دخلنا لدى حضرت الأستاذ لنتملى بتلك الطلعة وإذا بالأطواب قد ضربت من السراية والقلعة فبحثنا عن السبب الداعي فأخبرنا بورود شيخ (قرية داعى) وذلك أن العادة عندهم في تلك الديار إذا وصل النجدجي من الحاج لتلك القرية يقدمه شيخها بالأخبار فتبشر بذلك وجوه القوم ويكون علامة على دخول النجدجي ثاني يوم وبتنا تلك الليلة بكمال المسرة والهنا ونيل المقاصد والمنا إلى أن لاح صبح يوم الاثنين الأنور الثالث من شهر صفر دخل فيه النجدجي بالإعزاز و التكريم وضربت له الأطواب وعمل له في حال الدخول فرح عظيم وحلت الأفراح في قلوب الناس أو نمحي عنها غين الوجل و الوسواس وحضر في ذلك اليوم الأخ الأكرم مصطفى أغا المتقدم ذكره فاستروحنا من شذا طيب كلامه الفايح نشره واستقمنا ذلك اليوم في مكاننا لدخول المغرب و أداء الفريضة ثم أدخلنا حضرة الأستاذ السنية الوميضة وكان في تلك الليلة متحليا بالجلال فقرأنا من شرح الورد على ما حسب ما يقتضيه الحال فلاحت منه إشارة بالكف عن القراءة و الاقتصار فقرأنا الفاتحة لمؤلفه ولا رياب الأسرار وبتنا تلك الليلة في عافية ونعمة جزيلة وافية إلى أن فاحت فوايح صبح يوم الثلاثاء إلا قمر الذي هو رابع يوم في شهر صفر حضر ذلك اليوم الخل الخليل الشيخ يحيى أفندي النابلسي الجليل فتملينا بمشاهدة محياه السني وارتوينا من حسن منطقه العذب الجني ولم نخل من ذلك اليوم من تجلى القبض والجلال وخطور الأهل و الأحبة في البال ولما صلينا المغرب دخلنا على الأستاذ فإذا هو في تجلي مكرب قد غلب عليه السكون و السكوت فسرى حاله فيمن حضر فكل

بهذا الحال منعوت وبتنا تلك الليلة في كرب شديد وقلق من هذا التجلي يربو و يزيد حتى لاح فجر الصباح وتعارفت الوجوه الصباح وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الخامس من شهر صفر الذي نفى عنه ما كان عليه أهل الجاهلية سيد مضر دخلنا فيه لدى حضرة الأستاذ المهاب وتجاسرنا عليه بالمشافهة في الخطاب فصرحنا له بحصول الملل و الضجر ولوحنا في معرض الكلام بتحريك همته للسفر فلم يفصح بالجواب بل بطريق الإشارة افهم أنه الصواب لولا أمور في الوطن توجب التنفير وتقضي بعدم الراحة والتكدير فتحققنا حينئذ أن تثبطه وتراخيه لحكمة لا يمكن إظهارها وأنه بحسب ما جرب من لابد عن قرب أن تظهر آثارها ثم قال فكرك أرح وسلم الأمر لمالكه تسترح فتركنا الإلحاح و اللجاج لتنظر ما تبرزه القدرة بعد دخول الحاج حيث أن أهل الله في بعض الأحيان يطلعون على مجاري القضاء و القدر ونحن مقصورون على سماع الأذان ومواقع النظر وقد حضر عندنا ذلك اليوم ذو الجبين الأنور ولدنا مصطفى أغا الطرابلسي ابن ملك الأصفر فتحادثنا معه في أحكام البضايع و التجارة ثم خرج ودخل حضرة الأستاذ بقصد الزيارة ثم قبيل العصر الأزهر ورد علينا من الوطن رقيق المرحوم السيد محمود أغا المسمى بجوهر ومعه من ذلك الطرف عدة رسائل فسألناه عن حال الأجل و الأحباب فأخبر أنهم بخير راغبين إلى اللهخ لأجل قدومنا عليهم في العشا و الأصائل فأطلعنا على تلك الكتب المرسلة وفهمنا معانيها مجملة و مفصلة قد أفصحت بكمال العافية للعموم والحث على تحريك الهمة وسرعة القدوم ولمحت بوجود المخاوف و الكدورات و التكاليف و المشاق الموبقات فظهرت ثمرة غضاء الأستاذ عن كلامنا وتغافله عن مقصودنا ومرامنا بتنا تلك الليلة في أمن و طمأنينة وخلو بال في الجملة وسكينه إلى أن أصبح الصباح وتلنا بصلاة الفريضة الأرباح وكان ذلك اليوم يوم الخميس السادس من شهر صفر الذي نلنا فيه بإجازة علم الحديث وزيارة الصحابة و الأولياء الفوز و الظفر وذلك أنه قد زارنا قبل هذا اليوم سيد العلماء و وجوه القوم من أقر بالنزول عن درجته من كان يزعم أنه مساوي وقرنت إلى محاسنه محاسن غيره فتبين أنه مساوي وقضت مهابته على كل فاضل بين يديه أنه لا يعيد ولا يبدي شيخنا ومولانا الشيخ محمد نجيب أفندي فشاهدنا مائلا بقلبه إلينا مقبلا بالمحبة و البشاشة علينا ورأيناه ممن سمر نذره وعلاه ولم يبق من أقرانه وأهل عصره سواه رغبت في أخذ السند عند هذا الهمام والسيد السند المفضال الإمام لعلو سنده و إجلاله وكثرة طرقه وقلة رجاله لاسيما سنده الذي من طريق ذي المقام القدسي الولي الكامل والغيث الهامل العارف النابلسي وكذا سنده في الجامع الصحيح عن شيخه الداغستاني

شيخ الحديث بالترجيح وكذا الماحد ثنى به عن شيخه المذكور مما اتفق له في واقعة حال منامي هي من نتايج الأمور وذلك أنه لما فرغ من أقراء صحيح البخاري في المسجد الجامع الكبير الأموي استحضر على مطالعة رجال السند ليتعرض في الغد عند الختم بذكرها كما جرت به العادة بتركابهم ورجاء لحصول المدد رأى تلك الليلة حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا عند باب الصنجق في الجامع الأموي فناداه يا علي ما في يدك فقال له صحيح البخاري فأجازه بقراءته وإذن له أن يجيز من يروم الأخذ عنه من طريقة و روايته فساق الشيخ حال الختم سنده العالي وألحقه بذكر هذا السند الفريد الغالي فحينئذ عرضت له بأخذ رواية الحديث في تلك الساعة فأجاب من حسن كماله وشريف خصاله بالسمع والطاعة ثم تواعدنا يوماً مخصوصا في مكانه للأخذ عنه فيه إجلالاً للعلم وتعظيما لشأنه وكنت في اليوم الذي من ذكره آنفا خاليا من الشواغل وقد يسر الله لي من يدلني ويوصلني إلى مكان هذا الجهبذ الكامل فذهبت وفي معيتي ابن الأخ السيد عمر وسرنا مع الدليل إلى أن أوصلنا إلى مسجد صغير أنور فوجدنا حضرت المومى إليه في ترجمة البخاري يقرر ولعبادة الشيخ القسطلاني ينقح ويحرر فجلسنا في الحلقة إلى أن فرغ من الدرس وأصغينا لسبك ألفاظه وبديع درر المعاني فارتاحت بذلك النفس ثم أدخلنا لمحله وأسدانا من معروفه وفضله وأجازنا بمروياته و مسموعاته وما يجوز له وعنه من سائر العلوم العقلية و النقلية بالسماع منه لاسيما بالجامع الصحيح فقد أسمعني حديث إنما الأعمال بالنيات بسنده عن لفظه الفصيح وختم المجلس بالفاتحة ودعا الله بالدعوات الصالحة ثم خرجنا من مكانه لجهة باب الصغير والشاغور بقصد زيارة الصحابة و الأولياء أولى البهاء و النور فكان الابتدا بالزيارة في حال خروجي بمقام حضرة الولي الكبير الشيخ أحمد السروجي فوقفنا تجاه حضرته و قرأنا له الفاتحة ملتمسين من بركته ثم سرنا إلى مقام أمين هذه الأمة و إمام السنة المقطوع له بدخول الجنة العلم الشهير و الصحابي الكبير ذي النور الوضاح سيدنا أبي عبيدة ابن الجراح فرأينا مقامه الشريف غير مسقوف لكنه بالمهابة والجلال مستور ومحفوف فقرأنا لحضرته الفاتحة ودعونا الله بالدعوات الصالحة ثم وقفنا تجاه مقام من اشتهر بالولاية والإخلاص اشتهار الشمس في رابعة النهار حضرة الواعظ العارف الشيخ منصور ابن عمار فقرأنا له فاتحة الكتاب ودعونا بالخير لنا وللأهل والأحباب ثم زرنا بجواره ذوي الأنوار البهية حضرات السادة النابلسية وهم ثلاثة في قبر واحد في مكان واحد بجانب الطريق والشيخ إسماعيل والد العارف النابلسي بالتحقيق فقرأنا الفاتحة لهم بالخصوص ثم لبقية من هناك في المكان

المخصوص ثم زرنا الشيخ خليخان وما يليه من السادات العشرة ذوي القدر والشأن وكذا قبر الشيخ شمعون والشيخ زعرور فقرأنا للجميع فواتح ولبقية تلك القبور ثم دخلنا الجنانة ذات الأنوار فكان دليلنا على الزيارات المشهورة الحفار فوقف بنا على ضريح الولي المحبوب الشيخ يوسف أبي خرج المجذوب فقرأنا له الفاتحة والتمسنا البركات مع نيل الأماني والمسرات..))

زيارتهم الضرائح:

ثم زرنا قبر الولي المشتهر المكنى بأبي الشعر ثم زرنا من ترعرعت في حجر ولايته وتغذيت بلبان تربيته من هو من أجل مشايخي المرحوم المبرور السيد الشيخ يحيى المسالخي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته فقرأنا له الفاتحة ورأيت الأنوار من قبره لائحة ثم زرنا ضريح الإمام المقدام الشيخ محمد الكزبري شيخ مشايخ الشام فقرأنا له الفاتحة الشريفة والتمسنا من بركاته المنيفة ثم أتينا إلى المقام المنير والضريح الذي يفوح منه العبير ضريح ذات المجد الأسمي بنت الصديق الأكبر السيدة أسمى فوقفنا تجاه حجرتها وقرأنا الفاتحة الشريفة لحضرتها ثم دخلنا لمكان البضعتين الطاهرين السيدة سكينة و السيدة نفيسة اللتين من ذرية سيدنا الحسين فوجدناهما في جهتين متقابلتين فقرأنا لهما الفاتحة وقرت بزيارتهما العين ثم دخلنا لمقام ذي المحيا الأقمر والقبر الأنور سيدنا ومولانا جعفر فقرأنا له الفاتحة بالخضوع والذلة والتمسنا وابل خيره وطله ثم أتبنا لمقام قطب دائرة العارفين سيدنا عبد الله ابن زين العابدين فوقفنا خارج الباب وقرأنا الفاتحة لذلك الجناب ثم دخلنا لمقام السيدة الغراء وحفيدة الزهراء ذات الحسب الطاهر بلامين السيدة فاطمة بنت سيدنا الحسين رضي الله عنهم وحشرهم معهم فقرأنا عندها السبع المثاني راغبين إلى الله تعالى نيل الأماني ثم ذهبنا لمقام على القدر رفيع الشان سيدنا ومولانا معاوية بن أبي سفيان ويقال أنه لما حضرته الوفاة بالشام أوصى أن يكفن بقميصه عليه الصلاة والسلام وأن يجعل على جسده ليكون معه في لحده وكان عنده قلامة أظفاره صلى الله عليه وسلم فأوصى أن تسحق وتوضع في عينيه وفمه المكرم وقال وهو ذو القول المبين افعلوا ذلك بي وخلو بيني وبين أرحمن الراحمين فقرأنا له الفاتحة ودعونا بالدعوات الصالحة ثم أتينا لزيارة الطاهرة المصونة المكرمة أم المؤمنين وزوجة سيد المرسلين أم سلمه رضي الله تعالى عنها فقرأنا لها الفاتحة و استمدينا منها ثم ذهبنا لزيارة من بالأنوار و البهاء مغشي سيدنا بلال ابن رباح الحبشي فوجدنا باب حضرته مقفلا فقرأنا من الخارج الفاتحة ونلنا كرامته وتفضلا ثم أتينا مقام أم المؤمنين

وزوجة سيد المرسلين الطاهرة الحسيبة سيدتنا أم حبيبة فقرأنا الفاتحة عند قبرها الشريف وتبركنا بذلك المقام اللطيف ثم أتينا ضريح الطاهرة المصونة جاريته صلى الله عليه وسلم ميمونه وقرأنا لها الفاتحة راجين أن تكون أمورنا ببركتها ناجحة ثم أتينا قبر مؤذن من به باب الرسالة مختوم سيدنا عبد الله ابن أم مكتوم وزرنا لقبري الدرتين من أولاد أولاد سيدنا الحسين فقرأنا للجميع بأم القرآن ودعونا الله بنيل المغفرة والرضوان ثم أتينا على مقام حضرة الصحابي الصفي سيدنا أويس ابن أويس الثقفي فاستعطرنا من شذا عرف حضرته الفايح والتمسنا من بركات جوده الطافح وقصدنا أن نزور حضرة الصحابي الكبير سيدنا أبي بن كعب الشهير فأخبرنا ببعد مراده وعاقنا عن ذلك أيضاً شدة الشتاء بأمطاره ثم ختمنا الزيارة بالعبد الصالح المجذوب الشيخ البهلول المسلوب وقرأنا له الفاتحة ولكل من في الجبانة ونلنا منه تعالى فضله وإحسانه وعدنا لمحلنا بالخير و الخفارة وكمال البسط والانشراح بتلك الزيارة وبتنا في غرة ورفعة شأن وحفظ وحماية وأمان إلى أن انفجر صبح يوم الجمعة السابع من شهر صفر الذي فيه الخيرات متسعة صلينا الفريضة على العادة وجلسنا ننتظر الوافدين من أهل الفضل و السيادة فدخل علينا أعز الأحبة و الخلان عمدة الفضلاء السيد الشيخ عبد الرحمن فجلسنا معه حصة يسيرة وصارت بمشاهدته العين قديرة ثم ذهب من حيث جاء وتربصنا في النزول للأموي إلى أن سمعنا النداء فنزلنا لأداء الفريضة الميمونة واستمعنا للخطبة اللطيفة التي بالمواعظ مشحونة ثم عدنا بعد زيارة السيد الحصور إلى محلنا المشهور فدخل علينا محمد أفندي العمري ومقري نجل البيك الشيخ أحمد فتذاكرنا معهما بخصوص فرجة دخول الحاج فأخبرانا بتوجيه مكان أحسن ما وجد وأحمد فأنيرنا بذلك وشكرنا المالك وبتنا تلك الليلة على أحسن حال وأسر فكر وبال إلى أن أصبح يوم السبت الثامن شهر صفر نجد المأمول فيه إن شاء الله إنجاح الأمور وزوال البؤس والضير حضر عندنا صديقنا السيد الشيخ عبد الرحمن فتذاكرنا معه ساعة من الزمان وجاء في أثره جماعة من الأحباب وتسلينا بحديثهم المستطاب ولم نزل على هذا الحال المطرب إلى أن دخل وقت المغرب صلينا فريضة الوقت الشريف ودخلنا لمجلس الأستاذ ذي القدر المنيف قرأنا حصة من شرح الورد الأنور وأكملنا المجلس بمطالعة جمال محياه الأزهر وبتنا تلك الليلة في كمال الصحة غير أن العيون بتذكار الأهل بالدموع مسحة فلما أصبح الصباح وقامت بوفود ساقة الحاج الأفراح وكان ذلك اليوم يوم الأحد التاسع من شهر صفر الخير الخالي من الكدر والنكد صلينا الفريضة في المكان ثم توجهنا صحبة الأستاذ للميدان فتلقانا الموعود فينا من قبل حضرة البيك في المجي

رجل يقال له صالح أغا ابن إسماعيل الشربجي وأدخلنا لداره المعمورة وأصعدنا للقصر المطل على سكة الحاج المشهورة فاستقمنا فيه إلى المساء في سرور و ابتهاج حتى فرغنا من الفرجة على براخين الحاج فيا له من يوم مشهود و وقت من أوقات المسرة معدود ثم أحضرت مائدة العشاء فأكلنا واستقمنا إلى بعد العشاء ثم خرجنا إلى محل آخر للمنام وأحضروا لنا من العنب وأنواع النقيع ما يفي بالمرام وبتنا تلك الليلة في إعزاز وتوقير واحتشام وامتياز إلى أن كشف الصبح عن محياه البراق وظهر نور جبينه الساطع بالإشراق وكان ذلك يوم الاثنين العاشر شهر صفر الذين خرجنا للمحل الأول والقصر الذي في الفرجة عليه المعول فأقبلت عساكر الوزير العظيم تمر على أسلوب الحكيم من الترتيب والتنظيم فأول من مروا إلى أبحره بمعسكره ونظامه وإشاراته وراياته وأعلامه ثم عسكر الدالاتية ويليهم الأطواب والزنبلكات كذا الجنجاته من البارود والرصاص والقنبرات وعقب ذلك أقبلت التخوت ثم المحمل اللطيف و وراء ذلك السكمان والهوارة حول الصنجق الشريف ثم أقبل الوزير الخطير بالموكب العظيم الذي ليس له نظير وبعد أن مر الكاخية بالمهتاد خانه قصد كل من أهل الفرجة مكانه فعدنا لمحلنا بالسلامة وبتنا تلك الليلة بأنواع المسرة حيث نال كل منا بالفرجة مرامه إلى أن انجلت ظلمات الليل بالديحور وظهر الصبح بالضياء والنور وكان اليوم يوم الثلاثاء الحادي عشر صفر الذي اتضح خيره ونما بدره واشتهر دخلنا لدى الأستاذ والسيد السند الملاذ ولوحنا بطرق أسلوب حسن في تحريك الهمة بالمسير إلى الوطن حيث بعد المدا وكثر على القلوب الصدا وعظم الجوى من ألم الفراق والنوى لا سيما بالإقامة عند الناس يحصل للنفوس ضيق واحتباس وإن وجدت الرفاهية و الألفة فلا يخلو الأمر من الثقلة والكلفة والحياء يقضي بالخجل ويوجب السآمة والملل فلم يلق لما لوحنا به السمع و البال وصرح بضد واقعة الحال ومن جملة ما صرح به أن الأمور مرهونة بالأوقات وعلى العبد السكون تحت جريان القدر في جميع الحالات وأشعر بأن تقاعده عن السفر لا محيد عنه لحادث يحدث يخشى منه ولم يفصح عن الحادث والوقت والمحل فحصل لنا من ذلك غاية الخوف والوجل ثم التفتنا عن طلب تحريك همته إلى الإذن في السفر لهذا الحقير وإبقاء ابن الأخ عنده مدة إقامته فأبى إلا الالتقاء معه في الحضر والسفر فامتثلنا الأمر وعلمنا أنه مسطر وقد جاء ذلك اليوم من الحاج ابن بلدنا الشاب المأنوس أخونا الحاج يوسف ابن الشيخ غنطوس فسلمنا عليه وطلبنا منه الاستغفار لأن الله تعالى يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج كما ثبت عن النبي المختار وبتنا تلك الليلة مأسوفين وإلى الوطن والأهل متشوقين إلى أن انجلى الليل

البهيم وظهر الصبح بطيب النسيم وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر صفر ذي البهاء والضياء وخل في صباحه على من رؤياه طيب أوقاتي السيد الحاج عبد الله البويضاتي فسلمنا عليه ودعا لنا بالمغفرة حيث كان حجه مبرورا وقد شاهدنا أثره ثم فارقنا ودخل لتقبيل أيدي الأستاذ الرفيع المنار فأجلسه وأنشده قصيدة مضمونها ذكر تلك الأماكن الشريفة والآثار فبكا حضرة الأستاذ بكاء مقرونا بسيل الدموع وظهر عليه أثر الانكسار والذلة والخشوع بحيث لم يعهد منه ذلك مدة حياته ولا شوهد منه في فقد أولاده ولا في شأن من شؤونه وحالاته فحصل لنا ريب وتوقعنا ما سيظهره الغيب ثم حضرنا عند من للمحاسن حاوي الحاج علي أغا ابن السيد يوسف المعراوي وكان ذلك السنة حاجا في معية خالته فجلس عندنا حصة ثم خرج من ساعته ثم ذهب حضرة الأستاذ إلى بيت المنيني المحترم فلاقاله إلى الباب وعد ذلك من الأوقات التي تغتنم فاستدعى من سعادته الإقامة لينال به الشرف والكرامة فاستقام عنده من ذلك اليوم إلى يوم الثلاثاء الميمون الثامن عشر شهر صفر الذي بالخير مقرون وكان قبل هذا اليوم جاء ذو المنهل العذب للصادي والغادي الأخ الأكرم الحاج صالح جلبي زهير البغدادي وقد كان تلك السنة حاجا وله عيال في الشام فقبل راحة الأستاذ فقابله بالإعزاز والإكرام ثم دعاه لمكانه ليحصل له الشرف بين أقرانه فأجابه حضرة الأستاذ لما دعاه ودعانا ومنيني زاده فذهبنا مراعاة لحقوق الود والموالاة فدخلنا لمحله المعمور ونلنا المسرة والحظ الموفور وأحضر لنا ذا الصوت الندي الباهر الشاب الظريف السيد شاكر وكذا السيد عبد الله البويضاتي الذي تقدم ذكره ففاح عرف شذا إنشادهما ونشره وعند المساء أحضرت مائدة العشاء فوضع الخوان وصفت عليه مفاخر الألوان ما بين أطعمة زكية وأنواع من الحلويات شهية فأكلنا على حسب الإمكان ثم صلينا المغرب جماعة بالإخوان واستقمنا إلى نصف الليل في ذلك المغنا نستمع الأناشيد والمغنى إلى أن وضعت مائدة الحلوى والخشاف فأكلنا ثم آذن الأستاذ بالإنصراف فخرجنا وعاد كل منا لمكانه شاكرين لفضله وإحسانه وفي صباح هذا اليوم الثلاثاء وقعنا في شرك الزعل وحبسنا في قفص الملل فتوجهنا لزيارة الأستاذ الأكرم إلى بيت منيني زاده المحترم فرأيناه قد خرج قاصداً زيارة السيد سعيد العجلاني فقبلت يده ورافقته في الطريق ثم عدت لمكاني واجتمعت بحضرة البيك المحترم فسألني عن حضرة الأستاذ المحتشم فأخبرته بذهابه لزيارة العجلاني ثم أخرج لي كتاباً من جناب شيخنا الحاج علي أفندي الكيلاني يعرب مضمونه بإعطاء العهد لجناب البيك بالنيابة عن سعادته العلية و البساه الخرقة الشريفة القادرية مصحوباً ذلك الكتاب بالإجازة والخرقة فألبسته إياها امتثالاً

لأمر شيخنا ذي اللطافة والرقة ودفعنا له الإجازة الشريفة عقب ختمها وتحرير بعض كلمات لطيفة فبينما نحن كع جنابه في انشراح ويتل أماني وإذا بالداعي لنا قد أقبل من جهة الأفندي العجلاني فاعتذرنا له عن إجابة ذلك اليوم المبارك و وعدناه بالزيارة لجنابه والتملي برؤية الأستاذ ذي القدم الذي فيه لا يشارك وبتنا تلك الليلة كالتي قبلها مضت إلى أن ذهب الظلام وبوارق الصبح أومضت وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء التاسع عشر صفر صلينا الفريضة وتوجهنا لإجابة دعوة ذي المحيا الأنور عمدة المدرسين ونخبة الأماجد المحترمين ذي النسب الصحيح الطاهر والحسب الشهير الباهر السيد سعيد أفندي المتقدم ذكره آنفاً كان الله لنا وله في جميع الأحوال مسعفا فتلقانا بوجهه البشوش وهيأ لنا مكاناً خاصاً بالزرابي والنمارق مفروش فحضرت مائدة الغداء الفاخر الحاوية من المطاعم على ما يسر الخاطر فأكلنا في معية الأستاذ والجماعة على حسب القدرة والاستطاعة وجلسنا بين خلان الوفاء وندمان المسرة والصفاء ندير كؤوس الانشراح ونجلي عن القلوب صدا الأتراح فدخل علينا الفاضل التحرير والعالم الكامل الشهير الشيخ حامد أفندي العطار من شاع ذكر والده في الأقطار وقد كان حاجا في تلك السنة فوجدناه في أكمل صورة حسنة مع ما اتصف به من الظرافة وحواه من أنواع الكمالاتي واللطافة فبمجرد الاجتماع حصلت الألفة وزالت من البين الكلفة ثم انصرف بالسلامة ولزمنا بعده في ذلك المكان الإقامة وبتنا تلك الليلة في مسامرة ذكية ومنادمة شهية إلى أن أدير الغسق وأقبل الصبح بالشفق وكان ذلك اليوم يوم الخميس العشرين من شهر صفر الأنيس ذهبنا فيه لزيارة ذي الشذا المعطار حامد أفندي العطار فتلاقينا في وسط الطريق مع محب له وصديق يقال له الشريف حسن أخبرنا أنه ذهب لعيادة ولد له في هذا الوقت والزمن فعزمنا على زيارة الاثنين لنحوز الفضيلتين فسرنا مصاحبين لمحبة ومودة إلى أن وصلنا وتملينا بمشاهدة محياه وزيارة ولده واجتمعنا في مجلسه الشريف بالكامل الفاضل اللطيف جناب الشيخ إسماعيل أفندي الحافظ الممنوح بعناية الحفيظ الحافظ وكذا بجناب درة الصدفة الغزية الشيخ عمر أفندي مفتي السادة الشافعية فاستدعى الحاضرون منا قراءة الفاتحة والدعاء بنية حصول العافية والشفاء فدعونا امتثالاً لأمرهم وتفرقنا مشمولين بفوايح سرهم ثم أتينا إلى بيت العجلاني المذكور وبتنا مع تلك السادة في صفاء وسرور إلى أن قفلت عساكر الليل المجمعة وظهر صبح يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر صفر صلينا الفريضة وبعد الفراغ منها جناب الأفندي حضر فجلسنا معه ساعة زمانية ثم دخلنا في معيته لدى حضرة الأستاذ ذي الشيم الزكية فاستقمنا إلى طلوع الغدا فأكلنا ثم نزلنا إلى الأموي

عند قرب الندا فجلسنا تجاه المقصورة التي داخلها المنبر وإذا بالدستور الأكرم والوزير الوقور المحترم قد نزل بالموكب المعتبر وبعد انتهاء الفرجة امتلأ الحرم وازدحمت الصفوف بحيث لم يبق فيه للداخل فرجة صلينا الصلوات المطلوبة وقصدنا زيارة الحصور الأكرم التي هي مرغوبة))

أخبار غير سارة من ادلب :

ثم عدنا لبيت حضرة العجلاني الخمراوي فما مضى زمن يسير إلا وقد دخل علينا الأخ القطماوي فشاهدنا من وجهه ما يؤذن بالتغيير و بشعر يباعث على حصول التكدير فسألناه هل من حادث بلغ السمع من نواحي الديار فأجاب بقدوم ساعي معه جملة مكاتيب وأخبار فحصل لنا غاية الوجل وأرسلنا في طلب الساعي على العجل وكان حضرة الأستاذ قبل مجيء ذلك الأوان قال أن أهلكم محلكم أضاعوا الرحمن ثم بعد وصول الساعي لدينا أقبل حضرة العجلاني علينا يخبر أن الأستاذ الآن في معرض الكلام قال: أن ادلب مختبطة منذ ثمانية أيام ودخل على الأثر رسول من الوطن في جملة مكاتيب مفصحة بالحال والخبر من تكدير العيش وحصول الطيش وأفول شمس الكمال والسيادة الأخ المرحوم الشيخ محمد عياشي زادة مع هيجان شواظ الفتنة الطامة الحادثة بين حاكم البلد وبين العامة فحين الوقوف على هذه الأخبار أطبق غيم الغم والهم والأكدار وتشتت الفكر والبال وعرى الجسم النحول والبلبال ومر في الأذهان الخواطر الوهمية المقرونة بتخيل كل رزية وبلية فعدمنا الاصطبار بحيث لم يقر لنا قرار وتذكرنا ما سلف في يوم الأربعاء من بكاء الأستاذ وتغير حاله فإنه كان ساعة قيام العام وآخر أيام أفول كوكب العياشي واختفاء جماله وظهر لنا حكمة تثبطه عن التوجه للأوطان بحسب اطلاعه على الأكدار و الأحزان فلزم بعد الإخبار بهذه الرزايا الملمة عرض الكتب على سعادته مع طلب المدد وتنهيض الهمة فدخلنا عليه وترامينا على يديه ورجليه وعرضنا عليه المراسيل فلم يظهر منه لفظ يشفي الغليل فتجاسرنا عليه بألفاظ تحرك همته العلية وتنهض حاله وغيرته الكيالية الرفاعية فتغير وغلب عليه الحال وتطور في طور الجلال ولزم السكوت والسكون إلا في بعض الأحيان والشؤون وجعل يردد على لسانه الشريف ذكر اسمه تعالى اللطيف ثم بعد أحضرت مائدة العشاء فجلسنا وعلى القلب من الغم غشاء فلم نقدر على استيفاء الحظ من الطعام لاسيما بعدم لفظ من الأستاذ يشفي الأوام فجرى على لساني بسبب تنفس الصعداء من جناني وعار على راعي الحمى

وهو في الحمى فأكمله الأستاذ بقوله إذا ضاع في البيداء عقال بعير فرمى الملعقة وقام ولم يتناول سوى لقمة واحدة من الطعام وجاء في تلك الليلة قاضي الشام مع قاضي بغداد لزيارته وتشرفنا بتقبيل أذياله وراحته ثم خرجا من مكانه لمحلنا النفيس وبقيا في المسامرة معنا ومع الأفندي إلى وقت التعريس وأخرج الجناب العجلاني لنا ولهم أنواعا من الكنافات وأجناسا لذيذة من الخشافات ثم بعد تمام الحظوة والفراغ من شرب القهوة تفرقت الجمعية وبتنا على هذه الكيفية إلى أن انمحت آية الليل وجاءت آية النهار وذلك اليوم السبت الثاني والعشرون من صفر ذي الخير المدرار ذهبنا فيه لمحلنا في بيت البيك المحترم وكنا مدعوين ذلك اليوم عند الشيخ عبد الرحمن أفندي المكرم فحررنا ما تيسر تحريره في حال الغيبة والذهول وعولنا على الله تعالى ثم على مدد السادة في قضاء المصلحة على وفق المأمول ثم بعد العصر ذهبنا لمحل الدعوة فتعشينا ثم شربنا القهوة وعدنا لدى حضرة الأستاذ في بيت العجلاني زاد وأكملنا المكاتيب على ضوء المصباح بين أولئك السادة وعرضنا المكاتيب على حضرة الأستاذ ذي الأمناح لأجل أن يبدو منه لنا عن المادة استرواح فتأملها بنظره الشريف وحرر في كل منها بقلمه اللطيف وأشعر بخمور شواظ تلك النار واستبشرنا من حركاته بإقالة العثار ولاحت منه إشارة بحل قيد الرزية والخلاص من ضيق قفص تلك البلية فبتنا تلك الليلة في سكون من القلق وأمن في الجملة بعد الخوف والفرق إلى أن ولى غسق الليل وأدبر وأقبل صبح يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر صفر وجدنا كتاب تفسير مختصر تأليف حضرة الشيخ الأكبر سرحنا الطرف في رياض مبانيه ولم نقدر على الخوض في لجة معانيه فلما حان وقت الظهيرة وجهنا البريد بالكتب للأهل والعشيرة وحصل لنا غاية الوجد و وجل زائد عن الحد فسلك معنا سعادة الأفندي ولا يذوه طريق المواساة ومنهج التسلية والمصافاة وبتنا تلك الليلة في أرق من شدة الأوهام والقلق إلى أن ذهب الليل بظلامه وأقبل الصبح بإشاراته وأعلامه وكان ذلك اليوم يوم الاثنين الأنور الرابع والعشرين من شهر صفر حضر لدينا العالم الفاضل والسنبد الكامل من على التقوى محافظ الشيخ إسماعيل أفندي الحافظ وفي معيته عمه الفاضل التحرير والعالم المحقق الشهير من لأصول الدين محكم ولفروعه منشي الشيخ الحاج خليل أفندي خشي فجلسا عندنا ساعة زمانية وتملينا بمشاهدة أنوارهما البهية ثم دخلا إلى مجلس الأستاذ الأعظم وحصلا بزيارته ولثم أياديه على جزيل المغنم وبعد خروجهما ذهبنا لزيارة عمدة العلماء الشيخ صالح القزاز فحين دخولنا عليه تلقانا بالإكرام والإعزاز فجلسنا في مكانه الزاهي وتمتعنا بجمال طلعته الباهي فشاهدنا فرقد

الصلاح في جبينه قد لاح وشممنا من ثغره الشريف شذا فضله الفياح قد كسي لباس السكينة والخشوع وتوشح بوشاح التواضع والخضوع ثم استأذناه في الذهاب فخرج مشيعا لنا إلى الباب ثم ذهبنا لزيارة الحافظ وعمه الشيخ خليل فلم نجد لهما من محلهما من مقيل فاكتفينا بالسعي الميسر وعلمنا أن الاجتماع مقدر فبينما نحن في نية الرجوع من ذا السير إذ عرض لنا عيادة الحاج صالح جلبي زهير فذهبنا إلى أن وصلنا إلى باب(المدرسة الفتحية)وجدنا هناك حامد أفندي العطار ذا النوافح المسكية فسألناه عن سبب لبثه في ذلك المكان فأخبرنا بما نحن بصدده من زيارة المومى إليه في ذلك الأوان فتوجهنا جملة لعيادته وتملينا من مشاهدته وسألنا خاطره

الشريف وتفقدنا مزاجه اللطيف ثم ختمنا المجلس بقراءة الفاتحة على نية الشفاء مع إلحاقها بالدعوات الصالحة ثم خرجنا وعدنا إلى مكان عجلاني زاده وتسلينا بمسامرة أولئك السادة القادة وبتنا في محاورة مطربة ومحادثة مستعذبة إلى أن أضاء نور الصباح و أزهر في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر صفر أتى في ذلك اليوم جناب محمد أفندي محاسن زاده واستدعى تشريف الأستاذ لمحله لينال قصده ومراده فلبينا دعوته وصرفناه إلى الغد فعارضنا عجلاني زاده وسعى في السرد و الصد فذهب المومى إليه لمكانه عازماً على العود من الغد لتأسيس مطلبه وأحكام بنيانه وبتنا تلك الليلة في مسامرة ندية ومحادثة بهية إلى أن ذهب الليل بديجوره وأقبل النهار بضيائه ونوره ..))

لقاء مع أعيان الشام :

وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر المؤذن إن شاء الله بصرف الأكدار والضرر حضر في محلنا الخاص جناب السيد سعيد أفندي وصار كل منا لكرامات حضرت الأستاذ يبدي ثم دخلنا لمحله المأنوس ولم نزل جالسين حتى أخذت حظها من الغد النفوس فطلب الأستاذ الذهاب إلى بيت المحاسني المتقدم آنفا فترامى عليه الأفندي فلم يحد له عن الذهاب سبيلا مصرفا فذهب الخبر للمحاسني في الحال وخرج الأستاذ وقد تجلى الله عليه بالجلال وذهبنا في معيته إلى بيت المومى إليه فخرج لملتقاه وأخذ بتقبيل يديه وحصل له الفرح والسرور ونال بزيارة الأستاذ له الحظ فاستقام عنده ثلاثة أيام وفي كل يوم يرد لتقبيل أياديه جم من أكابر أهل الشام وكان في جوار محاسن زاده حسن أفندي ابن تقي الدين فلم يزل في هذه الأيام لحضرة الأستاذ من الملازمين وهو من أعيان الشام الأماجد والكبراء الذين توجوا بتاج

المحاسن والمحامد وله نسبة لذي المقام السني الولي الجليل حضرت الشيخ الحصني وانعقد المودة بيننا وبين ابن عم المضيف ذي الكمال البارع السيد خليل أفندي المحاسني الخطيب بالجامع وكنا في هذه الإقامة وقت النيام نذهب ننام في بيت أخينا السيد عبد الله المكتبي بالمعزة و الإكرام وكان الوقت ذا برد شديد يربو كل يوم على ما قبله ويزيد فأوقد لنا النار حتى صار المكان كأحد بيوت الحمامات لاسيما مع ضبطه للمنافذ والطاقات وقد وطأ لنا وطاءً عاليا ودثرنا دثارا باهياً زاهياً ولم نزل في مدة المنام عنده في راحة وسكون إلى أن تنشق عن الصبح الجفون فننتبه من الرقدة ونصلي الصبح ونشكر فضله وقدره ثم نحضر مجلس الأستاذ على هذا النسق والتوالي إلى أن دخلت الليلة الرابعة فكانت بدلاً أو عطف بيان مما مضى من الليالي وهي ليلة الأحد الذي تمام شهر صفر من حيث العدد وأما باعتبار الهلال فهو غرة ربيع الأول من غير شبهة ولا إشكال فحين طالع الفجر صلينا وعند طلوع الشمس لدى الأستاذ أتينا وقد كان حسن أفندي الحصني دعا الأستاذ لمكانه وحضر تلك الساعة فذهب معه في جملة أخوانه فأدخلنا لمجلسه ومقامه ووقف في خدمته من جملة خدام واجتمعنا في ذلك المحل بالشريف عبد الله أحد الشرفاء المكيين فوجدنا عليه رداء الورع ولباس المتقين واستقمنا ذلك اليوم وتلك الليلة نتسامر مع القوم إلى أن اشتاقت النفوس للنوم فانفض المجلس ولم يبق فيه من مسامر ولا مونس سوى الضعيف المذكور فإنه تأخر عندنا ساعة تسلية لنا بذكر حوادث الأمور فأمر بإخراج فرش المنام وباشر من رقته بسطها وتسويتها مع الخدام وبتنا إلى أن أصبح صباح يوم الاثنين الثاني من ربيع الأول الذي ولد فيه سيد الكونين خرج الأفندي المذكور من الحرم فطلب الأستاذ الذهاب إلى بيت البيك المحترم فترامى عليه الأفندي في شان الإقامة ولو ثلاثة أيام سوية من سلف من الداعيين أمامه فأبى إلا الرجوع وذرفت عينا الأفندي بالدموع آيس من إقامته بادر لتشيعه مقبلاً لراحته فذهبنا صحبة الأستاذ لمحلنا القديم واجتمعنا بجناب البيك الكريم ثم دخلنا لمكاننا المعهود وحمدنا المولى على ما أنعم من الكرم والجود فجاء لتقبيل أيدي الأستاذ ومرشدي لطريق القوم وقائدي الشاب الظريف اللطيف السيد عبد الله أفندي ابن فتحي أفندي الآمدي فدخل عليه وقبل يديه وضع قصيدة لديه امتدحه بها واعتذر بالعجز عن حصر أوصافه وضبطها فأمعن النظر فيها واستخرج منها خوافيها ثم كتب بخطه الشريف ألفاظاً تشعر بمدح منيتها وتدل على فرط زكاء سايقها وموشيها فامتلأ سرورا وابتهج جمورا وضن بها حيث شرفها الأستاذ بخطه فجعلها تبركا في حوزته وضبطه وقال أنا أحق بها وأحرى وكم على بدلها نسخة أخرى فبادر لتحريرها

من غير تعويض ونمقها أحسن تنميق وأقبل بها علينا وعرضها معتذراً إلينا فوجدناها قصيدة حبكت مبانيها على منوال البلاغة والصناعة وأفرغت معانيها في قالب الفصاحة والبراعة فأجبنا أن تقلد هذه الرحلة هذا العقد الفريد المنظوم نظم الجوهر والدر النفيد قال الناظم الأديب واللبوذي الفاضل الأريب رحمه الله وجعل الجنة مثواه

وجوه المعاني للمعاني تجلت ** بطلعت شمس من بروح الأهلة

نعم قد جلت حين انجلت من ستورها ** غياهب ظلماء بها الخلق ضلت

ولما تجلت بالبها وتنوعت ** مظاهرها في كل معنى و صورة

تجمعت الأضداد تحت خبائها ** فما ثم إلا عينها في الحقيقة

ولكن بتعين الصفات تميزت ** بتعداد هاتيك المرائي تجلت

لها وحدة في كثرة و مظاهر ** تجل عن الإحصاء في كل حضرة

فوحده وجود الحق في كل مظهر ** ولا تكترث فيه بمنف و مثبت

شدت السن الأسرار عند برودها ** وأطيار أفنان الحقايق غنت

وفي وترها شفع المثاني تثلثت ** بتربيع مجلاها تجلت بخمسة

وأظلال أغصان الصفات تعاكست ** على أنهر الأكوان في أي صورة

فقم يا نديمي واسقني صرف خمرة ** بكاسات أحشائي وأقداح مقلتي

فإني سمعت الغانيات من الحما ** بألسنة الألحان في ألحان رنت

ولا تخسر الميزان زنه منادمي ** بأوزان نيراني وأمنان لوعتي

مدامة حب عتقت قبل كوننا ** فأرواحنا من عرفها قد تملت

لها الخلق كاس وهي أمر مديرها ** تجلى جمال الذات من كل وجهة

وحاناتها الأسما الصفات دنانها ** حباب قداحي عين أفعال منيتي

وقد ذابت العشاق في غادة الحمى ** وأفئدة الطلاب فيها اضمحلت

شؤون مجاليها تجلت فأبدعت ** بكل الذي أبدت بأبدع صنعة

وكم سميت ليلى و لبنى و زينبا ** و هندا و سعدى فاستحبت وحبني

وكمن سميت قيسا جميلا كثيراً ** وكم سكنت ديرا وطافت بكعبتي

وكم شبهت في نعتها وتنزهت ** تعالت صفات عن حلول وجلت

وقد ظهرت في ذا الخفاء وأمطرت ** على حجر إسماعيل ميزاب رحمة

فطافت به حجاج كعبة حسنها ** فأروا هموا من زمزم أي رية

وعصبته قاموا بكيل سقائه ** فهم آل كيالٍ لهم خير نسبة

وهم عصبة التقوى وهم سادة الورى ** وهم خير خلق الله أعلام شرعة

سقى الصيب المنهل ساحة حيهم ** وجادت عليهم سحب كل تحية

فيا أيها الشهم الذي سح جوده ** على الشام وكفا بل على كل قرية

أتيتك في فقري وعجزي وذلتي ** أأمل أني لا أردُّ بخيبة

أأمل من ساحات جودك نظرة ** عسى أبلغ المأمول منك بنظرة

ومرغته بالأعتاب خدى تواضعا ** وسوء ضيعي مشعل نار روعتي

وأين لمثلي أن يقوم بمدح من ** تولاه بالأسرار ربُّ البرية

ولكن بجاه المصطفى جئت للحما ** به مستجيرا فهو خير وسيلتي

وأني تنزيل لا يضام نزيلكم ** وأنتم وأيم الله أعظم بغيتي

ومسكينكم أني يضام وأنتموا ** ليوث ضراب الحرب في كل وقعة

وشوقي إليكم يعلم الله حده ** و وجدي و أشجاني و زفرة لوعتي

فكن لي نصير أطول دهري فإنني ** بأيدي الأعادي حايرا أي حيرتي

وقل جئت عبد الله أكرمَ منزلٍ ** فكن آمنا خوف الأعادي الأذلة

ويوم الحسابي قل لجدك أنه ** تنظم في الدنيا بعقد محبتي

دعوة لنا فهو النزيل بحينا ** نزيلي بهذا اليوم يبغى حميتي

فهذا رجائي يا منائ وهذه ** قضية أمري جئت أبنيك قصتي

فخذ بيدي أني أسير كبائرٍ ** وظني بأن الله يغفر ذلتي

وأختم أطنابي وإن كنت مقصرا ** بأوفى صلاة مع جزيل تحيةِ

على حضرة الكنز المطلسم أحمد ** وآلٍ و أزواجٍ و صحبٍ و عنزة

مدى الدهر ما بين البرية أنشدت ** وجوه المعاني للمعاني تجلت

ثم إنا أخذنا نتجاذب مع منشيء القصيدة أطراف المسائل ونتذاكر فيما لحضرة الشيخ الأكبر من الرسائل مع إيراد حكايات أدبية وعبارات علمية فبينما نحن في رياض البسط نسرح وفي ميادين الصفاء نشطح ونمرح إذ دخل علينا حضرة الأستاذ الأكرم السؤدد الملاذ الأفخم ومعه ذو المحيا السني الشيخ عمر أفندي ابن الشيخ العارف عبد الغني فوقفنا في مقام الأدب ثم جلسنا جثياً على الركب فطال فيما بيننا الجلوس وابتهجت بوجوده النفوس فلما استأذنه النابلسي بالذهاب خرج مشيعاً له إلى الباب وانفض المجلس وبتنا تلك الليلة خالين من المسامر و المونس إلى أن كشفت براقع الصباح عن نور محياه الوضاح وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء الثالث يوم من ربيع الأول الذي هو شهر الولادة وعليه المعول جاء في صباحه لزيارة الأستاذ و الطود المكين السيد حسن أفندي بن تقي الدين وفي وقت العصر جاء فريد الدهر والعصر السيد سعيد أفندي عجلاني وشنفنا الأسماع ببديع هاتيك الألفاظ وبليغ المعاني ولما حصل لنا من طول المكث في الشام غاية اللجاج تجاسرنا في هذا اليوم على الأستاذ وعرضنا عليه السفر للوطن مع قافلة الحجاج وصرح بعدم السفر في الوقت المذكور ولوح بالإقامة إلى أن يستنشق روايح الربيع والزهور فلم يبق حينئذ مطمع في السفر وقطعنا عنه وقتئذ النظر وشرعنا في تعاطي أسباب

التحيز إلى مكان نستقيم فيه إلى أن يحضر الحين ويحيز الأبان حين حصل لنا شدة الملل وعظيم الحياء وكثرة الخجل ولم نزل من يوم الثلاثاء المذكور آنفاً نسعى في توجيه المكان بواسطة الأحبة والأصدقاء والخلان إلى أن أفتر ثغر الليل إلا ليل عن سنا صبح يوم الأربعاء الحادي عشر ربيع الأول من الله تعالى فيه بمكان يلي منزل البيك ذي المحيا السني لرجل صالح من ذرية الشيخ العارف النابلسي عبد الغني وهو في الأصل منزل الإمام الجليل ابن الشيخ الكبير مولانا الشيخ إسماعيل فرغبنا فيه للتبرك بآثار ذلك الملاذ وللقرب من جوار حضرت سيدنا الأستاذ حيث لا يمكن الانقطاع عن جنابه ولا المفارقة له في ذهابه وإيابه فحولنا أمتعتنا إليه على الصباح فحصل من الأستاذ في الحال كشف واستراح وذلك أنه لم نطلعه ولا أحد من قبل البيك على تلك الواقعة حذراً من التعرض والممانعة فدخل حضرة الأستاذ في ذلك الأوان وبحث عن الحال والشان فاستشعرنا منه في الباطن عدم الرضا لكنه مجاراة لنا عن هذه الحركة قد أغضى وطلب منا رؤية المحل الذي استأجرناه للإقامة فامتثلنا أمره وذهبنا نمشي أمامه فدخل إليه وجلس فيه حصة يسيرة فسررنا بذلك وصارت العين به قريرة ثم خرج من وقته مسرعا وخرجت معه إلى الباب مشيعاً وعرضنا عليه النقلة لنكون في المحلة الذي انتقلنا إليه جملة فأبى إلا أن يكون في محله حتى يسافر إلى وطنه وأهله فذهب لمحله الأقدم وعدنا لنهيئ ما يقتضيه الحال ويلزم فهيئنا ما نحتاجه من أهل المحل وبيوت الأخلاء ثم وفد علينا الأحبة والأصدقاء الأجلاء وكانت تلك الليلة ليلة المولد النبوي فتهيئنا بعد صلاة المغرب لنزول الجامع الأموي ظناً منا أنهم يقرؤونه أول ليلة في الجامع على عادة البلاد من نزول العلماء والأعيان والأكابر الأمجاد فنزلنا بعد صلاة فريضة المغرب إلى ذلك الجامع الذي لم يكن له مثال في المشرق والمغرب فرأينا المصابيح فيه كالنجوم وقد اجتمع فيه جم غفير من العموم فلما كان قبيل العشاء بثلث ساعة صعد إلى السدة الحجر التي تجاه سيدنا يحيى من المؤذنين جماعة فارتفعت أصواتهم بمغاني لا تفهم فما مضى درجة إلا قيل ولد صلى الله عليه وسلم فلا شبيه له إلا المواليد التي تقرأ في المنارات مع أنه لم يستعملها أحد من السلف ولا أودعت في طي العبارات فصلينا العشاء في ذلك الجامع وزرنا السيد الحصور ذي النور الساطع وقرأنا لحضرته الشريفة الفاتحة ودعونا الله تعالى بالدعوات الصالحة ثم خرجنا لمحلنا وجمع الله تعالى بالأحبة شملنا وبتنا تلك الليلة في راحة وهنا من غير مشقة ونصب وعنا إلى أن انمح الغسق وظهر في أفق السماء الشفق وكان ذلك اليوم يوم الخميس المكرم وهو الثاني عشر يوما من ربيع الذي ولد فيه

صلى الله عليه وسلم فحضر فيه عندنا الشيخ عبد الرحمن أفندي والشيخ عبد الله الآمدي وكذا الشيخ محمد أفندي الرحمتي فنلت بهم حظوظي وبغيتي فتذاكرنا معهم ساعة زمانية واقتطفنا من أغصان آدابهم ثمارا جنيه ثم انفض المجلس المطرب وحصل لنا وحشة إلى أن صلينا المغرب فحضر الشيخ عبد الرحمن مع أولاده فجرى بيننا مسامرة تذهب بصداء القلب وتفي بمراده وبتنا تلك الليلة على أكمل حال إلى أن ظهرت طرة الصبح كالهلال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الثالث عشر ربيع الأول الذي فيه كل لخيرات مجمعة حضر عندنا في الصباح المذكور الشيخ عبد الرحمن فحصل بوجوده غاية السرور ثم لما حان حين الصلاة نزلنا للجامع الأكبر وجلسنا نستمع الخطبة مقابلة المنبر ثم بعد فراغ الجمعة والظهر قرأنا الفاتحة لحضرة الحصور الطاهر الطهر ثم ذهبنا لدى الأستاذ لمشاهدة رؤياه والتمتع بجماله ونور محياه وقد كنا ذلك اليوم في دعوة الخل المواسي جناب الحاج مصطفى أغا درويش علي الشهير بمعبوك أغاسي فمن حسن الشيم واللطافة أحضر الطعام لمحلنا حذر المشقة بعد المسافة وبتنا تلك الليلة في حال سعيد وعيش بالمسرة رغيد إلى أن فاح شذا الفجر وهب معطاره ولاح سناه وأشرقت أنواره وكان ذلك اليوم يوم السبت الرابع عشر من ربيع الذي ظهر فيه للوجود السيد الشفيع حضر عندنا الصديق الأكرم الشيخ عبد الرحمن أفندي الادلبي ثم بعد ذهابه توجهنا لزيارة الأخ السيد الشيخ سعيد الحلبي فدخلنا عليه في مكانه الذي في مدرسة الكلاسة فوجدنا عنده جماً من الطلبة أهل الرياسة والكياسة فبادر لملتقانا وبأنواع الإكرام حبانا وتذاكرنا في بعض المسائل وجرى بيننا ذكر أحوال المشايخ الأوائل ثم خرجنا من مكانه فشيعنا للباب مع أخوانه وصلينا الظهر في القبلية ثم خرجنا لمحلنا فوجدنا الشيخ عمر أفندي نخبة السادة النابلسية فتمتعنا بشهوده وتشرفنا بوجوده ثم خرج بسلام فأحضر ما تيسر من الطعام فأكلنا على حسب القابلية وصلينا المغرب بخلوص النية وذهبنا لمجلس الأستاذ قرأنا له حصة من شرح المنبهجة وصارت القلوب ببديع تلك المعاني مبتهجة ثم استأذناه في الذهاب فخرج وبيده المصباح مشيعا لنا إلى الباب وبتنا تلك الليلة في سرور وصفاء خاطر وحبور إلى أن تجافى الليل و انخزل وأضاء صبح يوم الأحد الخامس عشر ربيع الأول ومضا ذلك اليوم والليلة على نسق ما تقدم من الافتراق والاجتماع والصفاء والمسرة بحسب ما كبت في القدم وانكشف لثام الظلام عن محيا الصبح البسام وكان ذلك اليوم يوم الاثنين المنيف السادس عشر من شهر ربيع الشريف انتبهنا من سنة الكرى وصلينا الفريضة لخالق الورى وجلسنا في محلنا ذلك ما بين صادر وغادي ولم نتشرف بزيارة الأستاذ حيث ذهب

لبيت العمادي وقد كنا ذلك اليوم في ضيافة من بالمحاسن حبى الأخ الأكرم السيد محمد خلاص جلبي ولأجل المشقة وبعد المكان اتفقنا معه على إحضار ما تيسر من الألوان فأحضره قريب المغرب لدينا فجلسنا معه جملة تعشينا ثم ورد الأحباب والأصدقاء والأصحاب فتسامرنا معهم في أطايب الكلام إلى أن هجم النعاس وحان المنام ذهب الجماعة وباشرنا النوم تلك الساعة فنمنا إلى أن طلع الصبح وظهر واستنار ضوءه وانتشر وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء السابع عشر ربيع شهر ولادة ذي القدر الرفيع ورد علينا جماعة من الأخوان وجرى بيننا وبينهم ذكر ما حدث في الأوطان ولا بطاء الخبر تشوش الخاطر وكثر الضجر فبتنا تلك الليلة في توارد خواطر على الأفكار وشغل بال بما شاع من الأخبار إلى أن انقشع الظلام ونادى المؤذن بدخول الوقت والأعلام وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الثامن عشر من ربيع الذي ولد فيه سيد الشفعاء جاءنا طلب من طرف الأستاذ لبيت العمادي فتوجهنا إلى ذلك الربع والنادي فتلقانا عمدة المدرسين وأكليل تاج الأكابر المحترمين عماد ذلك البيت ونور نبراس شجرة ذلك الزيت حضرت السيد أحمد أفندي لا زال في حراسة المعيد المبدي فأدخلنا على الأستاذ الأفخم فبادرنا بالترحيب والتسهيل وسلم فقبلنا ذيله الشريف وجلسنا تجاهه في ذلك القصر المنيف واستمعنا للإنشاد اللطيف حتى دخل وقت المغرب الشريف بادرنا بالعشاء ثم صلينا المغرب واستقمنا إلى العشاء فاستأذنا وعدنا لأجل المنام وبتنا إلى أن ظهر الصبح وانمحى الظلام وكان ذلك اليوم يوم الخميس المشهود التاسع عشر يوما من ربيع الذي هو شهر ولادة صاحب المقام المحمود حضر عندنا ذو الكمال الجلي الحاج مصطفى أغا درويش علي واستدعى أن نكون في الغد في ضيافته وخيرنا كم مضى بين إحضار الطعام لدينا أو الحضور لدار كرامته فاخترنا حضور الطعام لدينا وأن يسعى به إلينا ثم استدعى منا أن نحضر معه لدى الأستاذ لأجل أن يدعوه للحضور ليحصل له جبر الخاطر وينال الحظ الموفور فذهبنا معه لدى حضرته وترجيناه في تلبية دعوته فأجابه لمطلوبه ووعده بما موله و مرغوبه وفي تلك الليلة دعانا ذو المحاسن والفخار لحضور المولد ليلا الشيخ حامد أفندي العطار فذهبنا قرب العشاء في معية الأستاذ لمكانه فتلقانا بصدره الرحيب مع بقية أخوانه فجلسنا حصة في المحل البراني لأجل الراحة من غير تواني ثم دخلنا إلى شريف الحرم ذي السنا وأدخلنا إلى قاعة عظيمة عالية البنا فوجدناها مملوءة بالحفظة والمشايخ الكرام والعلماء الأئمة والأكابر الفخام وقد شاهدنا لهم عادة لطيفة أن يقدموا بين يدي المولد ختمة شريفة ثم يضعوا بين يدي الشيخ كرسياً عليه سفرة صغيرة وفوقها قمقم ومبخرة وهي

ملأى إما من نوع من أنواع السكر أو فاكهة معتبرة ثم يبتدروا بقراءة المولد المأنوس ويأتوا في خلال المولد بمدايح تنشرح بها النفوس ثم يقوموا جميعهم على العادة عند الإتيان بذكر الولادة غير أنهم لم يأتوا بالصلوات المعهودة في بلادنا ولا يرفعون الأصوات بصلاة التوليد كعاداتنا ثم يجلس الشيخ والحاضرون لقراءة شيء من صفاته صلى الله عليه وسلم ومآثره وذكر بعض من معجزاته الباهرة ومفاخر ثم يستعملون ماء الزهر المكرر ويطلقون مباخر العود والعنبر ثم بعد ذلك يبادر بالاستغفار ويلحقونه بالصلاة عدداً معلوما على النبي المختار وحينئذ يشرعون في الذكر حصة قليلة ويختمونه بالفاتحة والأدعية الجليلة فحصل لنا تلك الليلة ولحضرت الأستاذ نشاط وتجلى الله عليه بالانشراح والانبساط فيا لها من ليلة مشهودة وهي من أوقات الخير والمسرة معدودة ثم أحضروا المائدة السنية الحاوية على الأطعمة و الحلويات الشهية فأكلنا على حسب الإمكان ثم استأذنا وعدنا ليلاً إلى المكان لكن قبل الخروج من مكانه المخصوص دعى حضرت الأستاذ يوم السبت بطريق الخصوص وبتنا تلك الليلة في غاية السرور وكمال النشاط والحبور إلى أن لاح الفجر وبدت تلك الطلعة فكان ذلك اليوم المبارك يوم الجمعة وهو اليوم العشرون من ربيع الأول صلينا الفريضة وابتهلنا بالدعاء لمن بنعمه نتخول وحضر عندنا بعض أهل الولاء فتحادثنا معهم ساعة ثم ذهبوا على الولاء ولما قرب الوقت جددنا الطهر ونزلنا على الأموي صلينا الجمعة والظهر ثم خرجنا لمحلنا واستقمنا إلى العصر فورد علينا صاحب الدعوة على القدر فتركناه إلى العصر فورد علينا صاحب الدعوة على القدر فتركناه في المكان وذهبنا لتشريف حضرة الأستاذ جليل الشان فقبلنا ذيله الشريف وعرضنا عليه التشريف فنهض في الحال ومشى واستقام عندنا إلى فراغ العشاء فعرضنا على سعادته السهر فأبى وأخذنا معه لتميم قراءة ورد السحر ثم بعد القراءة عدنا لمكاننا وأنهينا المسامرة مع إخواننا وبتنا تلك الليلة إلى أن انبلج الصباح وأغنى ضوءه عن الاصطباح وكان ذلك اليوم يوم السبت وهو الحادي والعشرون من ربيع الذي ولد فيه نبي الزمان ورسول الوقت صلينا الصبح وقت الغلس وكل منا لقراءة أوراده وأذكاره جلس فلما أن طلعت الشمس حضر ابن الشيخ عبد الرحمن أفندي ذو الكمال والأنس ثم شرف والده من بعده فتعاطينا معه سلاف صفووده ثم بعد تفرق الجماعة ذهبنا لدى حضرة الأستاذ قبيل العصر بساعة وعرضنا عليه الذهاب لدعوة الكامل الفاضل ذي الثنا المعطار جناب الشيخ الحاج حامد أفندي ابن الشيخ العطار فنهض وخرج ومشينا أمامه لفتح الفرج حتى وصلنا إلى الباب فخرج المومى إليه وقبل يد ذلك الجناب فأدخلنا لبيته المعمور وحصل له بوجود

الأستاذ غاية السرور في تلك القاعة ذات البناء الرصين ثم صاحت فصاحة بلابل المنشدين واطلع الأستاذ المحترم على كتبه وانتخب للمطالعة منها ثلاثة كتب هي غاية مطلبه وفي ذلك اليوم اطلعت على كتاب طالما تشوقت النفس إليه وتشوقت للاطلاع عليه وهو كتاب الإبريز في أقوال عبد العزيز فإنه قد جمعه من أقواله بعض فضلاء تلامذته بيانا لكرامة ذلك الإمام وإظهارا لولايته لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك يحل معضل المسائل ومشكلها الذي لم يعثر عليه في الكتب ويتكلم في سائر العلوم الباطنة والظاهرة ويخبر بالأمور المغيبات التي للعقول باهرة وكثيراً ما كان يسند إليه غرائب المسائل ذو العلم والأدب والفضائل الأخ في الله الشيخ محمد أفندي المغربي لا زال في حفظ الله ودعاية النبي فتطفلت على حسن سجايا المومى إليه في إعارته لأشفي الغليل بمطالعته فحين لاحت له مني الإشارة دفعه لي بطريق الإعارة فاستقمنا إلى وقت المغيب حتى حضرت مائدة الطعام العجيب الحاوية على الأطعمة الفاخرة والحلويات الطيبة العاطرة فأكلنا ما قسم على حسب المعتاد وشنفنا السامع نحو ساعة بالأغاني والإنشاد فاستأذنا من ذلك الجناب الرفيع فخرج أمامنا إلى الباب لأجل التشيع وأتينا لمكاننا وتسامرنا مع أخواننا وبتنا تلك الليلة إلى أن أفلت الجواري الكنس وصبح يوم الأحد الثاني والعشرين من ربيع الأول تنفس شرعنا في مطالعة كتاب الإبريز تبركاً بمناقب وأقوال الشيخ عبد العزيز فاطلعنا على ما فيه من العجب العجاب وعلمنا أنه رجل من أكابر الأولياء الأقطاب ومن جملة ما نقل عنه من الأقوال تفسيره لبعض آيات سئل عنها وهي بينة الأشكال ومثل ذلك الأحاديث الشريفة فأجاب عن كل بأجوبة لطيفة وفك منها المقفل وحل المعمى والمعضل ولعدم الظفر بمثل هذا الكتاب المنير والعثور على شبه هذا التحرير و التقرير رغبت في إثبات بعض الآيات التي فسرها والأحاديث التي أولها وأظهرها مع ذكر بعض المسائل التي أجاب عنها السائل فمنها مسألة الغرانيق قال تلميذه ذو التحقيق والتدقيق وقلنا له هل الصواب مع عياض ومن تبعه من نفيها أو مع الحافظ ابن حجر الذي أثبتها ونص كلام الحافظ وأخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قراء رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم اللَّات و العزى ومناة الثالثة الأخرى فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا ثم ذكر تخريج البزار للقصة وكلامه عليها وما يتبع ذلك إلى أن قال وتجرأ أبو بكر ابن العربي على عادته فقال ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لأصل لها وهو إطلاق مردود عليه وكذلك قول

عياض هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواة ثقة بسند سالم متصل مع ضعف نقلته واضطراب برواياته وانقطاع أسناده وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها عنهم أحد ولا رفعها إلى صحابي وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة قال وقد بين البزار لأنه لا يصرف من طريق يجوز رفعه إلا طريق أبي بشر عن سعيد ابن جبير مع الشك في وصله وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر فقال لو وقع ذلك لارتد كثير ممن أسلم ولم ينتقل ذلك قال ابن حجر وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن للفظه أصلاً وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لم يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما ينكر فذكر في ذلك ست تأويلات فأنظرها فيه ولما ثبتت هذه القصة فسر بها قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية فنقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يفسر تمنَّى بقراءة منيته قراءته قال بشير إلى مسألة الغرانيق التي سبق ذكرها ونقل عن النحاس أن هذا أحسن تأويل قيل في الآية وأجله وأعلاه فقلت للشيخ رضي الله عنه فما هو الصحيح عندكم في هذا وما الذي نأخذه منكم في هذا الموضع الضيق فقال رضي الله عنه في القصة مع ابن العربي وعياض ومن وافقهما إلا مع ابن حجر فقط ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من مسألة الغرانيق وإني لأعجب أحياناً من كلام بعض العلماء كهذا الكلام الصادر من ابن حجر ومن أفقه لو وقع شيء من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لارتفعت الثقة بالشريعة وبطل حكم العصمة وصار الرسول كغيره من آحاد الناس حيث كان للشيطان سلاطة عليه وعلى كلام الذي يزيده مالا يريده الرسول صلى الله عليه وسلم ولا محبه ولا يرضاه فأي ثقة تبقي في الرسالة مع هذا الأمر العظيم ولا نعني في الجواب أن الله ينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم آياته لاحتمال أن يكون هذا الكلام من الشيطان أيضاً لأنه كما جاز أن يتسلط على الوحي في مسألة الغرانيق والزيادة كذلك يجوز أن يتسلط على الوحي بزيادة هذه الآية برمتها وحينئذ يتطرق الشك إلى جميع آيات القرآن والواجب على المؤمنين الإعراض عن مثل هذه الأحاديث الموجبة لمثل هذا الريب في الدين وأن يضربوا بوجهها عرض الحائط وأن يعتقدوا في الرسول صلى الله عليه وسلم ما يحب له من كمال العصمة وارتفاع درجته عليه السلام إلى غاية ليس فوقها غاية ثم على ما ذكروه من تفسير قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية يقتضي أن يكون

للشيوع ماتسلط على وحي كل رسول رسول وكل نبي نبي زيادة على تسليطه على القرآن العزيز لقوله تعالى من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته فاقتضت الآية على تفسيرهم أن هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله وصفوته من خلقه ولا ريب في بطلان ذلك قلت رضي الله عن الشيخ ما أدق نظره مع كونه أميًّاً وقد قال ناصر الدين البيضاوي رحمه الله تعالى قيل تمنى قراء وأمنيته قراءة النبي وقد رد بأنه يخل بالوثوق ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنها أيضاً تحتمله وقد بسط الشيخ رضي الله عنه في جوابه وأيضاً فإن الضمير في ما تمنى يعود إلى ما قبله من الرسول العام والنبي ولا يمكن أن يلقي الشيطان في أمنيه كل منهما مسألة الغرانيق وقد علمت رحمك الله أن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها لا يقبل على أي وجه جاء وقد عد الأصليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الخبر الذي يجب أن يقطع بكذبه وأما قول ابن حجر رحمه الله تعالى والحديث حجة عند من يحتج بالمرسل وكذا عند من لم يحتج به لاعتضاده بوروده من ثلاث طرق صحاح فجوابه أن ذلك فيما يكفي فيه الظن من الأمور العلمية الراجعة للحرام والحلال وأما الأمور العلمية الاعتقادية فلا يفيد فيها خبر الواحد في ثبوتها فكيف في نفيها وهدمها فبان من هذا أن ما ذكره عياض غير مخالف للقواعد بل ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله ورضي عنه هو المخالف لها لأنه أراد أن يعمل الخبر الواحد في هدم العقائد وذلك مخالف للقواعد وكذا قوله في تفسير تمني بقراء وأمنيته بقراءته وأنه مروى عن ابن عباس وأن ذلك أحسن ما قيل وأجله وأعلاه وجوابه أن الرواية في ذلك عن ابن عباس ثبتت في نسخة علي ابن أبي طلحة عن عباس ورواها عن علي ابن أبي صالح كاتب عن معاوية بن صالح بن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقد علم ما للناس في أبي صالح كاتب الليث وأن المحققين على تضعيفه والله أعلم ثم قالت للشيخ رضي الله عنه ونفعنا به ما لصحيح عندكم في تفسير قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وما هو نور الآية الذي تشير إليه فقال رضي الله عنه نورها الذي تشير إليه أن الله تعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبيا من الأنبياء إلى أمة من الأمم إلا وذلك الرسول يتمنى الإيمان لأمته ويحبه لهم ورغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ومن جملتهم في ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال له ربه سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وقال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال تعالى أفأنت تكره الناس حتى يكونوا

مؤمنين إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا ثم الأمة تختلف كما قال تعالى ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فقد ألقى إليه الشيطان الوساويس القادحة في الرسالة الموجبة للكفر وكذا المؤمن أيضاً لا يخلو من وساوس لأنها لازمة للإيمان بالغيب في الغالب وإن كانت تختلف في الناس بالقلة والكثرة وبحسب التعلقات إذ تقرر هذا فمعنى تمنى أي تمنى الإيمان لأمته ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه أمنية كل رسول ونبي وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوى من الوساوس الموجبة لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقي ذلك عز وجل في قلوب الفريقين معاً غير أنها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين ومن جملة ما سأل تلميذه رضي الله عنه سأله عن الرؤيا التي عبرها أبو بكر بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم أصبت بعضا وأخطأت بعضا وقد خرج القصة البخاري في صحيحة حيث قال حدثنا يحيى إلى أن قال أن ابن عباس كان يحدث أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمقل وإذا بسبب من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل فقال أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت وأمي والله لتدعني فأعبرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعبر فقال أما الظلة فالإسلام وأما الذي ينطف العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل وأما السبب الواصل من الأرض إلى السماء فالحق لذا أنت عليه تأخذ به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به فأخبرنا يا رسول الله بأبي أنت أأصبت أم أخطأت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبت بعضا وأخطأت بعضا فقال والله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت قال لا تقسم وقد اختلف في الوجه الذي وقع لأبي بكر فيه الخطأ فقال المهلب ثم وصل له لأن في الحديث ثم وصل ولم يذكر له وكان يبغي لأبي بكر أن يقف حيث وقفت الرؤيا ولم يذكر الموصول له فإن المعنى أن عثمان قطع به الحبل ثم وصل لغيره أي وصلت الخلافة لغيره وقال عياض قيل خطاؤه مثل ما ذكر المهلب ورد هذا بأن لقطة له وأن سقطت من رواية الليث عند الأصيلي وكريمه وهي ثابتة في رواية ابن وهب وغيره عن يونس عند مسلم وغيره في رواية ابن حسين عند أحمد وفي رواية سليمان بن كثير عند الدرامي وزاد سليمان المذكور في روايته فوصل

له فاتصل فاللفظة حينئذ ثابتة في الحديث والمعنى حينئذ أن عثمان كاد أن ينقطع عن المحقاق بصاحبيه بسبب ما وقع له من تلك القضايا التي أنكروها عليه فعبر عنها بانقطاع الحبل ثم وقعت له الشهادة فوصل فاتصل بهم وذهب قتيبة وغيره إلى أن الخطأ في مبادرته رضي الله عنه في تعبير الرؤيا قبل أن يأمره عليه الصلاة والسلام بذلك أي أصبت في التعبير وأخطأت في المبادرة ورد هذا بأنه رضي الله عنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في التعبير فأذن له وحينئذ فلا مبادرة لأن التعبير إنما كان بعد الإذن وبأنه خلاف المتبادر من قوله أصبت بعضاً وأخطأت بعضا فإن المتبادر أنه أصاب بعضاً من التعبير وأخطأ بعضاً من التعبير وذهب الطحاوي والخطابي وابن العربي وغيرهم إلى أن الخطأ في تعبير السمن والعسل بالقرآن فعبرهما بشيء واحد وكان من حقه أن يعبرهما بشيئين كما وقع لعبد الله ابن عمرو بن العاص قال رأيت فيما يرى النائم كان في أحد أصبعي سمناً وفي الأخرى عسلا وأنا ألعقهما فلما أصبحت ذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال تقرأ الكتابين التوراة و الفرقان وكان يقرؤهما بعد ذلك ففسر الحديث السمن والعسل بشيئين فكذا في هذا الحديث ينبغي تفسيرهما بالكتاب والسنة وبالعلم أو بالحفظ والفهم أو بغير ذلك وقيل الخطأ في عدم تعبيره الظلة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الخطأ بمعنى الترك أي تركت بعضاً فلم تعبره حيث لم تعين الرجال الثلاثة الذين بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولذا لم يبر قسمه لأن إبرار القسم إنما بطلب إذا لم يترتب عليه مفسده ولا مشقة ظاهرة فإن كان ذلك فلا إبرار ولعل المفسدة في ذلك ما علمه من سبب انقطاع الحبل بعثمان المفضي ذلك إلى قتله واشتعال نار تلك الحروب والفت فكره ذلك خوف شيوعه بين الناس وأيضا لو أبر قسمه للزم تعيينهم ولو عينهم لكان نصاً على خلافتهم وقد سبقت مشيئة الله تعالى أن الخلافة تكون على هذا الوجه فترك تعينهم مخافة أن يقع في ذلك مفسدة قال ذلك جميعه محي الدين النووي وذهب طائفة إلى أن الإمساك عن الخوض في هذه المسألة أولى تعظيماً لجانب الصديق رضي الله عنه حتى قال أبو بكر ابن العربي سألت بعض الشيوخ العارفين بتعبير الرؤيا عن الوجه الذي أخطأ فيه أبو بكر فقال من الذي يعرفه ولئن كان تقدم أبي بكر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم للتعبير خطأ فالتقدم بين يدي أبي بكر لتعيين خطأه أعظم وأعظم فالذي يقتضيه الحزم والدين الكف عن ذلك أما الأمراء الثلاثة المذكورون في الرؤيا قال الشيخ رضي الله عنه اختلف الأولياء العارفون فيهم فذهبت طائفة من الأولياء ويقال لهم الطائفة الصديقين أتباع أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأشياخي من هذه الطائفة إلى أن المراد

بهم الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم والقطع بعثمان هو ما أنكر عليه والوصل له موته رضي الله عنه شهيدا وذهبت طائفة أخرى ويقال لهم الحسنيه أتباع الحسن ابن علي رضي الله عنهما إلى أن هؤلاء الأمراء الأشراف من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم من بيت النبوة والرسالة تجتمع الكلمة الإسلامية على اثنين منهم وتجتمع على الثالث ثم تفترق ثم تجتمع وهو المراد بالقطع والوصل وهو الحق لأن صاحب الرؤيا من الصحابة وهو عالم بأبي بكر وعمر وعثمان فلو كانوا مرادين في الرؤيا لعلمهم ولقال رأيت أبا بكر أخذ به وعلاه ثم رأيت عمر ثم رأيت عثمان فلما أضرب عن ذلك وقال رأيت رجلاً ورجلاً ورجلاً دل على أنه رأى رجالاً لا يعرفهم فليسوا هم الخلفاء الثلاثة فقلت للشيخ كيف خفي أمر التعبير على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو سيد العارفين بعد النبي صلى الله عليه وسلم وإمام الأولياء من الصحابة وغيرهم أجمعين وقد سمعناكم غير مرة تقولون ما في أمة النبي صلى الله عليه وسلم من لا يطيق أبا بكر في العرفان وليس في أوليائها و صلحائها من يعرف باطن النبي صلى الله عليه وسلم كمعرفة أبي بكر فهو سيد العارفين وإمام المحبين فقال رضي الله عنه أبو بكر يعلم في القبس وجرت المعتزلة على أصولها في تخييلها على العامة في إنكار أصول الشرع في الجن وأحاديثها والملائكة وكلامها وأن جبريل عليه السلام لو كلم النبي صلى الله عليه وسلم بصوت لسمعه الحاضرون وذهب صالح المعتزلة إلى أنها رؤيا بعين الراس وهو شذوذ وذهب بعضهم إلى أنها رؤية بعينين في القلب يبصر بهما وأذنين يسمع بهما وذهب أهل السنة إلى أنها اعتقادات و ادراكات كان يخلقها الله في قلب النائم كما يخلقها في عين اليقظة وقلبه وإذا خلقها جعلها علامة على أمور وأشياء يخلقها في ثاني حال وهذه الاعتقادات تارة يحضرها الملك عند خلقها فتكون الرؤيا مبشرة وتارة يحضرها شيطان فتكون محزنة وذهب بعضهم إلى أن المرائي لها ملك موكل بها يعرضها على النائم فيمثّل له صورا تارة تكون موافقة لما يقع في الوجود وتارة تكون أمثلة لمعان معقولة قال القرطبي وهو مردود لأنه يحتاج إلى دليل وذهب بعضهم إلى أن سبب المرائي عروج الروح إلى العرش فيرى النائم ما يقع له فإن لم يستيقظ حتى بلغت الروح العرش كانت الرؤيا صادقة وإن استيقظ قبل ذلك كانت كاذبة واستدل قائله بحديث قال عنه الذهبي منكر ولم يصححه المؤلف وذهب بعضهم إلى أن الرؤيا كلام يكلم الحق سبحانه عبده واستدل لذلك بحديث رواه وذهب آخرون إلى أن الله تعالى وكل بالرؤيا ملكاً على أحوال بني آدم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل واحد على قصته مثلا فإذا نام مثّل له تلك

الأشياء على طريق الحكمة ليكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة والشيطان قد يسلط على الإنسان لشدة العداوة فهو يكيده بكل وجه ويريد إفساد أموره بكل طريق فيتلف عليه رؤياه أما بتخليط فيها أو بغفلة عنها فقال رضي الله عنه الرؤيا على قسمين خواطر و ادراكات بمثابة حال اليقظة فإن الشخص في اليقظة له خواطر وهي ما يخطر على باله وله ادراكات وهو ما يدركه بعقله من المعلوم أو يشاهد بحواسه من المحسوسات فذلك النائم تارة تكون رؤياه في منامه بخواطر تخلق في قلبه وتارة تكون بإدراك شيء ورؤيته فانقسم أمر الرؤيا إلى ادراكات وخواطر قال وسألته عن حديث المطلب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نظرت في ذنوب أمتي فلم أرَ ذنباً أعظم من آية أوتيها رجل فنسيها وقلت له أن البخاري قال عنه معلول وهو منقطع فقال رضي الله عنه الحديث صحيح ونوره صلى الله عليه وسلم فيه ولكن ليس هو فيمن حفظ الآية ثم نسيها أي نسي لفظها وإن كان عاملاً بها وإنما هو في الذي بلغه القرآن فأعرض عنه ومنع ذاته من نوره واستبدله بضده من الظلام بأن أعرض عن الحق الذي هو نور وتبع الضلال الذي هو الظلام فإنه مبعد عن الله في الدنيا والآخرة فإنه حال المنافقين في زمانه صلى الله عليه وسلم فالحديث وارد فيهم وعليهم نازل وإليهم يشير لأنهم من أمة الإجابة التي هي في الأمة الخاصة فيما يظهر للناس وليس في ذنوب أمة الإجابة أعظم من نفاقه وكفرهم الباطني نسأل الله السلامة فقلت فما نور القرآن الذي تشيرون إليه فقال رضي الله عنه فيه ثلاثة أمور الأول نور الدلالة على الله تعالى الثاني نور امتثال الأوامر الثالث نور اجتناب النواهي فمن منع ذاته من دخول هذه الأمور الثلاثة فيها وهو يسمعها في القرآن فهو المراد بالحديث قال رضي الله عنه فالآية تصدق بآية اللفظ التي يتعلق بها الحفظ والتلاوة وتصدق بآية المعنى التي يتعلق بها العمل والامتثال وهذه الثانية هي ذات الأنوار الثلاثة وهي المرادة بالحديث المذكور قال رضي الله عنه فالآية عند المؤمن من الله بمنزلة الصك الذي فيه الحق فإن صاحب الحق لا يضيع حقه وإن ضيعه وفرط فيه ضاع حقه فكذلك الآية فيها حق للمؤمن فإن حفظ الآية وعمل بما فيها ثبت حقه عند الله تعالى واستوجب بها دخول الجنان وإن فرط فيها وأعرض عنها استهزاء واستخف فكان هو صاحب الذنب المشار إليه في الحديث والله تعالى أعلم قال وسألته رضي الله عنه عما في الحديث من أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لما تأخر عنه جبريل عليه السلام في ابتداء الوحي كان يصعد إلى شاهق جبل ويريد أن يرمي نفسه شوقاً إلى لقائه فيبدو له جبريل عليه السلام فيقول أنك رسول رب العلمين فيسكن عليه الصلاة والسلام فقلت إلقاء النفس من الشاهق

يوجب قتلها وهو كبيرة و إرادة فعل ذلك والعزم عليه معصية والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا سيما سيد الوجود صلى الله عليه وسلم معصومون من جميع المعاصي قبل البعثة وبعدها فقال رضي الله عنه أعرف رجلاً رمى بنفسه في بدايته من حلقة داره إلى أسفل تسعين مرة في يوم واحد ولم يضره ذلك شيئا كما لا يضره النوم على الفراش وذلك لأن الروح في البدايات لها الغفلة عن الذات ونسبة الأكوان إلى الروح على حد سواء فلا ألم بذلك الإلقاء لو وقع منه صلى الله عليه وسلم فضلاً عن القتل وحينئذ فالعزم عليه لا شيء فيه قلت ومن هذا ما يشاهد في أرباب الأحوال فترى الواحد منهم إذا أنزل به حال ضرب الحائط برأسه على ما فيه من الحجر ولا يقع في رأسه خدش فضلاً عن غيره فانظر هذه المعارف الصادرة من الشيخ رضي الله عنه قلت والرجل الذي رمى بنفسه تسعين مرة هو شيخنا رضي الله عنه بنفسه سمعت ذلك من حين أجابني عن هذا السؤال قال رضي الله عنه وهم يعرفون أن ذلك الإلقاء ونحوه لا يضرهم شيئا ولا يدفع عنهم شيئا مما نزل بهم إلا أنه طبع في الذات فتفعلها على مقتضى طبعها وعادتها قال كالذي بالمركز ويستعين بالصوت الذي يحكي بقولنا آه فهو يعلم أنه لا ينفعه ولكن يفعله طبعا والله أعلم وقال سألته رضي الله عنه عن معنى ما في الحديث من أن الله تعالى يأتي مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا عرفناه فيأتيهم ربهم في صورة يعرفونها فيخرون له سجدا أما المراد بالصورة الأولى والثانية فإن ابن العربي الحاتمي رحمه الله ذكر في رسالته لفخر الدين رحمه الله أنه هذا الأمر لا يعرفه إلا الأولياء فقال رضي الله عنه المراد بالصورة الحالة فهما حالتان للباري سبحانه ففي الحالة الأولى يجهله المؤمنون وفي الحالة الثانية يعرفه المؤمنون وذلك أن الحبيب إذا أراد أن يخاطب حبيبه خرج منه إلى الحبيب مع الكلام أنوار من الحنانة والشفقة والاتصالات التي بينهما وأما إذا خاطب الواحد عدوه فإنه لا يخرج مع خطابه شيء من ذلك الأنوار بل يخرج الكلام عارياً منقطعا عنها وهو أمر معلوم في العادة فإن الحبيب إذا خاطب حبيبه تراه يلين له الخطاب ويتعطف عليه وتكثر رأفته به وينبسط معه غاية الانبساط وإذا خاطب عدوه انقبض وانكمش وكلح وعبس وبسر وتولى إذا فهمت هذا فالحالة الأولى للحق سبحانه خاطب مجموع الأمة أحبابه المؤمنين وأعداؤه المنافقين فخرج الخطاب بغير الأنوار التي يعرفها المؤمنون من ربهم وإنما كانوا يعرفونها منه عز وجل لأنها في ذواتهم وأرواحهم وقد أمرهم بها في دار الدنيا فإذا سمعوا الخطاب على الهيئة الأولى استعاذوا بالله وقالوا ألست أنت ربنا بل ربنا بيننا وبينه علامة وهي الأنوار التي تكون مع خطابه فإذا قالوا ذلك قصد بخطابه عز وجل خصوص

المؤمنين وقصره عليهم فأطلق الأنوار مع الخطاب فإذا هبت عليهم أنوار الخطاب وأحسوا بها علموا أنه هو ربهم سبحانه فخروا له سجدا وهي الحالة الثانية التي يعرفونها وإنما يطلق تعالى الأنوار مع الخطاب الأول لأن الخطاب موجه إذ ذاك لخطاب المجموع الذي فيه الأعداء وخص بخطابه الأحباب فخرج مع الكلام الأنوار التي يشاهدونها في ذواتهم ويرون أسرارها في ظواهرهم وبواطنهم فقلت فالمؤمنون الذين جهلوه في الحالة الأولى فالمراد بهم هل جميعهم أو عامتهم فقال رضي الله عنه العامة فقط وأما الخاصة العارفون بربهم فلا يجهلونه في حالة من الأحوال فقلت وهل الخطاب الأول كان للجميع أو للعامة فقط فقال رضي الله عنه إنما كان للعامة فقط وفي القيمة تخرق العوائد فيكلم الرب سبحانه رجلاً واضعاً رأسه في حجر رجل فيسمعه الرجل الواضع رأسه في الحجر ولا يسمعه الآخر وبالجملة فلا يسمع الكلام إلا من أريد به وغيره يحجب عنه ولو كان في غاية القرب من سامعه وكذا قال ابن العربي في الرسالة المتقدمة أن العارفين بالله لا يجهلونه في الحالة الأولى وإنما يجهله المحجوبون وهذا الكلام في غاية الحسن ونهاية اللطافة جمع فيه الشيخ بين المعنى الشريف اللطيف الذي لا تنكره العقول وبين التنزيه للباري جل جلاله عن الصورة و الإتيان والمجيء فإنه على تفسيره رضي الله عنه لا إتيان ولا صورة تعالى ربنا عن المجيء والصورة قال وسألته رضي الله عنه عن حديث أن قلب العبد بين إصبعين من أصابع الرحمن فقال رضي الله عنه الأصبع معنوية وهي التصرف الذي يكون بها فالمراد بين تصرفين من تصرفات الرحمن فقلت وما المراد بالتصرفين فقال مقتضى الذات ومقتضى الروح فإن الذات مأخوذة من التراب فهي تميل إلى الشهوة والروح مخلوقة من النور فهي تميل إلى المعارف والحقايق فهما في تناقض وتصادم دائماً فقلت وما الغالب منهما فقال رضي الله عنه الروح هي المتصرفة في الحركات والذات هي المتصرفة بالأسرار فالروح غالبة من حيث الحركة والذات من حيث سرها الخبيث ولذا قال الشاكر من العباد فهما كشفى الرحا فالروح بمنزلة الشق الفوقاني لأنه هو المتحرك والذات بمنزلة الشق السفلاني لكي يعرض فيه غليان وحريق يؤثر فيها باطناً أعادنا الله من درك الشقاء وسوء القضاء فقلت فإن العلماء رضي الله عنهم فسروا التصريفين بلحة الملك ولمة الشيطان فقال رضي الله عنه الملك والشيطان عارضان والذي فسرناه به هو الأصل لأن كل ذات طاهرة أو غير طاهرة لها خواطر وتلك الخواطر الموجبة لفلاحها أو لهلاكها والملك و الشيطان تابعان للخواطر فإن كانت مرضية تبعها الملك وأتى بما يرضي وإن كانت غير مرضية تبعها الشيطان وأتى بما تقتضيه وذلك أن كل

خاطر لذات فهو سرها فإن كان طاهر أفهي طاهرة وإلا فلا مثاله في المحسوسات إذا أخذت مداً من قمح ومداً من شعير ومداً من حمص ومداً من فوق ثم طحنت كل واحد على حدته وجعلته طعاماً ثم بخرته بالكسكاس فإذا أخذت تتأمل في بخار كل طعام وجدته مباينا للآخر ووجدته يصير إلى حقيقة صاحبه فكذلك الخواطر منزلتها من الذات تلك الأبخرة من الأطعمة فشأن الخواطر عظيم وخطبها جسيم والمدار كله عليها والملك والشيطان تابعان لها فكم خاطر يجعل صاحبه في عليين وكم خاطر يجعل صاحبه في أسفل السافلين والخواطر المرضية هي مقتضى الروح وظهرت في الذات لطهارتها والخواطر الخبيثة هي مقتضى طبع الذات وشهواتها والله تعالى أعلم قال وسألته رضي الله عنه عن حديث الحجر الأسود يمين الله في أرضه فقال رضي الله عنه هو على التشبيه فإن من أراد أن يدخل في حرمة ملك وجنابه وحماه بادر فقبل يمينه وكذا من أراد أن يدخل في رحمة الله وكنفه فليقبل الحجر الأسود فهو من الله تعالى بمنزلة اليمين من الملوك وذكره الغزالي حرفاً بحرف أيضاً وقال وسألته رضي الله عنه يؤتى بالموت في صورة كبش ثم يذبح فقال رضي الله عنه هو حديث صحيح خرج من شفتي النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به ملك في صورة كبش ويذبح زيادة في نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار وهذا من أعز ما يطلبه الملائكة فإنهم يقولون في سجودهم اللهم اجعلنا نعمة لعبادك المؤمنين وسبباً في رحمتهم ولا يعرف حق المؤمن إلا الملك وإنما أولنا الحديث لأن الموت عبارة عن تفرق الأحباب فالذات ترجع إلى التراب والروح لعالمها فهي عدم الاتصال والاجتماع الذي بينهما قال رضي الله عنه أما ذبح الملك في صورة كبش فمشاهد بالبصيرة وعليه والله أعلم يحمل الحديث وقال إلى أن الناس إذا دخلوا الجنة تحدثوا ولا سيما في اليوم الأول بما كان في دار الدنيا ولا سيما ألم الموت فلذا ينعمهم تبارك تعالى ويفرحهم بذبحه في صورة كبش والمذبوح ملك وسمعته يقول في أحاديث تسبيح الحصا وحنين الجذع وتسليم الحجر وسجود الشجر ونحوها من معجزاته صلى الله عليه وسلم أن ذلك هو كلامها وتسبيحها دائماً وإنما سئل النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يزيل الحجاب عن الحاضرين ليسمعوا ذلك منها فقلت وهل فيها حياة وروح فقال لا ولكن المخلوقات كلها ناطقها وصامتها إذا سئلت عن خالقها قالت بلسان فصيح الله هو الذي خلقني فافتراق المخلوقات إلى ناطق وإلى صامت وحيوان وجماد بالنسبة إلى المخلوقات فيما يعرف بعضهم من بعض وأما بالنسبة إلى الخالق سبحانه فالكل به عارف وله عابد وخاشع وخاضع فإن الجمادات لها وجهتان وجهة لخالقها وهي به علمة به عابدة له قانتة و وجهة إلينا

وهي فيها لا تعلم ولا تسمع ولا تنطق وهذه هي التي سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يرفعها على الحاضرين حتى تظهر لهم الوجهة الأخرى التي إلى الخالق سبحانه وباعتبار وجهة الخالق قال تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ومن هذا المعنى أجابني عن حكاية سيدنا داوود تسبيحه لربه عز وجل فشاهد الضفدع يسبح طول عمره لا يفتر طرفه عين فقال لي رضي الله عنه في الجواب أن سيدنا داوود عليه السلام شاهد من الضفدع حالته في الوجهة إلى الحق سبحانه وهي حالة الباطن فإن التسبيح فيها دائم لا فتور فيه وقال رضي الله عنه أن للأرض علماً هي حاملته وعارفة به كما يحمل أحدنا كتاب الله عز وجل ويعرفه وكذا الكل مخلوق من الجمادات علم هو حامل له فقلت فتكون عاقلة عالمة كيف وهي جماد فقال رضي الله عنه إنما كانت جماداً في أعيننا وأما بالنسبة إلى خالقها سبحانه فهي عارفة قال وما خلا مخلوق أي مخلوق كان عن الخضوع لخالقه سبحانه والخوف منه والخشية له و الوجل من سطوته والناس يظنون حيث وجدوا أنفسهم جاهلين بما عليه الأرض وغيرها من الجمادات أنهم يمشون على جماد ويجيئون ويذهبون على موات وذلك هو الذي أخلاهم وأهلكهم قال رضي الله عنه ولو علم الناس ما عليه الأرض ما أمكن أحد أن يعصي الله عليها أبداً قال رضي الله عنه وقد كنت قبل أن يفتح علي مع سيدي محمد اللهوج وكان مفتوحاً عليه فخرج معي إلى العين السخونة بناحية خولان نقطع البلح الذي في النخل الكائنة هناك المحبسة على ضريح سيدي ابن حرزهم قال فمردنا على دار عمر المعروفة خارجة باب الفتوح أحد أبواب فاس حرسها الله وهناك عين تجري فأخذت السنادة وجعلت فيها خبزاً وأردت اصطياد الحوت لكثرته بتلك العين فأبى علي سيدي محمد فحلفت لاصطاده فذهب معي إلى العين فرميت السنارة فيها وبقرب عنصر الماء حجرة كبيرة فسمعتها تقول بالصياح الله الله فما فرغت حتى صاحت كل حجر هناك ثم صاح كل حوت أكل الطعام الذي في السنارة ومعنى ذلك الصياح الله الله أما تتقي الله يا من اشتغل بالاصطياد قال رضي الله عنه فدخلني الخوف والرعب في تلك الساعة ما يختار عليه أن لو ربط حبل ثم رفع إلى أعلا مكان وجعل خازوق على كلب حتى يخرج منه فقلت ومم حصل لكم هذا الأمر الشديد فقال إذا كان شخص لم يرى نوراً قط ولا سمع به ثم سبحى له على عينيه فوجد نفسه بين يدي ما لا يحصى من النيران فقلت فكأنكم تقولون أن الذي حصل لكم من الخوف إنما حصل من خرق العادة فقال نعم إنما حصل لنا ذلك من مشاهدة ذلك الخارق للعادة فقلت وهل سمعتم قولها السابق الخارق للعادة بلغة العرب أم بلغة الجمادات فقال رضي الله عنه بلغة

الجمادات ولها لغات وألسن تليق بذواتها وجماديتها وسماعنا لها يكون بالذات كلها لا بالأذن التي بالرأس فقط ثم قال رضي الله عنه وهذا المشهد إنما يكون للولي في حال بدايته وأما بعد ذلك فإنما يشاهد الفعل من الخالق سبحانه يخلق فيها كلاماً وتسبيحا وغير ذلك مما يكون ويشاهدها ظروفاً خاوية وصوراً فارغة فقلت وهذا لا يختص بها بل يكون له هذا الشهود حتى بني آدم وغيرهم من العقلاء فقال رضي الله عنه وما ذكرناه من حال الجمادات في معرفتها بخالقها سبحانه إنما يعرفه رجل خرج عن عالم السماوات والأرض وتباعد عنها حتى صار بنظره كالكرة بين يديه ثم ينظر إليه بالنظر القوي الخارق الذي ما أعرف اليوم من ينظر به إلا أن يكون ثلاثة من الناس فإذا نظر بذلك النظر القوي رأى ما قلناه عيانا ورأى كل شيء مخلوق لله تعالى من هذه الجمادات إما ساجداً له عز وجل وإما قائماً منكس الرأس من خشيته على هيئة الراكع وأول ما يرى على هيئة الراكع الأرض نفسها والله أعلم قال وسألته رضي الله عنه عن حديث البزار عن أنس مرفوعا قالت بنو إسرائيل لموسى صف لنا كلام رب العزة وكيف سمعته قال أرأيتم صوت الرعود والصواعق القائلة لحينها في أحلا حلاوة سمعت فذلك هو كلامه وقال موسى يا رب كلمتني بجميع كلامك فقال يا موسى إني كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولو كلمتك بجميع كلامي لذبت من حينك فقال رضي الله عنه ونفعنا به المراد بصوت الرعود والصواعق القاتلة لحينها لازمة من الخوف الذي يحصل للشخص عند سماع ذلك الصوت فإنه خوف لا يكيف ولا يطاق وكذلك الذي يسمع كلام الحق سبحانه يحصل له من الخوف والهيبة ما يعم سائر أجزاء ذاته حتى ترى كل جوهر من جواهر ذاته يخاف وحده خوفاً تاماً مثلما يخاف الشخص بكماله وترى كل عرق من عروقه وكل جزء من أجزائه يرتعد ويكاد يذوب لولا لطف الله تبارك وتعالى والمراد بقوله في أحلا حلاوة سمعت إلا لطافات والرحمات والأنعامات الحاصلة لموسى في ذلك وما يلتذ به كل عرق من عروق من يسمع ذلك الكلام الأزلي وليس المراد بالصوت الصوت على حقيقته بل هذا يستحيل في حق الله تعالى وأما قوله أني كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان فمعناه أن الله تعالى أزال الحجاب عن موسى حتى يسمع من مدلولات كلام ما لو عبر عنه بعشرة آلاف لسان في لحظة واحدة لكان ذلك مقدار ما يسمع من مدلولات كلامه تعالى نظير ما سيأتي في المفتوح عليه أنه لا تختلف عليه الأصوات ولا يشغله سمع عن سمع فلو فرضت عشرة آلاف لسان توجهت لموسى فألقى إليها سمعه وفهمها في لحظة من غير ترتيب ولا سبقية لكان هذا ما أشار إليه في الحديث وهذا سماع الروح لا سماع الذات وذلك أن علم الروح لا ترتيب فيه فإذا

توجهت مثلاً إلى علم من العلوم مثل النحو أو الفقه فإن جميع مسائله تحضر عندها في لحظة وكذا قراءها فإذا أردت أن تقرأ القرآن العزيز فإنما تقرأه بجميع حروفه مع إتقان مخارجها وصفاتها في لحظة واحدة انتهى ملخصاً قال وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله صلى الله عليه وسلم ما خفي عليَّ جبريل إلا في هذه المرة كما عند مسلم حيث أخرج حديث جبريل في السؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان وقال ردوا السائل فطلبوه فقال ذلك جبريل وإنما خفي علي هذه المرة فقال رضي الله عنه في هذا الخفا من التبجيل لنبينا صلى الله عليه وسلم والتعظيم لقدره الرفيع شيء لا يطاق ولا يعرفه إلا من رحمه الله تعالى وذلك أن ذاته صلى الله عليه وسلم قد يحصل لها في بعض الأحيان استغراق في مشاهدة الحق سبحانه فتنقطع الذات بجميع عقلها وتولهها وجميع عروقها وأجزائها وعمود نورها نور الحق سبحانه فتبقى منقطعة عن غيره لكنها محفوظة فلا تفعل إلا الحق ولا تنطق إلا به فإذا رأى الملائكة هذه الحالة حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه لا يطيقها غيره من مخلوقات الله عز وجل وأخذوه عنه وشيخوه فيه فيقول له الملك وقد جاء في صورة أعرابي جئت يا رسول الله لأؤمن بك ولأصدقك فعلمني كيف أؤمن بالله ورسوله فيعلمه فقلت ولم يتعلمون الإيمان منه ويأخذونه عنه وهم عباد الله المكرمون وملائكته المقربون فقال رضي الله عنه جاه نبينا صلى الله عليه وسلم عظيم وكل من أخذ الإيمان عنه ولم يبدل فإنه لا يرى سوءا قال وقد سمعته يقول أن الولي الكامل يتلون على قلوب القاصدين ونباتهم فمن صفت نيته رآه في عين الكمال وظهر له من الخوارق وما يسره ومن خبثت نيته كان على الضد من ذلك وفي الحقيقة ما ظهر لكل أحد إلا ما في باطنه من حسن وقبيح والوليُّ بمنزلة المرآة التي تنجلي فيها الصور الحسنة والصور القبيحة فمن ظهر له من وليّ كمال ودلالة على الله فليحمد الله ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه قال رضي الله عنه وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي سخره الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون أنه على شاكلتهم وليس كذلك حتى أنه يتطور في طور الولاية أن يقعد الولي قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنون أنه شارب خمر وإنما تطورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت وفي الحقيقة لا شيء وإنما هو ظل ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة فإذا أخذت في الكلام أخذت وتكلمت وإذا أخذت في الأكل أكلت وإذا أخذت في الشرب شربت وإذا أخذت في الضحك ضحكت وإذا أخذت في الحركة تحركت وتحاكيك في كل ما يصدر منك وفي الحقيقة لم يصدر منها الأكل ولا غيره لأنه ظل ذاتك

وليست بذلك الحقيقة فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الولي معهم بظل ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون والله الموفق قال وسألته يوماً فقلت هذه العلوم التي تبرز منكم وتتكلمون بها هل تحتاجون فيها إلى قصد واستعمال أو لا فقال رضي الله عنه أن الولي الكامل غائب في مشاهدة الحق سبحانه لا يحجب عنه طرفة عين وظاهره مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم في القسمة فمن قسم له من رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر وأنطقه بالعلوم وأظهر له ما لا كيف من الخبرات ومن أراد به سواء ولم يقسم له على يده شيء أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف وقال رضي الله عنه وما مثل الولي مع القاصدين إلا كحجر بني إسرائيل فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا وإذا كان بين يدي أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة وقد شاهدنا هذا المعنى في الشيخ رضي الله عنه مرارا فإذا حضر بين يديه بعض من لا يعتقده لا تخرج عنه ولا فائدة واحدة ولا يقدر على التكلم بشيء من العلوم اللدنية والمعارف الربانية حتى يقوم ذلك الشخص ويوصينا ويقول إذا حضر مثل هذا الرجل فلا تسألوني عن شيء حتى يقوم قال وسمعته يقول أن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص وإنما روحه حجب ذاته فظهرت صور بها فإذا أخذت المعصية فليست بمعصيته لأنها إذا أكلت حراماً مثلاً فإنها بمجرد جعله ني فيها ترميه إلى حيث شاءت وسبب هذه المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين والعياذ بالله تعالى فإذا رأيت الولي الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد على الحاضرين أن الله أراد بهم الخير أو معصية فاشهد بشقاوتهم وكما أن أرواحهم هي التي تتولى كراماتهم كذلك هي التي تتولى معاميهم الظاهرة والله تعالى أعلم قال وسمعته يقول أن الولي قد يغلب عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية من التلاشي فيستعمل أمورا ترده إلى حسه وإن كان فيها ما يعاب عليه من باب إذا التقى ضرران أرتكب أخفهما فإذا رآه شخص ارتكب ذلك الأمر ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لأجله ربما بادر إلى الإنكار عليه فيحرم بركته وقد تقرر في الشريعة المطهرة أن العضو إذا أصابته آكلة وخيف على الذات منها فإنه يباح قطعه لتسلم الذات مع أن العضو معصوم ولكنه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما وكذلك الشخص إذا خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع فإنه يباح له أن يأكل الميتة حتى يشبع ويتزود منها وغير ذلك من الفروع الداخلة تحت هذه القاعدة وهذه الأمور التي ترد ذات الولى إلى حسه هي المعتادة لها قبل الفتح وكل ذات وما اعتادت فافهم الإشارة قال وسمعته يقول أن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة الكرام لأن الحياء يغلب عليهم والمراد بالعورة

العورة الحسية وهي ظاهرة والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه وأما الولي فلا تنفر منه إذا وقع له ذلك لأنه إنما يفعله لغرض صحيح فيترك ستر عورته لما هو أولى منه لأن أقوى المصلحتين يجب ارتكابه ويؤجر على ستر عورته وإن لم يفعله لأنه ما منعه من فعله إلا ما هو أقوى منه ولولا ذلك الأقوى لفعله فكأنه فعلها جميعا فيؤجر عليهما فقلت هو هذا الأقوى الذي بترك لأجله ستر العورة أو تكلم لأجله بشيء من ألفاظ المجون فقال رضي الله عنه كلما يرد الذات إلى عالمها الحسي ويرد إليها عقلها فإذا كان كشف العورة يوجب ذلك لشخص ارتكبه وإذا كان المتكلم بالمجون و ألفاظ السفه يوجب ذلك لشخص آخر ارتكبه وإذا كان غيره من الأمور الفانية يوجبه لشخص ثالث ارتكبه وهلم جرا وتحتاج لذلك لغيبة حسها وهذا ما تيسر تحريره من الإبريز من المسائل التي سئل عنها الشيخ عبد العزيز ولما أن مالت النفس المرقاد ودخل وقت النوم المعتاد نمنا إلى أن أشرق صبح يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الذي ولد فيه سيد الكونين حضر ذلك اليوم لزيارتنا عمدة العلماء ونخبة الفضلاء والأتقياء السيد الشيخ سعيد أفندي الحلبي لا زال في حفظ الله والنبي وحضر معه عمادي زاده فحصل بالمذاكرة معه جزيل الإفادة ثم فارقنا نور شمسه وانقطع عنا روح حسه واستقمنا ذلك اليوم والليلة في وجل عظيم من حيث الوطن بسبب ذلك الحادث الجسيم لا سيما بانقطاع الأخبار الموجبة لشغل الباب وشتات الأفكار إلى أن أصبح صباح يوم الثلاثاء المبارك الرابع والعشرين من ربيع الأول الذي من الله فيه بأخبار الوطن السادة ودارك فإنه في ذلك اليوم وردت كتب جمة مفصحة بزوال الملم وكشف الغمة فحصل لنا السرور التام وحمدنا الله تعالى على ما أولى من الفضل والإنعام من جملتها كتاب شمس الكمال وزينة الأيام والليالي الفاضل النبيه السيد الشيخ محمد أفندي الغزالي فأجلت الناظر في حسن سبكه وترصيعه وأفرغت السمع لترتيب معانيه وبلاغت توقيعه وهذه صورته المرقومة وعقد لآلية المنظوم استفتح الترقيم ببسم الله الرحمن الرحيم حمداً لمن اخترع الأشياء على غير مثال سبق وأبرز بقدرته على وفق إرادته تخصيص الزمان والمكان وغيره كما جاء به المجز وصدق وأظهر لأرباب الأبصار أنواع الاعتبار فعرفوا سر الهجرة عرفاناً محقق وصلاة وسلاماً على مادة الأصل الذي جمع الله به شمل الإسلام وشمل المعاندين فرق وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم في محبته كما في الأثر وبه القرآن العظيم نطق صلاة وسلاما دائمين متلازمين عدد أنات المحبين طول ليلهم إلى أن طلع الفجر واتسق ما انهمل غيث الحب في قلوب المحبين ودق وسلم تسليما أما بعد فأهدي سلاماً يحمله ريح القبول إلى

سماء مكانه الوصول ويتقشع له غيم البعد عن غيث القرب والوفد أخص به درة عقد العلماء العاملين مربى التلامذة والمريدين فخرا قرآنه ونادرة وقته وأوانه الوالد الأكمل والجهبذ الأمثل محمد الذات والصفات والأفعال كيالي النسبة في السير والاتصال حفظ الله بديع ذاته وأودعه الكمال في صفاته ونفعه ونفع به وأدخله في سلك أهل قربه أمين وأن وجهتهم وجهة الخاطر الشريف عن حال هذا الضعيف فإنه بحمده تعالى في صحة وعافية ونعم من الله وافية غير أنه بسبب فقد الخلان قلق حائر ولهان فمثاله كجسم نادت عنه روحه وكشخص فارقته صبوحه حليف الوجد والأحزان كثير الأرق والأشجان قد كجل السهاد جفونه وفارق الرقاد عيونه يتمنى طيب المنام رجاء أن يرى ولو أضغاث أحلام حتى يسكن ما به من ألم البعد وما تجرعه من غصص الصد يستنشق الريح من جهة ديار الأحباب ويلتذ بمسامرة من كان مثله مصاب وقد نظر لحاله وقد اضمحل وهو بطيب نفسه بليت ولعل وراء معسكر البعد قد استطال وعلى ركب القرب قد سطا وطال أخذ يتكلم في الترجي لنفسه ويدبر أمراً قبل حلول رمسه فلم ير الإرسال الرقاع لتنوب في الجملة عن الاجتماع ويرجو من المولى القدير أن يقرأ فلما أن جاء البشير وعليكم السلام في البداء و الختام وكذا كتاب من نور روض المحامد ودر عقد اللآلئ ابن العم الأمجد السيد محمد أبو النور الكيالي فسرحت الناظر في بديع تلك المباني واقتطفت من ثمرات ما تضمنه من المعاني وكلما أمعنت فيه النظر ألفيته بنثر من مكنونه الدرر لا سيما ما حواه من قصيدة صاغها صوغ التبر الأحمر ونظمها نظم الدر والجوهر فلحسن ذلك السبك وجميل ذلك النسج والحبك علقتهما في جيد هذه الرحلة لا بين ذكائه ونبله وهذه صورة ما جادت به الفريحة والفهم من بديع النثر والنظم أقبل اليد الندية وأشكر الأيادي العلية وأقف موقف الخدم مبتهلاً لبارئ النسم مترجما بدعوات مرفوعة على كف الإجابة والقبول لدى خير مأمول وأكرم مسؤول مقدما بين يدي ذلك أشرف تحيات عطرية النسمات وتسليمات

فاخرة وأثنية عطرة وعجيب وجد وهيام وغريب شوق وغرام إلى تلك الحضرة التي شيد على العز بنيان مجدها وأشرق في أوج الجلالة طالع سعدها لا زالت شمس سعدها مشرقة وروضة فضلها مونقة هذا وفي أشرف طالع تشرفت بالمرسوم الكريم وحصل لي برؤياه السرور العظيم حيث أنبأني عن إشراق كوكب أنواركم وإيناع حدايق نواركم وبحسب ما أجد من الشوق إلى لثم أيديكم والوقوف بناديكم تجاسرت بتحرير عرض الدعاء ورقيم المدح والثناء لينوب عني بتقبيل راحاتكم

ويحظى بطلعة شمس كمالاتكم وأسأله تعالى أن يمن علينا بتشريفكم عن قريب بحرمة السيد الحبيب صلى الله عليه وسلم وألثم مواطن أقدام ملجأ الخاص والعام القطب الكبير والغوث الشهير سلطان العارفين وبرهان الواصلين سيدي وسؤددي ومنهلي وموردي حضرة الأستاذ الأفخم والملاذ الأكرم أمدنا الله بإمداده وأرشدنا بإرشاده ونفعنا ببركاته وأعاد علينا من صالح توجهاته وأهدي شرائف التحيات ولطائف التسليمات من أوحد المعالي وبدر فلك السؤدد المتلألئ محمود الصفات والشمائل حميد الشيم والخصائل الجناب الأكرم والحبيب الأفخم ابن العم المحتشم ومن قرة العين شبله المحترم أدام الله لديه أكمل النعم وأعاذكم جميعاً من النقم مع سؤال الخاطر الشريف لا زلتم مصانين عن التحريف

أني وعالم ما في السرور والعلن ** أمسي وأصبح بالأشواق والشجن

والبعد أوهن جسمي فارفقوا كرما ** بحالتي إن حر الشوق أحرقني

أبيتُ والوجد مستولٍ عليَّ ولم ** أجد مع الوجد ليلاً لذة الوسن

وسائل قال هل تهوى فقلت له ** نعم سرى طيف من أهوى فارقني

فلم أزل ساهراً أدعي النجوم وقد ** أمسيت والشوق يطويني وينشرني

مستوحش القلب باكي العين ذا وله ** لنور طلعة بدر كان يونسني

شهم همام إمام زاهد ودع ** إلى سلوك طريق الحق يرشدني

نشأت في حجر فضل من مكارمه ** ولم يزل بسنا الأمناح يسعفني

أفدي محاسن ذات منه قد شرفت ** بالنفس والمال والأولاد والسكن

أقول والقلب مشتاق لبهجته ** ومهجتي تلفت والبعد أوحشني

يا جهبذا الفضل ويا ذا المكرمات ويا ** فرد المزايا وحيد الدهر والزمن

أقر باري الورى عيني بنظرتكم ** بطيب وقت حميد بالسرور هني

كذاك شبل أخيكم ذو الكمال ومن ** شوقي إليه نما والصبر عنه فني

ذو العزم والحزم والصدر السليم ومن ** إذا امتدحت مزاياه فلم أمن

دمتم وألطاف رب العرش تشملكم ** فإن ألطافه من أعظم المنن

ولا برحتم مدى الأيام في مدد ** يقيكم من صروف الدهر والمحسن

وفرح الله لي قلباً برؤيتكم ** وعودكم برغيد العيش للوطن

ثم إنا عرضنا ذلك الكتب على حضرة الأستاذ الكامل فتصفحها بذلك النظر الشريف الشامل فسُرَّ بذلك وابتهج ولوح بحصول الفرج وبتنا تلك الليلة في مسرة ونشاط وصفاء خاطر وانبساط إلى أن انكشف الظلام وهب الناس من المنام وأذن مؤذن الفجر بالترجيع وذلك في يوم الأربعاء الخامس والعشرون من شهر ربيع حضر عندنا رفيع القدر و الشأن شيخنا السيد الشيخ عبد الرحمن فتسلينا بحضوره وتملينا بمشاهدة نوره فجلس عندنا نحو ساعة ثم حرك للمسير شراعه فاشتغلنا إلى المغرب بمطالعة الإبريز ثم ذهبنا لدى حضرة الأستاذ العزيز وقد كنا فرغنا من مطالعة شرح ورد السحر في تلك العشية فأمرنا بمطالعة كتاب شرح المعية في بيان معرفة الطريقة النقشبندية تأليف حضرة ذي الفيوضات القدسية العارف الكبير الشيخ عبد الغني الشهير فشرعنا في مطالعتها واقتبسنا من أشعتها وجنينا من ثمار فوائدها وحلت علينا بركات خيرها وعوائدها ثم عدنا لمحلنا الأنيس وبتنا إلى أن أشرق صبح يوم الخميس وهو السادس والعشرون من ربيع الأول الشريف حضر عندنا الحاج مصطفى أغا ذو القدر المنيف واستدعى تشريف الأستاذ نهار الجمعة لمكانه ليحصل له جبر الخاطر والشرف على أقرانه فتوجهنا في معيته لدى الأستاذ المحترم وعرضنا عليه ذلك فتفضل بذلك وأنعم ثم خرجنا إلى المحل فشرف لدينا العطار الأجل ودعانا تلك الليلة الجليلة إلى مكانه لأجل حضور التهليلة فلما مضى ذلك اليوم ودخل وقت العشاء الشريف توجهنا إلى ذلك المكان اللطيف وجدنا القناديل والشموع موقدة فانشرحت بذلك الصدور والأفئدة لا سيما بحضور الذكر وسماع الأناشيد غب الفراغ من التوليد ولما تم الذكر الأنور مدت مائدة الخشافات والحلوى فأكلنا ما قدره الله ويسر وعدنا لمكاننا بالصحة والعافية وبتنا في نعمة الله وافية إلى أن طلع يوم الجمعة وأشرق بدره وذلك اليوم السابع والعشرون من ربيع الأول العالي قدره نزلنا قرب الظهر لصلاة الجمعة في الجامع الأموي وبعد أداء الفريضة زرنا المرقد النبوي فقرأنا لحضرته الشريفة الفاتحة وشممنا عطوراتها الفايحة ثم تشرفنا بثلم راحات

سيدي الأستاذ الولي واستدعينا تشريفه إلى بيت الحاج مصطفى أغا درويش علي فذهبنا في صحبته إلى بيت المومى إليه فأحضر في الحال المنشدين إلى بين يديه فحصل الانشراح وزالت الهموم والأتراح وبتنا تلك الليلة عنده في مغاني وإنشاد فكانت ليلة من ليالي الأعياد إلى أن طلع صبح يوم السبت المنير الثامن والعشرون من شهر المولد الشهير صلينا الفريضة بعد الاستيقاظ من المنام ثم أفطرنا وعدنا مع حضرة الأستاذ إلى شريف المقام ثم حضر عندنا من بكل كمال حري السيد محمد جلبي ابن الحاج منصور المعري فدعانا صحبة الأستاذ لمكانه راغباً في جبر الخاطر بين أهله وجيرانه فذهبنا لذلك المكان المأنوس ودخلنا لقاعة بهية سرت بها النفوس وحضر ذو المحاسن والمفاخر من السادات و الفضلاء الأكابر من جملتهم المعشوق اللبي والحب القلبي السيد الشيخ سعيد الحلبي وكذا نخبة المدرسين والأشراف السادة السيد أحمد أفندي عمادي زاده فحصل في ذلك اليوم غاية السرور والهنا بسماع الإنشاد والغنا ثم قبيل العصر مدت مائدة الطعام الزاكي المضموم إليها أنواع من شهي الفواكي فأكلنا من ذلك الطعام ثم شرعنا في قراءة مولده عليه الصلاة والسلام وكان القاري له هذا العبد الحقير بالتماس السيد الشيخ سعيد ذي الوجه المنير فقرأنا على جري العادة الحلبية ثم خرجنا لمحلنا بحصول الأمنية وبتنا تلك الليلة في حظ وافر ونشاط وصفاء خاطر إلى أن استيقظ الناس وأغنى نور الصبح عن النبراس وكان ذلك اليوم يوم الأحد التاسع والعشرين تمام ربيع الأول كما دل عليه رؤية هلال ربيع الثاني ليلة الثلاثين وعليه المعول فاستقمنا من ذلك اليوم إلى يوم الجمعة الخامس من ربيع الثاني على ما سلف من العيش الماضي مع ما ورد من التهاني بقدوم ابن حضرة الأستاذ إلى حماه وعزمه على المجيء إلى الشام والدخول لحماه فعند قرب صلاة الجمعة نزلنا للأموي وجدنا المصلين فيه مجمعة فاستمعنا الخطبة التي هي عبرة لأولى الألباب لا سيما بإفصاحها بفضل عمر ابن الخطاب ثم أدينا الصلاة وحصلنا إن شاء الله على كمال الصلاة وزرنا حضرة الحصور سيدنا يحيى الذي برؤية مقامه تنتعش القلوب وتحيى ثم خرجنا من ذلك الجامع الأوحد فإذا بابن الأستاذ السيد الشيخ محمد أفندي قد وفد فتملينا بمطالعة محياه وحصل كمال السرور لنا برؤياه فذهبنا به عقب المغرب لزيارة والده فحباه بإقباله وعوائده فجلس بين يديه ساعة زمانية إلى أن فرغنا من قراءة الحصة من مفتاح المعين المبني على شروط الطريقة وآدابها وذكر مشايخها وطلابها وبيان آداب المريد بطريق العد والتحديد ثم انصرفنا صحبة ابن الأستاذ لمكاننا وأنهينا المسامرة مع إخواننا وبتنا تلك الليلة بأعظم حبور والحمل صفاء وسرور إلى أن أصبح صباح

يوم السبت السادس من شهر ربيع الثاني ورد جماعة للسلام على ابن الأستاذ من قاص وداني واستقمنا معه على ذلك الحال أربعة أيام سوية ..))

عودتهم إلى التكية النابلسية:

وفي يوم الثلاثاء التاسع يوم من ربيع الثاني قصد الأستاذ الطلوع على الصالحية فذهبنا في معية سعادته العلية إلى أن دخلنا تكية السادة النابلسية فتلقانا بنوا العارف النابلسي بالتأهيل والترحيب وأدخلونا إلى ذلك القصر العجيب وأحضروا لنا المنشدين وغدوا من جانب الأستاذ مجبورين فاستقمنا عندهم أربعة أيام وثلاث ليال مع أخوان الصفا في إنشاد وأذكار وطيب مقال وفي كل يوم في الأوقات الخمس نتشرف بزيارة العارف النابلسي ذي الكمال والأنس وفي صباح يوم السبت الثالث عشر ربيع الثاني صلينا الفريضة في جامع ابن العربي ونزلنا لضريحه من غير تواني فقرأنا سورة ياسين وتبارك ودعونا الله تعالى وتبارك ثم عدنا لمحلنا ودخلنا لذلك المقام السني وتشرفنا بزيارة الولي العارف عبد الغني فقرأنا له سورة ياسين مستمدين من عظيم سره المبين ثم ركبنا ونزلنا صحبة الأستاذ الأكرم إلى الشام ولم نزل في صحبته حتى أدخلنا لبهي المقام ثم عدنا لمكاننا بعد الجلوس عنده حصة زمانية واستقمنا نحن وولده ذو الطلعة البهية ولم نخرج اليوم والليلة إلى أن طلع فجر يوم الأحد الرابع عشر ربيع الثاني ونحن على أحسن حالة جميلة انتقل فيه إلى رحمة الله الرحيم الرجل المجذوب الشيخ ابراهيم وهو الذي تعرض له وإلى الشام سليمان باشا المرحوم فحصل له العطب بسببه على ما هو عند أهل الشام معلوم فذهبنا لحضور جنازته ذلك الآن فوجدنا الجم الغفير من الرجال والنساء والولدان وقد هيئوا له قبراً في الباب الصغير ذا المقبرة المشهورة فلخوف الازدحام والثقلة ذهبنا لهناك ننتظر حضوره فما مضى مقدار نصف ساعة زمانية إلا والخبر استفاض بتوجه نعشه إلى الصالحية فكأنه لعدم تقرير المدفن له هناك صرفته القدرة إلى سفح قاسيون ليدفن في تلك التربة التي عرفها ذاك ولعدم اللحوق بجنازته وقلة الاستعداد لزيارته زرنا الشيخ البهلول وحضرة بلال الحبشي مؤذن الرسول ثم زرنا ابن الجوزي الهمام وقرأنا للمتوفى ولهم فاتحة الكتاب ودعونا الله ببلوغ المرام ثم قرأنا الفاتحة لمن في تلك الجبانة من الصحابة والتابعين والآل والأولياء والصالحين ثم عدنا بهمة من التعب واهية ومررنا في الطريق على حضرة السيدة جابية فقرأنا لها الفاتحة الشريفة والتمسنا من بركاتها المنيفة وسرنا إلى أن دخلنا لمكاننا واجتمعنا بأحبابنا و أخواننا واستقمنا ذلك اليوم لتحرير رسائل

الأهل والقوم وبتنا تلك الليلة في تذكار الأوطان وهيجان الشوق لرؤية الأحبة والخلان إلى أن طلع فجر يوم الاثنين الخامس عشر يوما من شهر ربيع الثاني ذهبنا بعد طلوع شمسه لزيارة السيد سعيد أفندي العجلاني فجلسنا معه نحو ساعة وعدنا لنسد مع الأخوان ثغر المجاعة فأكلنا ما تيسر من الزاد وسيرنا من كان مصحوبا مع ابن الأستاذ من الأولاد ثم بعد أداء فريضة المغرب السنية ذهبنا لمجلس الأستاذ في تلك الليلة أكملنا له مطالعة مفتاح المعية وقرأنا الفاتحة البهية والتمسنا بركات السادة النقشبندية وبتنا تلك الليلة على أكمل حال وأصفى خاطر وبال إلى أن ابتسم ثغر الصباح عن سنا يوم الثلاثاء الوضاح وهو اليوم السادس عشر من شهر ربيع الثاني فحضر فيه الأحبة والأصحاب الذين حديثهم أطرب من نغمات المثاني وفي ذلك اليوم ذهبنا بابن الأستاذ للفرجة على الأسواق البهية وأدخلناه لجامع السليمانية والسنانية ثم عدنا لمحلنا وانتظم بالأحبة طالع شملنا ثم بعد صلاة المغرب ذهبنا للثم أنامل الأستاذ ذي المحيا السني فأمرنا بمطالعة كتاب الرسائل لحضرة العارف عبد الغني وتلك الرسائل حاوية على الأحكام والمواعظ الجليلة موقظة الغافلين إلى دوام كل فضيلة فقرأنا في حضرته تلك الليلة كتاباً واستأذنا وخرجنا من مكانه لمحلنا إيابا وبتنا تلك الليلة في انشراح وعافية وصحة وارتياح إلى أن استنار صبح يوم الأربعاء الأبلج السابع عشر من شهر ربيع الثاني الأبهج طلب منا بن الأستاذ زيارة الشيخ أرسلان فذهبنا به لحضرته وقرأنا عنده ما تيسر من القرآن ثم وقفنا به في رأس الجبانة التي ضمت أعضاء أبي بن كعب ولم يتيسر الوصول إليه ولا من يدلنا تلك عليه ولبعد المسافة هو أمر شاق صعب فقرأنا لحضرته الفاتحة واستدعينا من إمداده الطافحة ثم رجعنا به إلى الجنينية العمادية ونزهنا النواظر في هاتيك الأنهر والرياض البهية ثم مررنا به على جنينة باب السلام..))

مراجعة كتب:

وأتينا لمحلنا بسلام وأخذت في مطالعة كتاب الرسائل الذي نقرؤه ليلا بين يدي الأستاذ ذي الفضائل فظفرت في بعض مسائل ينبغي ثبوت مبانيها لبيان أحكامها ومعانيها فعن لي تحرير البعض منها لقرب المراجعة لدى البحث عنها فلقد قال رضي الله عنه ونفعنا به في كتاب من الرسائل مخصوص أرسله لبعض صحبه وهو جواب عن سؤال ورد عليه في بيان حكم سماع

الآلات فكأنه ملخص من رسالته التي أشرنا إليها قبل في هذه الرحلة ممنطقة بالبراهين والدلالات كثر في هذا الزمان يا أخي جهل الخلق بالحق وزادت دعاويهم من غير علم ولا صدق وقرروا بأقوالهم المزعزعة شرايع الأحكام وغيروا بأعمالهم المحرفة شعاير الإسلام فتراهم ينكرون المكروه ويأكلون الحرام ويقرون الأغنياء على الكفر والمعاصي والآثام ويأمرون الفقراء وينهونهم عن وجه الازدراء و الانتقام شددوا على غيرهم وسهلوا على أنفسهم لتظهر لهم المزية والتأمر بالكلام فرحم الله تعالى الفقهاء الحنفية فإنهم يقولون في كتبهم يحرم استماع الملاهي وآلات اللهو ونحو ذلك من العبارات وهؤلاء يطلقون الحرمة للآلات من غير تقييدها باللهو بها كأنهم لم يفهموا كلام الفقهاء في كتبهم ولا عرفوا قيودها فجردوا الآلات من قيود اللهو وحرموها مطلقاً ولم يعتبروا ما قيدتها به الفقهاء وهذا أمر شنيع في الدين وفساد عام بين المسلمين اخترعته مفقهة الزمان لما لم يتعاط كلام الفقهاء غيرهم من أهل الإيمان فإن كانت الآلات واستماعها حرام مطلقاً وبلهو وغير لهو وسواء كانت ملاهي أو لم تكن فهو خروج من مذهب الفقهاء بالكلية ونظيره قول الفقهاء يحرم على الرجل الجنب مس المصحف فإذا لم يعتبر أحد لفظ الجنب وأسقطه من كلام الفقهاء وقال يحرم على الرجل مس المصحف فهل كنتم تخطئونه أو تصوبونه فكذلك قول الفقهاء يحرم استماع الملاهي وآلات اللهو ونحو ذلك فإن قيد اللهو في حرمة هذه الآلات شرط وارد في عبارات الفقهاء كلهم أخذاً من خصوص الأحاديث فلا بد من اعتباره في وجود حرمة السماع للآلات وكنت أورد لك عبارات الفقهاء والأحاديث الواردة في ذكر قيد اللهو ولكن هنا محل اختصار فإنه مكتوب لا كتاب وقد ذكرنا في شرحنا على الطريقة المحمدية للبر كفى هذه المسألة ولنا رسالة أيضاً مستقلة في هذا التفصيل الذي نذكره فلا بد في كون سماع الآلات بجميع أنواعها حراما أن تكون ملاهي وآلات لهو وإذا زال عنها هذا القيد زالت الحرمة ولا بد أن يكون المراد باللهو الذي تقترن به تلك الآلات حراما لا لهواً مباحاً واللهو قسمان قسم حرام كشرب الخمر والزنا واللواط وكل ما يلهي ويشغل عن الصلاة المفروضة فينساها صاحبها لاشتغاله به فتفوت عن وقتها أو ما يلهي عن غيرها من العبادات والطاعات المفروضة على المكلف وهذا هو اللهو الذي إذا اقترن به سماع الآلات المطربات بالنغمات الطيبات كان حراما وتسمى حينئذ تلك الآلات ملاهي وآلات لهو ونحو ذلك وهو مراد الفقهاء بتحريم الملاهي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم استماع الملاهي حرام والجلوس عندها فسق والتلذذ بها كفر ونحو ذلك من الأحاديث وورد في حديث آخر إذا شربت الخمور واتخذت القينات وضربت الملاهي فانتظروا

الساعة والقينات هن النساء الزواني والقسم الآخر من اللهو وهو اللهو المباح فقد قال تعالى((اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو))ولم يقل أحد أن الحياة الدنيا حرام لكونها لهوا فهي لهو مباح وكذلك ورد في الحديث((الهوا و العبوا فإني أكره أن يكون في دينكم غلظة)) ومعلوم أن المراد بهذا اللهو اللهو المباح لا اللهو الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال((خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة المغزل)) فإذا اقترن سماع الآلات بمثل هذا اللهو المباح كان لهواً مباحاً فلا تسمى حينئذ تلك الآلات في اصطلاح الفقهاء ملاهي ولا آلات لهو خصوصاً إذا اجتمعت عليه المشايخ الصالحون مع الفقراء الذاكرين الذين يذكرون الله تعالى ويمجدونه وينطربون بها في ذكرهم وتمجيدهم ومعلوم أن مجالس الصالحين لا شيء فيها من اللهو الحرام كالخمر والزنا واللواط ونحو ذلك ولا تلهيهم عن فرض من فروض الله تعالى بل تحثهم على طاعته وامتثال أمره فمن أنكرها عليهم فهو ممن طبع الله على قلبه وأضله عن السبيل وأضل به من لم يهد من عباده وهذا الذي ذكرناه لك تخريج للمسألة على مذهب الفقهاء الحنفية دون أئمة الصوفية وإلا فإن عندنا من كلام أئمة الصوفية والعارفين في كون السماع المذكور مباحاً بل مستحبا بل قد يكون واجبا ما لو أظهرناه لطال الكلام واتسع مجال الأفهام ولكن إذا كانت متفقهة زماننا قاصرين عن تحقيق ما بأيديهم من كتب الفقه لانطماس بصائرهم في الغالب بأكل الحرام وفي البعض بالتقليد المحض لأغنياء العلماء فكيف يفهمون ما في كتب الصوفية والله يعلم المفسد من المصلح وهو حسبنا ونعم الوكيل يقول الحق وهو يهدي السبيل وإماماً يحتج به بعض الفقهاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم((كل لهو ابن آدم حرام إلا ثلاثا)) فهو مثل قوله أيضاً صلى الله عليه وسلم ((كل بدعة ضلالة))مع أن في البدع ما هو مباح فهو عام مخصوص بالحياة الدنيا فإنها لهو بنص القرآن وليست بحرام وبالسباحة والمغزل وفي الحديث الذي ذكرناه فإنهما لهو وهو خير فالمعنى كل لهو ابن آدم هو حرام فهو حرام كما أن كل بدعة هي ضلالة فهي ضلالة والحمل مفيد مثل قوله تعالى والسابقون السابقون أي كل لهو ابن آدم هو حرام لاقترانه بحرام فهو حرام وكل بدعة هي ضلالة لأنها تؤدي إلى ضلالة فهي ضلالة هذا نهاية ما لخصه المؤلف من رسالته للسائل له من أهل مودته وخاصته وسئل عن قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فأجاب المراد بهم العلماء بظاهر الشريعة المحمدية وباطنها فإن الخشية تلازمهم على كل حال دون العلماء بالظاهر فقط ورحم الله شيخي زاده فإنه ذكر في حاشيته على تفسير البيضاوي أن الخشية من لوازم العلم بالله تعالى فعند عدم

الخشية يلزم عدم العلم بالله تعالى وقال أن العلم الذي هو سبب القرب من الله تعالى هو الذي يورث الخشية وأن أنواع المجادلات وإن دقت وعظمت إذا خلت عن إفادة الخشية كانت من العلم المذموم والمتقيدون بإصلاح بواطنهم فقط من غير إصلاح خواطرهم بالآداب الشرعية من امتثال الأوامر واجتناب النواهي عرفوا بعض الشرع أيضاً فعملوا به وجهلوا الباقي فإن آمنوا بذلك الباقي فهم قاصرون وإن جحدوه فهم كافرون والمتقيدون بإصلاح ظواهرهم فقط من غير إصلاح بواطنهم بالمجاهدة الشرعية المشتملة على تنقية النفوس من الأخلاق المذمومة كالغفلة عن شهود الحق تعالى وما يتعبها من الحسد والبغض والعجب والتكبر والرياء والخديعة والمكر والاعتماد على غير الله تعالى وما أشبه ذلك إنما هم عرفوا بعض الشرع فعملوا به وجهلوا الباقي فإن كانوا مؤمنين به كانوا قاصرين وإن كانوا جاحدين له كانوا كافرين كما قال تعالى((أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)) وقد جاءت الشريعة المحمدية بإصلاح الظاهر والباطن معالا بإصلاح أحدهما فقط وقال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وسلم ((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب)) ولا صورة القلب البيت هو منزل الملائكة ومحل استقرارهم والصفات الردية كالغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وإخوانها كلاب نابحة فكيف تدخل الملائكة وهو مشحون بالكلاب قال ولست أقول المراد بلفظ القلب وبالكلب الغضب والصفات المذمومة بل أقول هو تنبيه عليه ودخول من الظواهر إلى البواطن مع تقرير الظواهر فبهذه القضية فارق الباطنية فإن هذا طريق الاعتبار ومسلك الأئمة الأبرار ومعنى الاعتبار أن تعبر مما ذكره إلى غيره فلا تقتصر عليه أي على ما ذكر قال ولا تظنن أن هذا الأنموذج وطريق ضرب الأمثال رخصة في دفع الظواهر واعتقادي إبطالها حتى أقول مثلاً لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله إخلع نعليك وحاشا لله فإن إبطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بالعين العورا إلى أحد العالمين عالم الظاهر وعالم الباطن كما أن أبطال الأسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ولذلك ورد القرآن ظاهر وباطن وحد ومقطع بل أقول فهم موسى عليه السلام من الأمر بخلع النعلين أطراح الكونين فامتثل الأمر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا بخلع الكونين يعني علم الدنيا وعلم الآخرة ولم يقبل إلا على الله وحده فهذا هو الاعتبار أي العبور من الشيء إلى غيره ومن الظاهر إلى السر وفرق بين من يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم هنا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مردا بل المراد تخلية بيت من كلب الغضب

لأنه يمنع المعرفة التي هي من أنوار الملائكة إذا الغضب غول العقل وبين من يمتثل الأمر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلباً لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضراوة وإذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجباً عن صورة الكلب فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن سر الكلبية أولى فإن أجمع بين الظاهر والسر فهو هو الكمال وهو المعنى يقولهم الكامل من لا يطفيء نور معرفته نور ودعه وسئل أن حرمة الشيء الثابتة بالاجتهاد ولا يكفر مستحلها فما وجه إكفار مستحل الرقص في ذكر الله تعالى أجاب حيث قلنا الفرق بين التواجد في ذكر الله تعالى وبين الرقص في الغناء ظاهر لكل مسلم فإن الباعث على التواجد هو السوق إلى الله تعالى والمحبة في جلاله وجماله والباعث على الرقص إنما هو الشهوات النفسانية والأغراض الشيطانية في الفسق والفجور فمن قال عن التواجد في ذكر الله تعالى أنه رقص كفر لأنه سمى الطاعة معصية كما ذكر الفقهاء في الخمرة التي يذكرها الأولياء في أشعارهم ويمدحونها فإذا قال هي الخمرة المحرمة المعروفة في الدنيا كفر قال على القاري المكي فالعبارات في الميمية الفارضية وكذا الأشعار الحافظية والقاسمية وأمثالها كفرية لمن حلها على المعاني الظاهرة كأهل الإلحاد والإباحة انتهى كلامه في شرحه لمكفرات البدر الرشيد فمن رقص بالمعنى الذي ذكرناه على ذكر الله تعالى كان رقصه حراما بالإجماع وذكر الله طاعة بالإجماع ومن تواجد بالمعنى الذي ذكرناه على الغناء والفسق كان تواجده طاعة بالإجماع لأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وكان الغناء والفسق والفجور حراما بالإجماع فمن قال أن الرقص حرام مراده الرفض بالمعنى الذي ذكرناه أنه حرام بالإجماع لا بالاجتهاد واستحلال الحرام المجمع عليه كفر ومن قال بعدم الحرمة مراده التواجد على الذكر للرقص فلبست المسألة اجتهادية وإنما هي مبنية على حسن الظن وسوء الظن فمن رأى الحركة المختلفة في حال الذكر من المساكين فحسن الظن بهم قال هذا تواجد على ذكر اله تعالى وهو طاعة ومن أساء الظن بهم قال هذا رقص حرام لأنه معصية لأن الرقص لا يكون إلا بالباعث النفساني والشهوة الحيوانية والحاصل أن الفرق بين الرقص وبين التواجد لا يخفى على المسلم المنصف الخالي من التعصب سواء كان من العوام أو من العلماء والرقص يكون بالتكسر والتخلع لإثارة الشهوة والتواجد إنما يكون بالشوق الإلهي والمحبة الربانية ولا يخفى ذلك على جميع الناس فمن ساوى بين الرقص والتواجد بواسطة أن كلا منهما بحركة موزونة على نغمة موزونة كان كمن ساوى بين السجود للأصنام والسجود لله تعالى بواسطة أن كلاً منهما وضع الجبهة والأنف على

الأرض فيكفر بلا خلاف والله الموفق للصواب وبتنا تلك الليلة في صفاء خالي من الكدر والتنكيد وعيش بالمسرة حسن رغيد إلى أن تنفس صبح يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الثاني الأنيس فحضر في صباحه لزيارتنا الأستاذ ذو النور الباهر فحصل لنا بتشريفه جبر الخاطر فجلس ساعة أو أقل ثم عاد إلى شريف المحل واستقمنا مع ابن حضرة الأستاذ على هذه الكيفية من توارد المحبين والأصدقاء في البكور والعشية إلى يوم الأربعاء غرة جماد الأولى تحركت همة ابن الأستاذ للسفر وعلى المسير في صباح الخميس قد عول وكان قبل تحريك الهمة من ابن الأستاذ للسفر دعاه لضيافته ذو المحيا الأنور عمد العلماء الكبار الشيخ حامد أفندي العطار ودعانا جميعاً في معيته فذهبنا لمحله وتملينا بمشاهدته ودعانا لضيافته الشاب اللطيف الحاج علي المصري فتوجهنا إلى مكانه صحبة الأستاذ وولده غب الرجوع من جنينة العمري يا لها من جنينة تجري فيها الأنهار وروضة مفتقة أشجارها بالأزهار ومررنا في الطريق على جامع دنكزذي الروحانية والايناس لا سيما بمرور نهر فيه يسمى بانياس ودعانا أيضاً الفاضل النحرير و العالم العامل الشهير حضرة السيد الشيخ عبد الرحمن لا زال في حفظ الله الملك الديان وكذا غيرهم من أهل الولاء والخلة والصداقة والوفاء فأخذ يتهيأ ابن الأستاذ للسفر وذهبنا لدى حضرة الأستاذ ذي الوجه الأقمر فترامينا على أعتابه وتوقعنا تحريك الهمة من جنابه مع الإفصاح عما بنا من الأشجان واطلاعه على ما نال الأهل والأقارب من الكدر والأحزان فموه في الكلام ثم وعد بالسفر بعد مضي أيام فخرجنا من مجلسه غير ظافرين بالمأمول وقد عرانا طيش وذهول فعدنا لمحلنا المعلوم نتجرع غصص الهموم و الغموم وبتنا تلك الليلة في خيال وشتات فكر واشتعال بال إلى أن ذهب الليل بديحوره وأقبل صبح يوم الخميس الثاني من جماد الأول بنوره سافر ابن حضرة الأستاذ في صباح ذلك النهار و أورثنا بفراقه الهموم والأكدار فبعد غيبة مشهده ذهبنا لتقبيل راحات والده فحصل منا بالترامي إلحاح كثير فلاح منه إشارة تؤذن بالسفر والمسير فلتمكين الأذن وتوضيحه وتحقيقه وتصريحه أخذنا في مجلسه في أمر السفر بطريق المفاوضة و تعاطى الأسباب فلم يحصل من سعادته معارضة فحصل لنا غاية السرور و الفرح وتقشع عن القلوب سحب الكدر والترح وأتينا لمحلنا نبحث عن توجيه دواب ورفق غير أنا نقدم رجلاً ونؤخر أخرى حذر أن يكون الأذن غير محقق وبتنا تلك الليلة في اجتماع الضدين مسرة بلوايح الأذن وكدر بفراق ابن الأستاذ قرة العين إلى أن ذهبت عساكر الليل المجمعة وأقبل جيوش صبح يوم الجمعة وهو اليوم الثالث من جمادى الذي أولانا الله فيه إسعافاً وإرفادا حضر عندنا ذو المقام

القدسي الشيخ يحيى أفندي النابلسي فتملينا بمشاهدة جماله وتضلعنا من فيوضات كماله ثم حان وقت الصلاة فخرج وفارقنا شمس محياه ونزلنا إلى الجامع وصلينا الجمعة بين هاتيك المجامع وزرنا مقام الحصور وقرأنا الفاتحة راغبين في الأجور ثم عدنا إلى المكان فحضر عندنا جماعة من الأحباب والخلان فبحثنا عن ورود القافلة فأخبرنا تلك الساعة أنها من جهة حماة واصلة فلم يمكن الاجتماع معها ذلك اليوم فتركنا طلبها للغد بعد الاستيقاظ من النوم وبتنا تلك الليلة في وجل عظيم وشده حذران يمتنع الأستاذ عن السفر وتطول المدة إلى أن طلع صبح يوم السبت الرابع جمادى الأول وأضاء اجتمعنا مع القافلة وحصل بيننا وبينهم الاتفاق والرضا ثم توجهنا لزيارة الأستاذ ذي الطول والأيادي فرأيناه قد عزم على زيارة مفتي أفندي المرادي فعدنا لمكاننا بعد عرض الواقعة عليه فما مضى ساعة إلا وقد أرسل في الحضور لديه وجاء مع رسوله رسول المفتي يدعونا لمكانه فأجبناه امتثالاً لأمر الأستاذ وتعظيماً لشأنه فتوجهنا لتقبيل أياديه الشريفة وشاهدنا تلك الأماكن اللطيفة فاستقمنا إلى أن حضرت مائدة العشاء فأكلنا ما تيسر ثم جلسنا إلى أن صلينا العشاء واستأذنا ذلك الجناب العلي في البيتوتة في مكان أخينا الحاج مصطفى أغا درويش وبتنا تلك الليلة مستمدين من الله تعالى العون والمدد إلى أن أسفر صبح يوم الأحد وهو خامس يوم من جمادى الأول المبارك صلينا الصبح ودعونا الله تعالى وتبارك وتوجهنا لدى حضرة الأستاذ بعد طلوع الشمس على أننا في شأن سفره إلى الوطن في لبس فدخلنا عليه وقبلنا راحتيه وعرضنا عليه العود للمكان لنباشر في أهبة السفر للأوطان فابتدر مسارعاً في الذهاب وأتينا في صحبته مع جملة من الأحباب فأدخلناه محله وعدنا لمكاننا لتعاطي أسباب الرحلة وكنا ذلك اليوم في دعوة الأخ المواسي الحاج مصطفى أغا معبوك أغاسي فذهبنا قبيل العصر لمكانه العامر وحبانا بجوده وكرمه الغامر ثم عدنا لمكاننا واستأنسنا بأحبابنا ثم ذهبنا لزيارة من كلمه الله وحيا سيدنا ومولانا الحصور يحيى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فقرأنا ما تيسر تجاه تلك الحضرة والمقام والتمسنا من جنابه الشريف المدد راغبين في الحماية والصيانة في سفرنا من المخاوف والنكد وفارقنا أنوار تلك الحضرة وفاضت الدموع من العبرة وعدنا بعد صلاة المغرب لدى الأستاذ ذي الفضائل وأكملنا له مطالعة كتاب الرسائل وختمنا المجلس بالفاتحة ودعونا الله تعالى بالدعوات الصالحة وعدنا لمحلنا المألوف فوجدنا فيه الخل الوفي الشيخ عبد الرحمن الذي بكل معروف معروف فتذاكرنا معه ساعة من الليل إلى أن وجد من النفوس إلى النوم ميل فبتنا في غاية من الرغب وكمال المسرة والطرب..))

استعدادهم للسفر من الشام،والطرق الصوفية:

حتى طلع فجر اليوم السادس من جمادى الثاني الذي هو يوم الاثنين الواقع فيه السفر من الشام وحلول الفرقة والبين حضر في صباحه بقصد الوداع أكابر علماء الشام والسادات الأماجد الفخام ومن جملة من حضر بحر التحقيق وكنز التدقيق العالم النحرير والمحدث الشهير ذو المنطق العذب الرطيب جناب شيخنا الشيخ نجيب فاقتبسنا من أشعة أنوارهم والتمسنا من فيوضات علومهم وأسرارهم واقتطفنا من أزهار مذاكرتهم غض الأدب واجتنينا من ثمار مفاكهتهم رطب الأدب ثم أن شيخنا المتقدم ذكره الفايح في أكناف الربوع و المحافل نشره ذا المقام السامي والقدر الرجيح في ضمن توجهات خطابه لنا منحنا طرز إجازة الجامع الصحيح تبركاً برجال السند و دوما لحصول العناية و المدد رغبنا في إثباتها في هذه الوريقات لتكون تذكارا لصنيعه في كل الأوقات قال الشيخ الكريم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رفع مقدار هذه الأمة المحمدية وخصها بسلسلة الأسناد والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف البرية المبعوث لإرشاد الخلايق وقمع العناد وعلى آله وصحبه وأصهاره وأنصاره ذوي الرتب السنية العاليات على الرواسي الشامخات الأطواد وعلى التابعين لهم بإحسان وتابعيهم أرباب الهمم العلية صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم البعث والتناد أما بعد فقد التمس الإجازة مني الشيخ الفاضل حاوي الفضائل زبدة الأتقياء سليل الأولياء جناب الأخ في الله بلغه الله تعالى ما يتمناه وأحسن إليه في أولاه وأخراه السيد محمد أفندي نجل مولانا المرحوم السيد الشيخ عمر أفندي الكيالي الرفاعي فأجبته إلى ملمسه بعد الاعتذار والتعلل امتثالاً لأمره ورغبته فيما ينالني من حسن دعائه في سره وجهره وأجزته وإن كنت لست أهلاً لذلك لعلمي بقصور باعي وملال قريحتي وكلال يراعى بما يحورنها عني روايته بشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر أقول وقد أخذت العلم ولله الحمد عز جماعة جهابذة عظام وأساتذة كرام من أجلهم المحقق المدقق السعد الثاني الشيخ علي أفندي الداغستاني وصاحب النهج القويم الشيخ علي سليم وأخو الزهد الجلي الشيخ أحمد الحنبلي وذو الإرشاد والنصح الشيخ محمد أبو الفتح والسيد الثاني ذو السر البادي السيد الشيخ عمر البغدادي وصاحب العلم المعتبر الشيخ محمد من بالجاويش اشتهر والعالم الرباني الشيخ إبراهيم الصيحاني وخاتمة المحدثين والجوهر المركب من عنصر فضل ودين ذو الفضل الجاري نزيل مدينة نابلس السيد محمد البخاري والكوكب المضيء الساري الشيخ مصطفى الرحمتي الأيوبي

الأنصاري وولي الله درة تيجان الرؤوس السيد الشريف عبد الرحمن العيدروس اليمني وقد أجازني إجازة عامة بجميع العلوم وطريق النقشبندية وسائر طرق السادة الصوفية والعالم الكبير المتقن الشيخ إبراهيم الحلبي محشي الدر المختار إجازة عامة من محروسة القسطنطينية والسادة القادة العلماء الأتقياء والأولياء الأصفياء الأبرار الشيخ محمد الكزبري والشيخ خليل الكاملي والشيخ أحمد العطار والشيخ عبد الرحمن الكفر سوسي والشيخ عبد الخالق ابن زياده الشافعيون الأخيار وشيخ الشيوخ ذو الفضل والعلم والأنس الشيخ محمد النافلاتي المالكي نزيلا القدس وغيرهم قدس الله تعالى أرواحهم ونور مراقدهم وتقبل منهم ولي إجازات من أكثرهم بما يجوز لهم وعنهم روايته مما هو محرر في إجازاتنا من فقه وحديث وتفسير وأصوليين وآلات وأذكار و أوراد وغيرها بحسب الإمكان ولنذكر سندنا بالجامع الصحيح للإمام البخاري من طريق سيدنا وقدوتنا وشيخ مشايخنا صاحب المقام القدسي والمشرب الهني الأنسي العارف بالله تعالى مولانا الشيخ عبد الغني ابن الشيخ إسماعيل النابلسي قدس الله تعالى سره وأدام عليه فضله وبره عبد تبركاً به وبأسلافه الكرامخ فأقول قد أجازني بصحيح الإمام البخاري ضمن الإجازة العامة الشيخ علي السليمي الشافعي والشيخ أحمد الحنبلي والشيخ مصطفى الرحمتي الحنفي عن الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي عن الشيخ تقي الدين عبد الباقي الحنبلي قال حدثنا حجازي الواعظ عن محمد الحنفي ابن أدكماس البرسي عن الحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني الشافعي أمير المؤمنين في الحديث عن أبي اسحق إبراهيم ابن عبد المؤمن وأبي علي الجيزي وأم محمد عائشة بنت عبد الهادي قالوا حدثنا أحمد ابن أبي طالب ابن أبي النعم الصالحي الحجار وست الوزراء بنت عمر ابن النجا التنوخية قالا حدثنا أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى الهروي أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد الداوودي قال حدثنا أبو عبد الله الإمام محمد ابن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيره بن بردذبة البخاري الجعفي إمام المحدثين بجامعه الصحيح بأسانيده المعلومة المتصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم هذا وقد أخبرنا شيخنا المرحوم الشيخ علي أفندي الداغستاني خادم الحديث في دمشق الشام والمدرس تحت القبة بجامع بني أمية وسمعته من لفظه في درسه العام عند ختم صحيح البخاري قال رحمه الله تعالى رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند باب الصنجق بالجامع المذكور وفي يدي كتاب فقال لي ما هذا الكتاب الذي في يدك فقلت هو صحيح الإمام البخاري فقال قد أجزتك به انتهي وأمر جميع الحاضرين أن يكتبوها في إجازاتهم والحمد لله على ذلك وأوصى المجاز المشار إليه وإياي بتقوى

الله تعالى بالسر والعلانية وأن لا ينساني وأولادي من صالح دعائه حرر في اليوم الخامس من جماد الأولى سنة اثنين وثلاثين ومائتين وألف وأن الفقير إلى عفو ربه المعترف بوصمة ذنبه محمد نجيب ابن أحمد الحنفي الشهير بالقلعي غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه آمين ثم ذهب علماء الشام والسادات الأكابر إلى وداع حضرة الأستاذ ذي المفاخر فدخلوا لنا دية وتشرفوا بلثم أياديه ولما دخل وقت صلاة الظهر المنير اجتمع الجم الغفير وأتينا بالدواب إلى الباب وخرج البيك وحشمه لوداع ذلك الجناب فودعه البيك المحترم ثم أركبنا الأستاذ الأكرم وخرج معنا وكيل البيك وابن الشيخ الحصني والسيد الشيخ عبد الرحمن وجماعة كثيرة من الأحباب والخلان فخرجنا من باب السلام وتفاءلنا بالسلامة في هذا السفر من الاكدار و الأوهام فمررنا على مسجد الأقضاء وقرأنا الفاتحة للمدفونين فيه من شهداء السادة الأصحاب وبعد الوصول إلى الزينبيين ودعنا المشاة وفارقناهم على أحسن حالة مرضية ثم بعد مجاوزة البساتين أرجعنا بقية المودعين ..))

وصولهم إلى حرستا:

ولما وصلنا(لحرستة) المعلومة شربنا القهوة ثم توجهنا لقرية دومه فتلقونا بالإعزاز والإكرام وبوؤونا مبوأ حسناً في غاية النظام فبتنا في حال حسن حيث أنا متوجهون إلى الوطن إلى أن قفل الليل الحالك صلينا الفريضة وركبنا متوكلين على ملك الممالك وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء السابع يوم من شهر جمادى الذي جعل الله سفرنا فيه مواسماً و أعياداً فحثثنا الدواب في السير ومررنا على(خان القصير)ولم نزل سائرين حتى وصلنا قبة العصافير فلم نشاهد في خانها من صغير ولا كبير بل رأينا تلك البقعة موحشة مهجورة ليست مونسة ولا معمورة ثم سرنا إلى أن أقبلنا على (القطيفة) نزلنا قبل دخولها على ماء جاري لأجل الراحة حصة لطيفة ثم ركبنا ودخلنا القرية فنلنا فيها المرام والبغية وبعد النزول والارتياح ذهبنا للخان والتكية لأجل الفرجة والانشراح فوجدناهما في غاية المتانة والإحكام والرصانة مع ما اشتملا عليه من المنافع لا سيما بوجود ذلك الجامع فدخلناه وصلينا فيه العصر فاقتدى بنا أهله متمين وأديناها مع القصر ودعونا الله تعالى ببلوغ المأمول ثم عدنا لمحل الإقامة والنزول وبتنا تلك الليلة إلى أن أصبح صباح يوم الأربعاء الثامن جمادى الأول صلينا الفريضة لمن في نعمه نتخول ثم اقتعدنا ظهور الدواب وسرنا متوكلين على رب الأرباب وكل منا لسرعة المسير انتهز حتى وصلنا إلى(خان المعز)

وهو غير صالح للنزول بالتحقيق ومع ذلك مظنه لوجود قطاع الطريق وفي أثناء الطريق مررنا على(خان العروس) وقد كلت من التعب والنصب النفوس ولم نزل سائرين إلى أن أقبلنا على(قرية القصطل) فنزلنا خارجها وأكلنا من الزاد ما تحصل..))



(الصورة٤٦) واجهة خان العروس في ريف دمشق

وصولهم إلى النبك:

ثم ركبنا وسرنا إلى أن وصلنا إلى(قرية النبك) ونزهنا الطرف في تلك التكية المسبوكة في قالب الصناعة أحسن سبك قد حوت بركة ماء عظيمة ورواقات صيفية وشتوية جسيمة وجامعاً ذا طلاقة وسفارة وبهاء ونضارة صلينا فيه العصر بالجماعة وعدنا لمحانا النازلين فيه تلك الساعة وكان نزولنا عند شيخها المأنوس فحصل منه البشر والبشاشة و الإكرام الجالب لراحة النفوس فطلب حضرة الأستاذ الكبير زيارة الولي الشهير من لهيبته القلوب تخشع والعيون تدمع وتبكي حضرة الشيخ على النبك فذهبنا في معيته إلى ذلك المزار وتملينا بمشاهدة تلك الأنوار وقرأنا له ما تيسر ودعونا الله تعالى بتسهيل ما تعسر وهو مدفون في الزاوية التي هي على أماكن متعددة حاوية ثم عدنا للمنزل العامر وبتنا في مسرة وصفاء خاطر إلى أن أصبح الصباح وأشرق جبينه الوضاح وذلك اليوم يوم الخميس التاسع يوم من جمادى الأول فكان عند طلوع الشمس على المسير المعول..))

من قرية البخل إلى قرية الكرم:

فركبنا وسرنا إلى أن وصلنا على (قارة) فلشهرة البخل في أهلها شننا عن الميل إليها الغارة ومما يضرب المثل فيه برد ذلك الطريق فإنه يلهي الرفيق عن الرفيق قال الشاهر ولما سقاني في الهجر رضابه توهمت أني بين(قارة والنبك)وقال ذو المقام القدسي الشيخ العارف النابلسي إن هذه القرية لها من اسمها نصيب السواد وبسببها يحق للقرى أن تسمى عند أهل المدن سواد وقد أخبر أن أبواب بيوتها صغار تشبه الطاقات مخافة أن يدخل منها ضيف على أهلها من ذوي الفاقات قاال ومررنا فيما بين بيوت القرية لأجل مكان ينزل فيه فلم نجد غير غربان ينعق كل منها بإشارة فيه ثم يدخل في عشه فيستر قوادمه بخوفه وهيهات لمانع القرى في القوى أن يسود قال تعالى ((ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)) وليتهم حيث منعوا القرى أجازوا البيع الذي جائز بلامرا وقد نظم فيهم من علم الأدب أبياتا تكتب بماء الذهب قد أتينا نؤم قرية قارة والدجا غاسل عن الجو قارة فدخلنا إلى زيارة قوم خاب من جاءهم بقصد الزيارة ووجوه من قارة لو أتاهم طائر لم يبللوا منقاره فحينئذ لم نعرج عليها ولم نلو أعناقنا إليهم فلم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى(بريج)قرية من القرى ومن عادة أهلها عند ورود القافلة خروج نسائهم بالخبز واللبن يعرضونه للشرى فنزلنا في فنائها على حوض ماء فأكلنا وشربنا حتى حصل الشبع والارتواء ثم ركبنا متون الدواب وسرنا محروسين بعناية الملك الوهاب فمررنا على (عيون العلق)ومن بعد (بالدويرات) على نسق وهما محلان يقصدهما قطاع الطريق ويأتون إليهما من كل فج عميق ونحن بحمد الله وبركة الأستاذ لم نشاهد في تلك البقاع ما يشوش الخاطر ويكدر الأسماع إلى أن وصلنا(قرية حسية) ونلنا من حاكمها كمال الإكرام والبغية فتلقانا بالإجلال والإعظام وأحلّنا دار الكرامة والاحتشام فبتنا تلك الليلة عند ذوي القدر الرفيع والصدر الواسع والحصن المنيع وشربنا من ذلك الماء الزلال وتمتعنا ببدايع ألطاف ذي الجلال إلى أن انشق كمام الدجا عن سنا الصبح وتلك الطلعة المؤذنة بإقبال يوم الجمعة وهو اليوم العاشر من جمادى الأول المبارك فبادر كل منا للسفر وتدارك وسرنا على بركة الله حتى وصلنا(قرية شمسين) فخرج نساء القرية كما سبق يتلقون بزادهم القادمين فنزلنا خارجها ساعة من الزمان وأكلنا ما حضر من الزاد مع بقية الأخوان ولقد مدحها ذو المقام السني مولانا العارف عبد الغني حيث قال وهو الصادق في المقال :

سرت بقومي لقرية لطفت ** فزاد يومي بها على أمس

وأشرقت أرضها فقلت لهم ** شمسين مشتقة من الشمس

وصولهم إلى حمص:

ثم ركبنا وسرنا قاصدين (حمص المعمورة)ذات المشاهد والمقامات المشهورة فلم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى سورها المتين فنزلنا في بقعة باهية على مصلى قد بني على طرف ساقية قال العارف النابلسي الذي فضله لا يشرك نقلاً عن ياقوت الحموي في المشترك حمص موضعان وهو قول صدق الأول مدينة مشهورة بالشام بين حماة ودمشق وهي قديمة البناء كما ذكره أهل التاريخ والسير والباني لها حمص ابن المهر من بني عمليق على حسب ما اشتهر الثاني اسم لمدينة اشبيلية وهي من الأماكن الأندلسية كان بنو مروان الذين تملكوا الأندلس في ذلك الأوان بعد نزول دولتهم عن المشرق و إقليم الشام لمحبتهم له سموا عدة بلاد بالأندلس بأسماء بلدان ذلك الاقليم البسام وكانت فيما غبر من الزمان محفوفة بالمياه الجارية في السواقي والغدران فكأنها جزيرة في بحر أو قلادة في نحر والآن قد حال حالها ومال بأهلها مائلها فلله در ابن خطيب داريًا فإنه خطب على منبر الأدب في مسجد هذه الروضة الريًا حيث أنشد وهو ذو الرأي المسدد :

جزيرة حمص كعبة الحسن أصبحت ** يطوف بها دان ويسعى لها قاصي

لها حلة من نبتها سندسية ** تعلق في أذيال أستارها العاصي

ولقد نافسه بعض الشعراء فيما أشار إليه من المعنى فكأنه عاب عليه غناء الغانية في المغنى حيث قال :

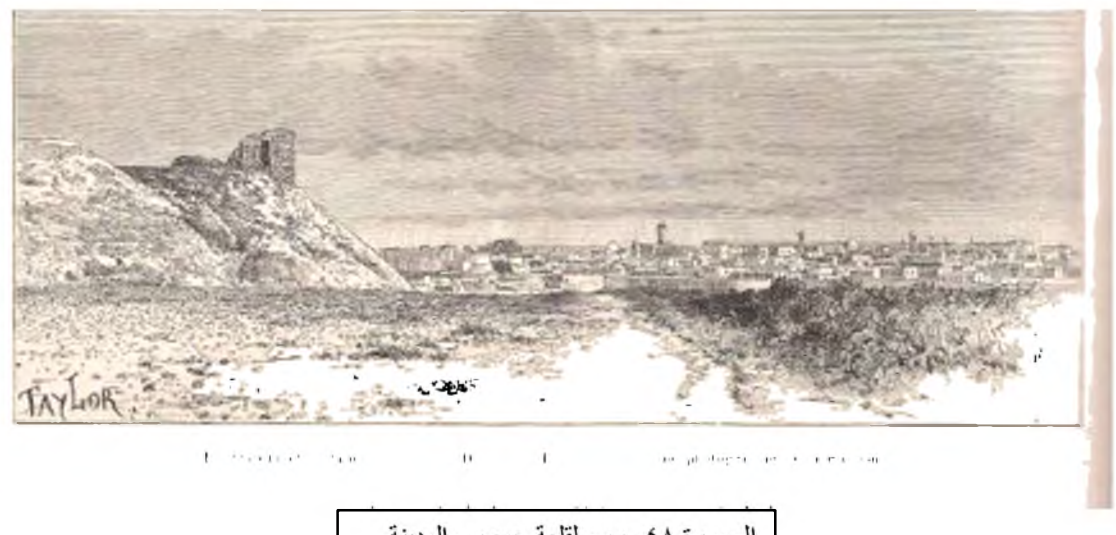
جزيرة حمص لم تكن قط كعبة ** يطوف بها دان ويسعى لها عاصي

ولكنها للهو والقصف حانة ** ألم تنظروها كيف جاورها العاصي



الصورة ٤٧)قلعة حمص والمقبرة بجوارها

وإنما شرف المنازل بسكانها ولا تقوم القبة إلا بأركانها ولذا قال أبو الخطيب المتنبي في شأن ممدوحه وأشار أن حياة البدن بروحه إذا خلت منك حمص لا خلت أبدا فلا سقاها من الوسمي بأكره وقوله لا خلت أبدا احتراس لطيف وهو من أنواع الغنى عن التعريف فخرج لملتقانا عمدة الأكابر والأماثل زبدة الأماجد والأفاضل من اقترنت إلى محاسنه محاسن قوم فتبين أنها مساوي النقيب سابقاً السيد عبد القادر أفندي الزهراوي فأنزلنا عنده في دار الكرامة وبيت المجد والشهامة وأحسن مأوانا وأجمل مثوانا وأتى غب الوصول لزيارة الأستاذ الخاص والعام والأكابر والأعيان والعلماء الأعلام ومن جملة المسلمين عمدة الجهابذة الأكرمين ونخبة الفضلاء وزبدة النبلاء الكامل الأديب واللوذعي الأريب الشيخ عبد الستار أفندي مفتي حمص المحروسة لا زالت بأنظاره الشريفة محفوظة وبه مأنوسه ومنهم نخبة السادات والأماجد والمحلى بالمحاسن والمحامد من لبيضة النقابة حافظ ولحرمة الشرف مراهي السيد عبد المجيد أفندي الجندلي الرفاعي ومنهم عمدة العلماء المحترمين وصدر الأكابر والمدرسين الفائز من مولاه بالأماني جناب حضرة مصطفى أفندي التركماني ومنهم من شذا عرف فضله عابق السيد عمر أفندي المفتي في السابق فقبل كل من المذكورين وغيرهم لراحته وتبركوا بجمال طلعته ولما دخل وقت المساء أحضرت مائدة العشاء فأكلنا ما حصلت به الكفاية من فاخر الطعام في معية المفتي وغيره من الوجوه الكرام ثم حضر المنشدون في ذلك المغنى فأطربوا الحاضرين بأصواتهم الحسنة بلطيف المغنى واستمروا على ذي الحال لقيام صلاة العشاء وأدائها بالجماعة ثم أمر حضرة الأستاذ



الصورة ٤٨- رسم لقلعة حمص والمدينة عام ١٨٨٠م

بالشروع في الذكر تلك الساعة فصفا العيش في تلك الليلة وطفح السرور وتبدل ظلام القلوب بالنور ثم بعد انفضاض المجلس وذهاب كل خل مونس مهدت لنا فرش الراحة و الإكرام فبادرنا للحال في المنام وبتنا إلى أن صافحنا صباح يوم السبت وبشرنا بذهاب الكدر و المقت وكان ذلك اليوم اليوم الحادي عشر من جمادى الأول الأنور صلينا الفريضة وجلسنا لدى حضرة الأستاذ ذي الطرف الأحور وحضر الوجوه والأعيان في ضحى النهار وكنا من الليل دعينا عن ذلك اليوم لضيافة الشيخ عبد الستار فعقب انفضاض الناس ذهبنا لمقامه فواجهنا بمعروفه وإكرامه ودعى الأعيان والسادة وأحضر لنا في وقت الظهر طعامه وزاده ثم شرع المنشدون ذوو الأصوات الحسنة العجيبة بالإنشاد والأغاني الرقيقة الرطيبة ثم طلب الأستاذ الفرجة على القلعة فذهبنا ونلنا المشقة من تلك العقبة والطلعة فوجدناها خربة ما بها عمار إلا مسجدا صغيرا في بعض الأحيان يعمر بالصلاة والأذكار وفي ذلك الجامع المصحف العثماني ذو النور الساطع فدخلنا لذلك الجامع المذكور صلينا الظهر ثم تشرفنا بمشاهدة ذلك المصحف المشهور وهو موضوع في خزانة في داخل صندوق للحفظ والصيانة ففتحناه وتصفحنا منه ورقات ثم قرأنا لأجل التبرك منه بعض آيات وهو مكتوب بخط كوفي غليظ تعسر قراءته بسبب تقادم العهد مع هذا الخط الأعلى الزكي الحفيظ وعلى كونه في تلك الحالة له هيبة زائدة وجلاله ثم اطلعنا على آثار الدم في بعض الكلمات التي هي على شهادة عثمان رضي الله عنه براهين وآيات ثم قرأنا الفاتحة لحضرة سيدنا عثمان راغبين في نيل الفضل والإحسان ثم خرجنا وجلسنا في محل مرتفع بين أولئك الجموع وسرحنا النواظر في هاتيك الأماكن والربوع وصعد في تلك الساعة لدى الأستاذ ابن



الصورة ٤٩- جامع خالد بن الوليد في
حمص –الحرم والمنبر الداخلي

عبد المنعم الشيخ محمد شيخ مشايخ البكرية فقبل راحته الشريفة وتملى بطلعته البهية فتوسمنا فيه التقوى والصلاح وشاهدنا عليه سنا الديانة والفلاح فجلسنا معه بمقدار حصول الراحة ثم نزلنا لمكان المفتي ذي الملاحة والسماحة فحضر عبد المجيد أفندي الرفاعي فأكل معنا الضيافة وكان لحضرة الأستاذ ثاني داعي ثم خرجنا من محل المفتي المذكور ومررنا في الطريق على الصحابي المشهور الهمام الجليل الأكبري سيدنا عمرو بن أمية الغمري فدخلنا لحضرته وفزنا بزيارته وتبركنا بقوسه الموضوع عند رأسه وكذا بالسكاكين التي كان يربطها في قدميه والنحيلات التي بعلقها في وسطه وقت السعاية على رجليه فقرأنا له الفاتحة واقتبسنا من أنواره الطافحة ثم خرجنا وزرنا رجلاً من التابعين يقال له دامس أبو الهول وهو عبد لبني تميم في قول فقرأنا له الفاتحة الشريفة والتمسنا من بركاته المنيفة فوصلنا بعد ذلك إلى مكاننا واجتمعنا بأحبابنا وخلاننا ثم أدينا فريضة العشاء في الحال وشرعنا في الذكر الذي حصل فيه ما لا يطاق تلك الليلة من الحال وبتنا تلك الليلة فرحين وبالقدوم على الوطن مستبشرين إلى أن انشق ظلام الليل الأسود عن ضياء صباح يوم الأحد الثاني عشر يوماً من جمادى الأول المنير ذهبنا فيه لزيارة



الصورة ٥٠- جامع خالد بن الوليد في حمص –قبل إصلاح المنطقة حوله

الصحابي الشهير ذي السر الساري حضرة أبي ذر الغفاري فدخلنا المسجد ملاصق سور البلد المصون وجدنا حجراً في جدار السور من داخل المسجد مكتوباً عليه بخط كوفي أنه في هذا المحل مدفون وسبب ذلك على ما أخبرنا من رجل كان حاضراً معنا حين زرنا أن نور الدين الشهيد صاحب النصر والتأييد لما اختصر حمص قدَّم ذلك السور فبسبب تقديمه وقع البناء على ذلك الضريح المرشوش بالنور فقرأنا ما تيسر من القرآن ودعونا الله تعالى بالوفاة على الإيمان ثم خرجنا من مكانه لزيارة الأسد الضاري الصحابي الكبير عبد العزيز الغفاري وهو داخل مسجد صغير على صفة معمولة بالحجر والجير فوقفنا عند ذلك القبر الأنور وقرأنا له من القرآن ما تيسر ثم خرجنا وذهبنا لزيارة من رفع له عن بصيرته الغين الولي الشهير والبدر المنير الشيخ عُنيِّن فقرأنا ما تيسر من القرآن عنده والتمسنا بركته واسعافه ورفده ثم خرجنا خارج السور لزيارة الكثيب الأحمر المنير الحاوي على جم من شهداء الصحابة غفير فقرأنا لهم الفاتحة وانتشقنا عرف عطورات ضرايحهم الفايحة ثم توجهنا لزيارة نيري فلك المجد والفضلى الجلي عبد الله وعبد الرحمن ولدي سيدنا جعفر أخي سيدنا علي وهما في الجبانة المشهورة في ضريح واحد عليهما قبة معقودة رضي الله عنهم كل حين ونفعنا ببركاتهم أجمعين فقرأنا لهما الفاتحة بالخصوص

ولأهل الجبانة بالعموم ودعونا الله تعالى بكشف الهموم والغموم ثم عدنا من زيارة أولاد سيدنا جعفر الطيار إلى زيارة سيدنا التابعي الكبير كعب الأحبار وهو مدفون في مسجد صغير مرتفع بدرجات خارج باب البلد منعزل وحده ليس حوله بناء لأحد والذي صح من الأقوال ذكره أن في بلدة حمص مدفنه وقبره أسلم في خلافة أبي بكر الصديق وتوفي في خلافة عثمان على التحقيق رضي الله عنهم وأرضاهم وأماتنا على حبهم و ولاهم وإنما سمي كعب الأحبار لكثرة علمه ومناقبه وقد أدرك النبي رجلاً ولم يؤمن به ولذا لم يكن من الصحابة الكرام حيث تأخر إلى زمن الصديق حتى دخل في الإسلام روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً وعن عمر وعائشة وصهيب وعن من الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية لا ريب ومن التابعين الأماجد الأكابر أبو رافع الصايغ وسعيد ابن المسيب وابن امرأة تبع الحميري ومالك ابن أبي عامر وهو من الطبقة الأولى من تابعي الشام وكان على دين اليهود وأسلم وقدم المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ثم خرج إلى حمص ومات بها سنة ثلاث وثلاثين وبلغ من العمر مائة وأربعة وستين فقرأنا لروحه الشريفة الفاتحة وشممنا عطر حضرته الفايحة ثم ذهبنا لزيارة الأسل الباسل والشجاع القناص الصحابي الجليل سعد ابن أبي وقاص وهو من أئمة أهل السنة واحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ومدنا بمددهم في الدنيا وفي يوم الدين وهو مدفون في جامع هناك صغير على ما هو عند أهل البلدة شهير وفي صحن ذلك الجامع بئر ماء وأشجار زهية وعلى ضريحه الشريف قبة مبنية فصلينا ركعتين في ذلك المقام وقرأنا الفاتحة ودعونا ببلوغ المرام والصحيح أنه توفي في قصره بالعقيق على سبعة أميال أو عشرة من المدينة ومدفنه بالبقيع على التحقيق وكان حمله على الرقاب إلى البقيع من مكانه ذكره ابن عبد البر و النووي وغيرهما وحكمة حمله على الرقاب تعظيماً لشأنه ثم خرجنا وذهبنا لزيارة وحشي الصحابي المشهور وثوبان مولى حضرة سيدنا النبي الرسول صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وبارك وعظم وهما مدفونان على صفة واحدة في جامع كبير بمسجد السر ومشهور أحدهما بجانب الآخر وعليهما قبة صغيرة في محل خاص من الجامع المذكور فأما وحشي هو ابن حرب مولى بني نوفل قاتل حمزة عم النبي والرسل المفضل وقصة قتله ساقها البخاري في صحيحه مطولة وفيها قصة إسلامه وأمره صلى الله عليه وسلم له أن يغيب وجهه عنه ويحوله وكان قدومه مع وفد أهل الطائف في آخرها وشارك في قتل مسيلمة وشهد اليرموك ثم سكن حمص ومات بها وعاش إلى خلافة عثمان رضي الله عنه كما ذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة

فرضي الله تعالى عنه وعن بقية السادة الصحابة وأما ثوبان اشتراه صلى الله عليه وسلم من السبي فأعتقه ولم يزل معه سفرا وحضرا لم يفارقه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الشام ونزل حمص وبنى بها داراً وتوفي بعد أن أقام ثم ذهبنا لزيارة ذي المقام الأنوري سيدنا عبد الله بن قيس أبي الحسن الأشعري فوجدنا مدفنه في السوق في مقام يخطف سناه بالأبصار كالبروق فقرأنا لحضرته ما تيسر ودعونا الله عنده بتسهيل ما تعسر ولقد ولى زبيد وعدن للنبي صلى الله عليه وسلم صفوة بني غالب والكوفة والبصرة لعمر رضي الله عنه وعاش لخلافة علي ابن أبي طالب ثم انقبض إلى مكة ومات بها في قول مختص فعلى هذا لم يكن مدفنه في حمص ثم ذهبنا لزيارة سيدنا عكاشة وقرأنا له الفاتحة فأصابنا من فيوضات بركته رشاشه وهو بتخفيف الكاف والتشديد على الأظهر لكن رواية التشديد هي الأكثر وهو عكاشة ابن محصن الصحابي المكرم استشهد في قتال المرتدين في زمن أبي بكر الصديق الأكرم والأكثرون أنه في وجهة الكوفة في بزاخة بلاد بني حنيفة التي هي اليمامة فقد استشهد بها ونال المثوبة والكرامة ثم ذهبنا لزيارة المفضال المحسان الولي الشهير الشيخ معدان فقرأنا له الفاتحة الشريفة والتمسنا بركات تلك الحضرة اللطيفة ثم ذهبنا لزيارة سيف الله المسلول الذي في أعناق المشركين مجعول الممنوح من الله تعالى بالنصر و التأييد الصحابي الجليل أبي سليمان خالد ابن الوليد وهو في جامع كبير خارج البلدة حاوي ذلك الجامع على أماكن عدة ذو رحبة واسعة وأبنية علية شائعة في غاية الإتقان والنضارة والروحانية والإنارة فدخلنا إلى حرمه المنيع البالغ النهابة في الهندسة والتوقيع صلينا فيه الظهر بالجماعة ودخلنا لمقامه الشريف تلك الساعة وباب حضرته يدخل إليها من الحرم المذكور ومرقده الشريف متوج بالبهاء والنور وعليه قبة ملئت بالهيبة والجلال يحصل منها للداخل الدهش والاستغراق في الحال فوقفنا بالذلة والخضوع والسكينة والخشوع كما هو المطلوب في مقامه الأدب ثم بعد جلسنا جثياً على الركب فقرأنا سورة ياسين وضممنا إليها عدداً من الصلاة على سيد المرسلين وأهدينا ذلك لجنابه وحططنا أحمال الرجا بأعتابه واقتبسنا من سنا أنواره والتمسنا من بركته وأسراره قال النووي في تهذيب الأسما في بيان نسب هذا الهمام المسمى هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد بن عمر بن مخزوم بن قيظة بن مره ومرة بن كعب بن لوى بن غالب القرشي المخزومي على اليقين واسم أمه لبابة الصغرى بنت الحارث أخت ميمونة ام المؤمنين أسلم خالد بعد الحديبية وشهد غزوة مؤتة بلا اشتباه وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله وكان من المشهورين بالشجاعة والحماسة والشدة والشرف والرياسة يوليه

صلى الله عليه وسلم من حين أسلم أعنة الخيل فيكون في مقدمتها ليذيق المشركين النكال والويل وأمره أبو بكر رضي الله عنه على قتال مسيلمة الكذاب والمرتدين باليمامة فكان له في قتالهم أبلغ فتك وأعظم علامة وله الآثار البديعة المشهورة كقتال الروم بالشام والفرس بالعراق كما هي في التواريخ مذكورة وعلى القول الذي قائله صادق محق أنه هو الذي قد افتتح دمشق وكان شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلنسوته يتهجم بسببه لحرب ويستنصر ببركته ولما حضرته الوفاة قال لقد شهدت مائة زحف وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشي لا نامت أعين الجبنا يشير أن الشهادة هي المطلوب والبغية ثم قال ومالي من عمل أرجا من لا إله إلا الله وأنا متترس بها فلقد صدق لأنها حصن فمن دخله وتحصن به أمن من النار وعذابها توفي في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين وكانت وفاته في حمص بالمحل الذي تقدم ذكره على نحول ميل من هذا البلد الأمين وحزن عليه عمر والمسلمون الحزن الشديد إلى هنا انتهى كلام النووي ببعض مزيد ولقد مدح العارف النابلسي حمصا بسكنه وأثبت لها الفخر على غيرها بمدفنه وذلك في قصيدة دالية مشهورة مرقومة في قطعة على ضريحه مسطورة أولها أن حمصاً بخالد بن الوليد هي حصن لشيخها و الوليد ثم خرجنا من مقامه لمقام السيدة فضه ذات الحضرة السنية والأنوار الساطعة المبيضة قد كانت جارية النبي صلى الله عليه وسلم ثم حباها خالد بن الوليد وأنعم بها عليه وتكرم ثم خرجنا من مزارها لمقام من يفوق سنا نوره القمر سيدنا عبد الله بن حضرت سيدنا عمر فدخلنا لمقامه بالذل و الانكسار وقرأن الفاتحة ودعونا الله تعالى بالنجاة من النار لكن الروايات في مرقده مختلفة والمعتد أنه في مكة المشرفة ثم زرنا ثلاثة قبور يقال أنهم من الحواريين وكذا قبرين من الشهداء الصالحين ثم خرجنا إلى حجرة مضية أمامها في صحن الحوش بركة ماء بهية فجلسنا بقصد الراحة مع الأحباب واجتنينا من ثمار ذلك الخطاب وتذاكرنا في بعض مسائل فقهية وأوردنا بحسب الاقتضا أحاديث نبوية ثم خرجنا من ذلك المكان آمنين من الخوف وذهبنا للتكية لزيارة سيدنا عبد الرحمن بن عوف وهو على ما قيل مدفنه في تلك التكية فإن لم يكن هو فغيرة من الصحابة أو أهل المراتب العلية فوقفنا تجاه حضرته الطاهرة وقرأنا الفاتحة راجين من بركاته الظاهرة ثم خرجنا ومررنا في الطريق على الولي الشهير بالكلاعي وقرأنا له الفاتحة والتمسنا بلوغ المرام وتوفر الدواعي ثم خرجنا وسرنا على أن مررنا على مدفن فيه أخوان وهما من أكابر الأولياء العظام الأعيان أحدهما اسمه الشيخ عبد السلام والآخر الشيخ صالح فقرأنا

لهما الفاتحة طلب لقضاء الحاجات والمصالح ثم خرجنا ومررنا على مزار أنور فسألنا عن صاحبه فأخبرنا بأنه ولي لله يقال له الشيخ عمر فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله أن يجعل تجارتنا في هذا السفر رابحة ثم قصدنا زيارة الشيخ عبد الله الولي الشهير بالشيخ الجندلي وهو من ذرية من أطاعه السباع والأفاعي القطب الفرد السيد أحمد ابن الرفاعي فقرأنا له الفاتحة وانتشقنا طيب شذا حضرته الفايحة ثم مررنا على مدفن الشيخ الصعيدي فابتهلنا إلى الله تعالى لدى مقامه مع رفع الأيدي ثم ذهبنا لزيارة من في الملمات مقصود الولي المغربي الأصل الشيخ أبو السعود وهو مدفون في جامع وعليه قبة لطيفة فوقفنا لدى جدثه وقرأنا له الفاتحة الشريفة ثم ذهبنا لدعوة عبد المجيد أفندي المتقدم ذكره فتلقانا بالإجلال وشملنا طيبه ونشره وحصل لنا من سماع الإنشاد ذلك اليوم النشاط والطرب ولم يزل الحال على هذا المنوال إلى أن دنى المغرب واقترب فأحضر مائدة العشاء فأكلنا في جملة الأخوان حتى حصل الاكتفاء ثم عدنا لمحلنا المذكور وبتنا تلك الليلة في صفاء وسرور إلى أن انجلى عن سنا الفجر الغين وكان ذلك اليوم الثالث عشر من جمادى الأول يوم الاثنين اجتمع المنشدون والأحباب وتشنفت الأسماع بالغناء المستطاب ثم خرجنا لزيارة التابعي الكبير والإمام الجليل الشهير الخليفة العادل العزيز سيدنا عمر بن عبد العزيز واختلف في تعيين مدفنه وضريحه فقال صاحب المشترك أنه في دير سمعان في غوطة دمشق ومال لترجيحه والذي ذكره صاحب القاموس أنه في دير سمعان على ميل من حمص وبه قال النووي وصححه فالدير رخمة ذكرها ياقوت في المشترك موضحه دير بحمص ودير بالمعرة ودير بأنطاكية ودير بمدينة حلب المحروسة ودير بغوطة الشام المحمية فوصلنا إلى مكانه في الصحراء وجدناه متهدما ولا له مقام معتبر كغيره من الخلفاء والأكابر العظماء بل قيل أنه كان هناك دير والآثار تدل عليه وكونه في ذلك المحل ستأنس له بالأنور التي تشرق لديه وقد كان انفراده عن أهل بيته بالصلاح والعدل وجميل السيرة منشورا وقطعه لسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مشهورا ولقد ذكر عن الطاهر الأمجد سيدنا جعفر بن محمد أنه قال في معرض المدح له والاعتذار من زيارته كان العبد الصالح أبو جفص عمر بن عبد العزيز يهدينا الدراهم والدنانير في زقاق العسل خوفاً من أهل بيته :

يابن عبد العزيز لو بكت العين ** فتىً من أمية لبكيتك

غير أني أقول أنك قد طبت ** وإن لم يطب ولم يزك بيتك

أنت نزهتنا عن السب و القذف ** فلو أمكن الجزا لجزيتك

ولو أني رأيت قبرك لاستحييت ** من أن أرى وما حييتك

وقليل لو أن بدلت دما البدن ** ضربا على الذرى وسقيتك

دير سمعان لا أغبك غادٍ ** خير ميت من آل مروان ميتك

أنت بالذكر بين عيني وقلبي ** أن تدانيت منك أو نأتيك

وإذا حرك الحشا خاطر منك ** توهمت أنني قد رأيتك

وعجيب أني قليت بني مروان ** طراً وأنني ما قليتك

قرب العدل منك لما نأى الجو ** ربهم فاجتويتهم واجتبيتك

فلو أني ملكت دفعاً لما نابك ** من طارق الردى لفديتك

فقرأ لحضرته ما تيسر من القرآن والتمسنا من فيوضات فضله المآثر الجميلة والإحسان ثم قرأنا لأهل المقبرة الفاتحة وقد إنسر بزيارة الصالحين كل عضو منا وجارحه ثم قصدنا زيارة ذي المكان المشهود الصحابي الكبير سيدنا عبد الله بن مسعود لكن ذكر النووي أن مدفنه بالبقيع الشريف فعلى هذا القول الحكم عليه بحمص قول ضعيف ثم قصدنا الذهاب إلى الجامع الكبير فمررنا في الطريق على مدفن ابن الشيخ سعد الولي الشهير فقرأنا له فاتحة الكتاب ودخلنا للجامع المذكور صحبة الأخوان والأحباب فوجدناه ذا روحانية زكية ورحبة واسعة وبحرة ماء بهية وفي حرمه أعمدة ليس لها نظير ومنبر من الحجر الزاهي النضير وفيه قوس في غاية السعة والارتفاع بحيث لم يشاهد له شبيه في سائر البلاد والبقاع وفيه عمود مثلث غريب الصناعة والعمل وجهان منه صورة عمودين والوجه الثالث شبه سنم الجمل وكنا في ذلك اليوم في دعوة عوض أغا المتسلم فذهبنا بعد المعود من الجامع صحبة الأستاذ لدى ذلك الرجل المكرم فخرج لملتقانا إلى الباب و واجهنا بالتأهيل والترحاب فلما أن حضرت المائدة وحصلنا من الطعام على الفائدة بادرنا بالمسير وعدنا إلى منزلنا الشهير واستقمنا إلى أن صليت العشاء وافتتح الذكر وحصل الحال والسكر من خمرة الحق المعتقة البكر بتنا تلك الليلة في مسرة وحالة للعين قره

حتى ذهب الليل وانجلت الظلماء وأشرق سنا الفجر في أفق السماء وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء الفاخر الرابع عشر يوماً من جمادى الأول الزاهر ذهبنا فيه لزيارة من لحسن مياه وسمته كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورته ونعته الإمام الجليل الصحابي سيدنا دحية الكلبي وقد اختلف في مدفنه جماعة أعزه فقيل في حمص وقيل في الشام في قرية المزه ثم ذهبنا لمدفن الولي العام الراسي جد المفتي المذكور آنفاً الشيخ الأتاسي فزرناه وأولاده وقرأنا من القرآن ما قدره الله وأراده وقد كنا مدعوين عند خالد أغا مسلم سابقاً قريب بيت الجندي فذهبنا في وقت الغدا صحبة مضيفنا الأفندي وكان ممن حضر الغدا حسين أغا حاكم تل بيصه جاء داعياً لنا بالأصالة عن نفسه والوكالة عن أخيه محمد أغا دعوة مخصوصه فحيث أنهم في طريقنا لا معدل عنهم أجبناهم لمرادهم ولبينا دعوتهم وحين الفراغ من الغدا المذكور بادرنا بالذهاب لمحلنا المعمور وتهيئنا للسفر في الغد وحصل لنا من جانب النقيب والمفتي المحاولة والصدر فعزمنا على ذلك ولم نلتفت لما هنالك وبتنا تلك الليلة على العادة من السرور والصفا إلى أن انصرم ظلام الليل وولى هاربا وقفا وظهر صبح يوم الأربعاء الخامس عشر يوما من شهر جمادى الأول صلينا الفريضة وكان على المسير المعول ثم هيئنا للركوب الدواب وحضر للوداع الأحبة والأصحاب فلما عزمنا على الركوب أطبق الغيم وتقاطر الطل ثم أقبل الوابل ينهل فعرضوا لنا بالتربص والمقام إلى أن ينقشع الغمام فأبينا ذلك المقال وبادرنا للركوب في الحال فخرج معنا النقيب والمفتي وجماعة من أهل البلد فلخوف المشقة عرضنا عليهم الرجوع فلم يصغ لهذا القول أحد إلى أن وصلنا لمقام ابن الوليد فتزايد وقع المطر الشديد فحينئذ ألزمناهم بالوداع والرجوع فودعناهم وقد لعبت نار فرقتهم في الأحشاء والضلوع فحين أن فارقناهم تقشعت الغيوم وزال ما كان في الأذهان من تواصل المطر موهوم ..))

مغادرتهم حمص :

ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا(تل بيصة)السامية فخرج لملتقانا ذا المكانة العالية افتخار الأماجد والأكابر حاوي المحامد والمفاخر جناب الأخ الأكرم محمد أغا المحترم فتلقانا بصدره الرحيب وعانقنا عناق المحب للحبيب واطلعنا لمكانه في القلعة فتملينا تلك الليلة بمشاهدة هاتيك الطلعة وبتنا في انشراح وسرور وصفاء خاطر وحبور إلى أن تنفس صبح يوم الخميس السادس عشر من جمادى الأول الخالي من الكدر والتدنيس صلينا الصبح وعزمنا على السفر وإذا

بالسماء قد أقبلت بعظيم المطر فاستدعى الأغا المومى إليه والجماعة إقامتنا ذلك اليوم فرأينا الصواب في إجابة أولئك القوم فعدلنا عن السفر يومئذ وأركب المومى إليه خيالاً لإحضار المنشدين من حمص حينئذ وذلك لفرحه بالأستاذ ذو ابتهاجه ولتسلية الأستاذ وتعليل مزاجه ثم بين الظهر والعصر طلب الأستاذ النزول إلى الجبانة قاصداً زيارة الشيخ مصطفى التلاوي ذي الولاية والأمانة فوجدنا قبره كبقية القبور غير أنه متميز عنها بالبهاء والنور فقرأنا له ما تيسر من القرآن العظيم ودعونا الله تعالى أن يفيض علينا من بركات جوده العميم ولقد ذكر لنا من نثق بأقواله شيئاً من بعض كراماته وأحواله

منها أنه قد أصاب أهل التل حايجة من قبل وزير الشام فحصل لهم بسببها كرب وأوهام لضعفهم عن دفعها وعجزهم عن رفعها فشكوا حالهم إلى الشيخ مصطفى وتكدير عيش ما قد صفا فأصغى بسمعه لمقالهم ورثى لضعفهم وحالهم وكان الوقت ضحى النهار بالتأكيد فعزم على السفر موهم الحاضرين زيارة(ابن الوليد)فتوجه مشياً على الأقدام فما مضى ساعة إلا وهو داخل في سراية الشام وقد كان معروفا عند الأكابر والولاة فحين وقع نظر الوزير عليه نهض مسارعاً لملتقاه فقبل يده ودعاه للمحل الأرفع فأبى ولم يجلس إلا في المحل الأوضع وجلس بين يديه وهو مرعوب وسأله عن غرضه فاستدعى منه أن يرفع عن أهل التل المطلوب فامتثل أمره والتمس دعاءه وخيره ثم خرج من مقامه فعرض للوزير بعض خدامه أنه يلحقكم مصارف كثيرة وقد شفعتم هذا الرجل البائس بدارهم غزيرة فإذا سلكتم مع كل شفيع هذا المسلك يفضي بكم الحال إلى الضيق والمهلك فأجابه أني لم أشفعه بالاختيار بل ألجئت لذلك من طريق الاضطرار وذلك أنه لما دخل ووقع نظري عليه وجدت منارة عظيمة محمولة على يديه وحين كلمني أمالها جهة رأسي ففرقت منه واختلت حواسي فأمضيت له رجاءه الذي رفعه إلى خوفا من إلقائه المنارة علي ورجع الشيخ من الشام إلى التل في تلك البرهة القليلة ولم يعلم أهله بهذه الواقعة الجليلة إلى أن مضت أيام وجاء الخبر للحاكم بواقعة الحال من والي الشام ومنها أنه كان أمياً يكتب ولا يقرأ وما سئل عن مشكلة من المسائل في أي علم إلا كان بها من غيره أعلم وأدرى كما سمعنا ذلك عن حضرة الشيخ النبكي مما ينقل عنه ما ذكر ويحلى فكراماته كثيرة وفضائله رحمه الله شهيرة ثم قرأنا الفاتحة للمدفونين في الجبانة وسألنا لله فضله وإحسانه ورجعنا لمكاننا واجتمعنا بإخواننا ولما دنى وقت صلاة العصر ورد علينا المنشدون وارتفعت أصواتهم بالأغاني المستجادة في رفيع

ذلك القصر إلى أن حضرت مائدة العشاء وحصل للجسم من طعام الأحبة النمو و الانتشاء ثم بعد أداء العشاء مع الجماعة الكرام شرعنا في الذكر بأمر الملاذ وحصل الوجد والهيام وبتنا في سرور ونشاط وفرح واغتباط إلى أن ذهب الليل الداج ،وظهر الصبح بالسنا والابتهاج وكان ذلك اليوم يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأول الذي فيه النفوس إلى الرحيل متطلعة صلينا الصبح وجلسنا حصة يسيرة مع الأحباب ثم حين طلوع الشمس بادرنا لتهيئي الدواب فأحضر الأغا المذكور من لذايذ الأطعمة الفطور فأكلنا على حسب الاشتهاء والميل ثم اقتعدنا في الحال ظهور الخيل فنزلنا الآغا والجماعة أمامنا للوطاه و ودعونا وقبلوا راحة الأستاذ طلباً لرضاه..))

وصولهم إلى الرستن:

فسرنا السير اللطيف الحسن إلى أن أقبلنا على(قلعة الرستن) ووقع نظرنا على مقام ذي السر السامي القطب الشهير أبي يزيد البسطامي وهو على تل عالي ونور مقامه ساطع متلالي وهو من الظاهر محكم البنية مكتنف ببيوت بعض أهل القرية قال ذو الفيض القدسي العارف النابلسي وقبر أبي يزيد في قبة معقورة عليه ذو مهابة وجلالة يحققان مدفنه هناك ويشيران إليه والبسطامي قيل لكبر الباء بالفتح على المشهور نسبة إلى بسطام بلد بطريق نيسابور واسم هذا السيد الجليل والقطب الولي طيفور ابن عيسى ابن آدم بن عيسى بن عليّ ذو المقامات العلية واحد مشايخ السادة الصوفية وكان جده مجوسيا فأسلم وصار من أمته صلى الله عليه وسلم ولأبي يزيد أخوان صالحان لكنهما عن درجته قاصران وله رضي الله عنه مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات عجيبة وخوارق مذكورة توفي ذلك الطور الراسخ في مقام التمكين سنة مائتين وإحدى وستين فإشاراته رضي الله عنه فاتنة وعباراته من بحار المعرفة التي في صدره كامنة ولقد مدحه ذو المنهل الهني شيخنا العارف عبد الغني بقصيدة غرا وهو بها أحرى وهي هذه :

لأبي يزيد الكامل البسطامي ** أسنى مزار في أجل مقام

في أوج مرتبة علت فكأنها ** للعين في الأفلاك بدر تمام

محروسة تلك الجهات من العدا ** بجلاله المشهور والإكرام

جبل تشعشع نوره بين الورى ** فسمت إليه خواطر الأقدام

وزهى بأرباب القلوب جماله ** ذاك المنبر على مد الأيام

تجسد النسيم به يحول مهيمنا ** رطب الزيول مهلل الأكمام

يأتي بطيب النشر من أرجائه ** فيه الشفا من سائر الآلام

لو لم يكن فيه سوى طيب الشذا ** ولطيف تنشيط وهضم طعام

لكفي وكيف وفيه أنواع المنى ** في قرب حضرة شيخنا المقدام

شيخ الشيوخ العارفين بربهم ** أصحاب رأس في العلوم وهام



الصورة ٥١– لوحة فسيفساء الرستن-تشاهد فيها السور ونهر العاصي –في متحف دمشق القرن٦م

طيفور يا شمس المعالي والتقي ** بالنور منك محوت كل ظلام

جئناك من بعد نزورك قصدنا ** منك التبرك مع حصول مرام

نعسي معاني اللطف تشملنا بها ** هو عادة المولى الجليل السَّامي

ومتى نجيب القصد في ذي رتبة ** تعلو على الأفكار و الأفهام

ذي رتبة كل المراتب دونها ** ميراث مختار أشم تهامي

جمع الحقايق و الطرايق كلها ** وأفار كل محقِقٍ علام

نور به الله الكريم لنا حبا ** عنا يزيل حنادس الأوهام

وقلوبنا مسرورة بلقائه ** فلقاؤه فينا كؤوس مدامي

نلنا المنا بزيارة فزنا بها ** موصولة بلطائف الأنعام

وبدايع الألحان تعزف بيننا ** عن كل معنى مطرب الأنغام

صوت يحرك في الغناء شجوننا ** ويهيج منا ساكن التهيام

فسقى الإله ثرى ضريح ضمه ** من رحمة الرحمن غيث هام

وقبور أقوام هنالك حوله ** محفوفة من نوره بخيام

وأبو يزيد المذكور شيخ مشايخ النقشبندية أصحاب الهمم العلية والأخلاق المرضية والمكارم السنية و الحضرات المحمدية والوراثة الأحمدية وقد اتصل إلينا مدد هذه الطريقة والعهد الوثيق برضاع لبان هذه الحقيقة من طريقين جليلين أحدهما من الأخ المرحوم شقيق الروح التي بين الجنبين السيد الحاج علي أفندي المتغمد برحمة المعيد المبدي في ضمن إجازته لنا بطريق من إطاعة السباع والأفاعي القطب الكبير جدنا السيد أحمد بن الرفاعي فإنه بعد أن ألبسني الخرقة المستجادة وأجلسني على السجادة بالأخذ عن والدي الأمجد وهو عن أخيه الشيخ أحمد وهو عن والده المربى في حجر بره وعوائده وهو عن صاحب الهدى و الإرشاد ابن عمه الشيخ أحمد والد الشيخ عبد الجواد وهو عن والده الشيخ عبد الكريم الشايع ذكره الفايح في هذا الوجود عطره وهو عن آبائه ومشايخه كما هو مصرح بهم في الإجازات لما جرت بذكرهم فيها العادات إلى أن تتصل السلسلة بالجناب الرفيع صلى الله عليه وسلم ومنه إلى جبريل إلى حضرة رب العزة الجليل جل جلاله وعم نواله أجازني بالطريقة النقشبندية الطاهرة الزاهرة النقية بطريق الأخذ عن والده وهو عن السيد شعيب شقيقه ومعاضده وهو عن أحمد أفندي طه زاده وهو عن والده طه أفندي ذي المجد والسيادة وهلم جرا من مشايخ هذا الطريق الذين هم خير قوم وفريق إلى حضرة أبي يزيد المذكور إلى حضرة الصديق الأكبر صاحب السر الذي في صدره موقور عن النبي عليه الصلاة والسلام عن جبريل عن حضرة ذي الجلال والإكرام والثاني فإني تلقيتها من شيخنا ذي

المحيا الأنوري السيد الشيخ عبد القادر أفندي الجوهري وهو عن والده المرحوم الشيخ عبد الرحمن أفندي ذي العلم والإفادة وهو عن والد علي أفندي مرادي زاده وهو عن والده عن جماعته غيره من سلفهم وهم عن الولي الكبير المنسوبون إليه ذي السر الساري الشيخ محمد مراد الأزبكي البخاري وهو عن الفاروقي الشيخ محمد معصوم كامل المعاني عن والده الشيخ أحمد الفاروقي مجدد الألف الثاني وهو عن من لخمر الحقيقة ساقي الشيخ محمد بن عبد الباقي وهو عن مولانا خواجكي مكنكي الأمجد وهو عن والده درويش محمد وهو عن الصالح العابد خاله الشيخ محمد زاهد وهو عن صاحب الإمداد والأسرار عبد الله المعروف بخواجة أحرار عن حضرة الجواد السخي مولانا يعقوب الجرخي وهو رئيس الطائفة بهاء الدين نقشبند المعول عليه الذي سميت هذه الطريقة بالنقشبندية لنسبها إليه ومعنى نقشبندية ربط النقش باللغة الفارسية يعني إثبات نقش التوحيد في لوح القلب وتحقيق القلب به وإدامة استحضاره بحيث لا ينفك بالكلية وهو أخذ عن سيدنا أمير كلال المتوج بتاج البهاء والإجلال وهو أخذ عن الطود الراسي الشيخ محمد بابا السِّمَّاسي وهو عن ذي المحيا السني الشيخ علي الراميتني وهو أخذ عن ذي المدد النبوي الشيخ محمود أنجير فَغنَوي وهو أخذ عن ذي السر المصطفوي الشيخ الكامل عارف رِيوِكروِي وهو أخذ عن رئيس الطريقة العارف الرباني الشيخ عبد الخالق الغجدواني وهو أخذ عن العارف الصمداني الخواجه يوسف الهمداني وهو الذي يتصل به سند العارف النابلسي من الطرق الجسماني دون الأخذ بالطريق الروحاني فإنه عن الخواجه علا يدين العطار إلى الحضر عليه السلام ذي الفضائل والآثار والشيخ يوسف المذكور أخذ عن أبي علي الفارمدي المشهور وهو أخذ عن القنديل النوراني الشيخ أبي الحسن الخرقاني وأخذ أيضاً عن من بالإمداد قد حبى الشيخ أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي فله حينئذ طريقان نذكرهما على سبيل البيان أما أبو الحسن الخرقاني ذو السر النامي فإنه أخذ عن شيخه الإمام الكامل البسطامي لنه من الطريق الروحاني لا الطريق الجسماني فإن أبا يزيد الشهير مات قبل ولادة الخرقاني بكثير وأبو يزيد أخذ عن الكوكب البارق الإمام جعفر الصداق وهو أخذ عن الإمام الجليل ذي الفضل و التحقيق سيدنا القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق وأخذ أيضاً عن ذي الحسب الطاهر الإمام محمد الباقر فله أيضاً طريقان يشهد بهما الوجدان أما طريق الإمام القاسم الذي لا يدرك لفضله كنه فإنه أخذ عن سيدنا سلمان رضي الله عنه وسلمان أخذ عن السيد الرفيق والصاحب العتيق أمير المؤمنين سيدنا أبي بكر الصديق وهو رأس السلسلة النقشبندية وبه تسمى هذه الطريقة الشريفة بالبكرية

لنسبتها لرفيع قدره وهي طريقة السر الذي وقر في صدره بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له تنبيها عليه وإشارة منه في الحديث الشريف إليه بقوله وهو الصادق في قوله وفعله وحالتي عسره ويسره لم يفضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه وفي رواية بسر وقر في صدره أي ثبت وسكن من الوقار وهو الحلم والرزانة كما في نهاية ابن الأثير ذي الحفظ والصيانة وسيدنا أبو بكر الخليفة الهمام أخذ عن حضرته عليه الصلاة والسلام وهو صلى الله عليه وسلم تلقى ذلك عن جبريل وهو عليه السلام عن حضرة رب العزة الجليل وأما طريق محمد الباقر فإنه أخذ عن الكوكب الزاهر الإمام زين العابدين علي بن الحسين وهو أخذ عن أبيه الحسين نور العين وهو عن أبيه الليث الغالب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن



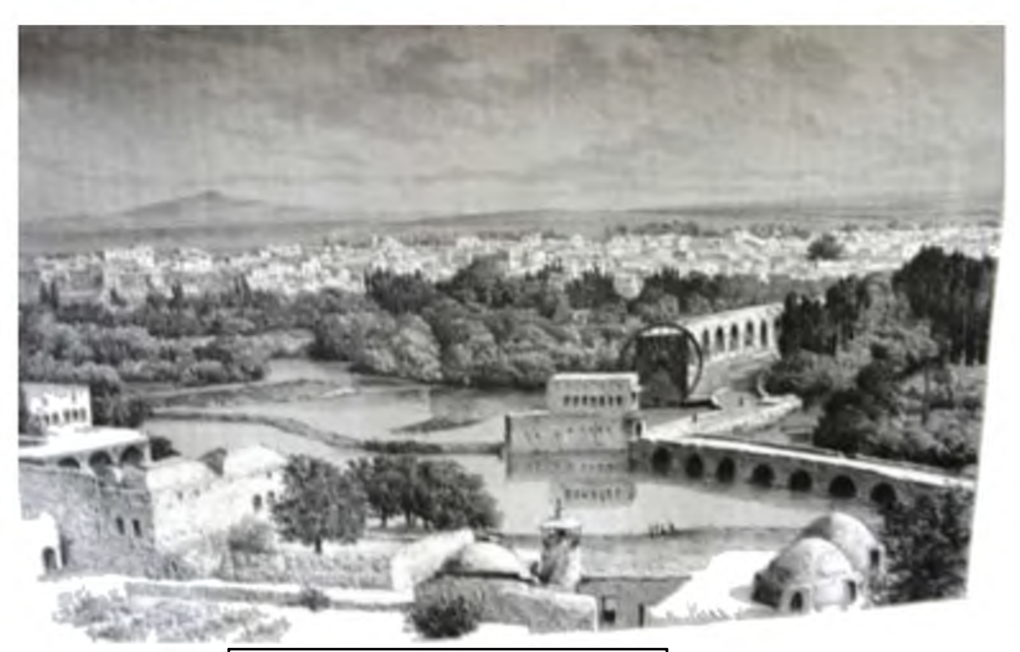
الصورة ٥٢- خان الرستن ، والناعورة-تعود الصورةإلى عام١٩٣٥م

بقية الصحابة والآل والأزواج والقرابة ومنه تفرعت طرايق الصوفية وإليه انتمت الأنساب الفاطمية وهو باب مدينة العلم الذي صرح به لفظ الحضرة النبوية وخطابها بقوله أنا مدينة العلم وعلى بابها وهذا الإمام المذكور أخذ عن حضرة الرسول الدستور وهو عن جبريل عليه السلام وهو عن حضرة ذي الجلال والإكرام فهذه نهاية سلسلة طريق أبي الحسن الخرقاني بلغنا الله ببركة مشايخها المقاصد والأماني وأما طريق أبي عثمان المغربي البالغ أسنا المراتب فإنه أخذ عن أبي علي الحسين ابن أحمد الكاتب وهو أخذ عن أبي علي البغدادي الإمام أحمد بن محمد الروزبادي

وهو عن الإمام ذي الفضائل والمكارم سيد الطائفة الجنيد أبي القاسم وهو عن صاحب الإمداد والتمكين حضرة الإمام السقطي سرى الدين وهو عن معروف الكرخي وهو عن داوود الطائي وهو عن السيد المرتضى الإمام الشهير علي الرضي وله أيضاً طريقان معلومان بمشاهدة العيان أما طريق علي الرضي السابق فإنه عن موسى الكاظم عن جعفر الصادق وقد تقدم سنده وتحرر عدده وأما طريق داوود الطائي ذي الهيكل النوري فقد أخذ عن حبيب العجمي وهو عن الحسن البصري وهو أخذ عن ذي المنصب العلي ابن عم الرسول سيدنا علي بالسند المتصل إلى حضرت رب العلمين ومالك يوم الدين ثم أنى بحمد الله تعالى تحدثنا بالنعمة وشكرا للمنعم أخذت هذه الطريقة أيضا في ضمن طرق من مولى الخير لي ومن بالمدد لي مفعم غوث الزمان وفرد الوقت والأوان مالك قيادي ووسيلتي في حصول مرادي الأستاذ الجليل السيد الشيخ إسماعيل الرفاعي الكيالي الجوادي متعنا الله والمسلمين ببناء حياه ومدنا بمدده واستمداداته فإنه قد قلدني أطواق المنه فألبسني الخرقة وأجازني كما جرت به العادة والسنة ثم حرر لي بخطه الشريف إجازة وهي عن غيرها من الإجازات ممتازة فإنه جمع ما وقع لئلا يبقى لي في غيره مطمع فأجازني بالطريقة الرفاعية والطريقة القادرية وكذا بالطرايق الشاذلية والسعدية والنقشبندية وضم إلى ذلك الإجازة بالعلوم الشرعية الشاملة للنقلية والعقلية فهذا شأن الكرام من حيث عنايتهم بالحشم والقرابة والخدام ولنرجع لما نحن بصدده من مرورنا على أبي يزيد مدنا الله بمدده فإنه لما شاهدنا من أعلى الطريق أنوار ذلك المقام ذات اللمعان والبريق ولم يتيسر وصولنا لحضرته والتملي بشريف زيارته وقفنا حينئذ تجاه مقامه وخضعنا عند ذلك لحرمته واحتشامه ثم قرأنا سورة الملك والإخلاص والمعوذتين والفاتحة وأهدينا ثوابها لحضرته التي بالأسرار الطافحة والتمسنا من تلك البركات والإمداد راغبين إليه تعالى به في نيل المراد ثم سرنا ومررنا على(خان الرستن)العظيم وجزنا ذلك الجسر الجسيم وشاهدنا تلك الغياض ونزهنا النواظر بهاتيك المياه والرياض

وصولهم إلى حماة:

ولم نزل سائرين إلى أن أقبلنا على(حماة المحروسة)ذات الأماكن والربوع المأنوسة فمررنا بقدرة من هو آخذ بالنواصي على الجسر الممتد على نهر العاصي وقد كنا أشرنا في ترجمة هذه الرحلة لما سلف من زيارتها ذلك العام والدخول إلى ذلك الحصن الحصين وشريف المقام ووعدنا بمجيء الكلام عليه إذا يسر الله القدوم من الشام إليه فها نحن بحمد الله تعالى وعنايته وجوده قد حظرناها مرة ثانية وحظينا بطلعة بدرها وشهوده فدخلنا الحرم الذي هو مأمن الخائف وشاهدنا البيت الذي هو كعبة الطائف فتلقانا رب البيت ونور مشكات هذا الزيت مفخر الأكابر والأعيان نادرة الوقت والزمان يتيمة أصداف الأصلاب الكيلانية وأكليل تاج العصابة الهاشمية شيخ مشايخ الطريق بالإجماع ومعدن السلوك والإرشاد بلا نزاع الشهم الهمام والأسد الضرغام حيدرة بني عبد القادر علي الهمة لأسنى المطالب والمفاخر متعنا الله تعالى ببقاء وجوده ولا أحرمنا من فيوضات بره وجوده ومنحنا حسن عواطفه وأنظاره بملاحظته وأسراره ولا برح محطاً لرحال الآمال وكهفاً يلجأ إليه في المهمات ووقايع الأحوال فطفنا طواف القدوم حول كعبة تلك الطلعة البهية وتشرفنا بلثم الكف الأسعد ذي النوافح المكسية و وقفنا بعرفات تلك المعرفة فبوأنا زلفى الكرامة بالمزدلفة



الصورة ٥٣ــحماة منظر عام ــبعد عام١٨٨٠م

وأقمنا بمنى المنا وألقينا جمرات العنا ثم أفضنا بالسعي في ذلك الحرم وتشبثنا بأطراف ذلك الحبيب الملتزم مع الاعتراف بالتقصير في جانب جنابه الخطير ولقد أنزلنا في كشكشة اللطيف ومجلسه السامي المنيف الذي بعض شبابيكه مطل على العاصي المطيع لإحكام المسرة ودواعي

الخليع وبعضها مطل على بحرة الماء والحوش النضير وبعض آخر منها مشرف على الجنينية التي ليس لها نظير لاسيما بسماع أصوات النواعير المغنية عن الناي والقانون والسنطير ومشاهدة تلك الرياض الرفعية والبساتين اللطيفة البهية مع نوافح تلك الأزهار ومناغات بعض الأطيار فرحم الله ذا النفح القدسي حضرت العارف النابلسي حيث مدح(حماة)وصادف محله فلا يسأل عنه حينئذ ولا يعلل بعلة فلقد قال وهو الصادق في المقال :

ألا أيها الساري بعزم وهمة ** لنحو حماة سرت في غاية الأجر

فليست حماة في الورى غير جنة ** ألم تنظر الأنهار من تحتها تجري

وبتنا تلك الليلة في كمال السرور وغاية الصفاء والحبور إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وكان ذلك اليوم يوم السبت الثامن عشر جمادى الأول صلينا الفريضة وابتهلنا لمن بنعمه نتخول ثم جلسنا في ذلك المكان السامي وتأملنا ذلك الرونق النامي وأصغينا لأصوات النواعير الموضوعة على العاصي فأطربنا ذلك الصوت المطرب لكل دانٍ وقاصي وقد حصل لنا من هذا الليث الباسل و الغيث الهامل وكذا من بقية البدور الكيلانية والأنجم الزاهرة القادرية ما غمرنا من الإكرام في السابق و اللاحق وعمنا من الأغراز وكمال الموانسة ما يكل عن إحصائه اللسان الناطق ألا إنهم كواكب حماة المحمية بل الدنيا وشموس أفلاك السيادة ومعاقد العز والعليا كيف لا والملوك قد اعترفت بعلو قدرهم ونوهت في ألسنتها بشأن مدحهم وذكرهم فلقد نقل العارف النابلسي الكبير والوارث المحمدي الشهير ما جرى لحضرت السلطان سليمان خان الخليفة الجليل من آل عثمان أيد الله دولتهم وخلد عزهم وصولتهم لما قدم حماة المحروسة زار جدهم الكبير ذي الأسرار المأنوسة وأسمعه بيتين من إنشائه وإنشاده أو متمثلاً بهما في سعادة أسعاده :

شهب السماء بنوركم أقمار ** مذ نلتموا شرفا وزاد وقار

وزهت حماة بكم ومنكم أصبحت ** جنات عدن تحتها أنهار

وقد اجتمعنا ولله الحمد بتلك الأقمار واقتبسنا من أشعة هاتيك الأنوار وتشرفنا بمجالسة أشرافها وعلمائها واستأنسنا بشهور كبرائها وعظمائها ودعانا في الخطرة الأولى والثانية ذا النفس المطمئنة الغانية والمورد الوافي والمشرب الصافي عمدة المدرسين المرشدين ونخبة العلماء والمشايخ المسلكين الملحوظ بعناية المعيد المبدي السيد الشيخ محمد أفندي المفتي إذ فاك بمدينة لا زالت

أحكام الشريعة مصونة بحيطة حماة فأدخلنا لدار كرامته وجمع لنا خاصة أحبابه وقرابته وأحضر لنا رؤساء المنشدين فتشنفت بأصواتهم أسماع الحاضرين وحصل له التعلق التام بحضرة الأستاذ رفيع المقام فنلنا كمال المنا وفزنا بالسرور والهنا ثم أحضرت مائدة الأطعمة الزكية وأخرى غيرها من الفواكه والحلويات السكرية وغب الفراغ من الطعام وشرب القهوة وكمال النظام استعملنا ماء الزهر وانتشقنا عرف مجامر العود في بديع ذلك القصر ثم أبنا لمكاننا المأنوس الذي بأنظار السادات محروس وتشرفنا بمن ذاته صبغت صوغ التبر وصفاته سلمت من الخيلاء والكبر السيد عبد الله أفندي بن المرحوم السيد الشيخ إبراهيم أفندي ولم نظفر في الخطرة الأولى برؤية أخيه من لطفت ذاته ودقت حواشيه حائز قصب السبق في مضمار المفاخر وأرث علا المجد كابراً عن كابر الأجل الأمجد الأفخم السيد عبد القادر أفندي المحتشم غير أنا بعد حظينا برؤية مطلع كوكبه في الشام وتمتعنا بجمال محياه البسام وحصل لنا بوجوده الإيناس وبنيت قواعد المحبة بيننا على أمتن أساس ولقد من الله علينا في الخطرة الثانية بالاجتماع به في وطنه وتمتعنا بطلعة محياه بين أهله وسكنه ونلنا بجمع الشمل به بعد الغيبة الحظ الوافر وبثثنا بمشاهدته



الصورة ٥٤-جامع النورية والناعورة-
الصورة مطلع القرن٢٠م

الشوق المتكاثر وفي الخطرة الأولى دعانا أخوه المحترم وأصعدنا إلى تلك القاعة التي لا نظير لها في الحرم فاستقمنا من الظهر إلى المساء في نشاط وسرور وصفاء مع الإنشاد المعجب

والغناء المطرب ثم قدمت مائدة الطعام المرضية الحاوية على الألوان النفيسة الشهية فأكلنا ما قسمه لنا المولى وحمدناه على ما أجزل من فضله وأولى وكذا دعانا لضيافته تلك المرة من أعلا الله تعالى قدره عند السادات الفضلاء وزبدة الأذكياء والنبلاء الأمين على مستودع السر الممنوح بالخمرة الإلهية المعتقة البكر السيد الشيخ أمين أدامه الله تعالى أمين فذهبنا لحانة نهله وسكرنا بخمرة وصله فحبانا ببره ونيله وغمرنا بإحسانه وفضله وذهبنا تلك الخطرة يوم الجمعة لزيارة ضرايح السادة القادرية وتملينا بمشاهدة سواطع أنوارهم البهية والتمسنا من مددهم الظاهر الساري سره من حضرة عبد القادر وقد شاع بين الناس ذلك اليوم حضور حضرة الأستاذ في تلك الزاوية فلم يبق أحد الأطمع في الحضور لمشاهدة تلك الطلعة الباهية فافتتح الذكر في ذلك المقام وحصل للحاضرين وجد وهيام فأكب الناس على الأستاذ عقب الذكر يلثمون راحاته ولتمسون من مدده وبركاته فلحقنا مشقة شديدة من الزحام وغص المكان حتى لم يمكن حينئذ الخروج إلا بطريق المدافعة والإيلام فخرجنا على هذه الكيفية ووقينا الله شر تلك الأذية وكذا في الخطرة الأولية زرنا العالم النحرير و الولي الكبير الشيخ علوان بن عطية إمام الزهد والورع الذي بين العلم والعمل جمع فدخلنا لمدفنه الزاهر وشاهدنا سنا نوره الظاهر وقرأنا ما تيسر لضريحه وضرايح أولاده وحصلنا على بركاته وإمداده ودعانا في تلك الخطرة من أعلا تعالى قدره نخبة الأشراف ونتيجة آل عبد مناف ذو الفضل النميري السيد الشيخ حسن الحرير فذهبنا لدعوته ودخلنا دار ضيافته وزرنا علامة دهره في سائر العلوم و وحيد عصره في المنشور والمنظوم من قاموس البلاغة لمعة من إشراق بدره وصحاح الجوهري نقطة من فيوضات بحره صاحب الخوارق والكرامات الحريري على ما قيل ناسج أبريسم برد المقامات فتشرفنا تلك الرحاب والتمسنا بركات ذلك الجناب فقرأنا الفاتحة له ولذريته الكرام ودعونا الله تعالى بحصول المرام واتفق أن يوم الدعوة كان ذكره مقاما في زاويته وتلك الزاوية ملاصقة لمحل سكناه وإقامته فاجتمع الخاص والعام وغصت الزاوية بمن حضر من الازدحام ودقت الخليليات والطبول والمزاهر وانتظمت حلقة الذاكر الباهر فنزل الأستاذ للحلقة في الحال وتزايد الوجد على أرباب الأحوال ثم قرأت الفاتحة وازدحم الناس على الأستاذ للمصافحة فحذر أن يناله من الناس مشقة و إتعاب أخرجناه بالجهد والغلبة لمحل وأغلقنا عليه الباب إلى أن مدت المائدة وحبانا الله بره وعوائده فخرجنا من المكان في الحال فوجدنا الناس على طبقاتهم من ولدان ونساء ورجال قد وقفوا في الطريق وتواردوا على الأستاذ فريق بعد فريق فحصل للأستاذ ومن معه مشقة فتعطف علينا بعض أهل الشفقة فاستعان

على خلاصنا ببعض الجند فصرفوا الناس عن الطريق بالزور والطرد إلى أن وصلنا إلى محلنا الشريف وجلسنا في ذلك الكشك نتملى بمشاهدة محيا أبي شريف ولطالما جلسنا في هذا المحل الذي نفحه عابق وتشرفنا بمطالع بدره في القدوم السابق وبتنا هاتيك الليالي المبدرة في المصيف الباهي وانتشقنا شذا عرف تلك الرياحين والورد الزاهي وسرحنا النواظر في بريق ماء ذلك العاصي المحبوب الذي تجريده وأصوات نواعيره آخذ بمجامع القلوب وكثيرا ص ما دخلنا قصر بن عم الأفندي ذي المجد والفخار الذي تحار في بنائه الأفكار ثم أنا لم نزل قديما وحديثا نسمع بذكر قاعة الأسد الضرغام ونستكشف أخبارها من الخاص والعام فتشوقت النفس الطماعة لمشاهدة تلك القاعة ولم يكن التجاسر عليه بإبداء واقعة الحال لديه مع أنه لسماحة نفسه وكمال لطفه و أنسه يسمح برؤيتها للقاصي والداني ويشفي أوام من لمشاهدتها يكابد ويعاني فكاشفنا الأستاذ الأفخم بتلك القضية وطلب الصعود إليها لنبلغ بوسيلته الأمنية فتوجه أمامنا شقيقه الأكرم وأدخلنا إلى دائرة الحرم ثم شاهدنا تلك القاعة العديمة المثال التي لم يبن مثلها على ذلك المنوال فجدير أن تشد الرحال إليها وأن يقصر نظر الناظر عليها فإنها عالية البناء واسعة الرحبة واسعة الرحبة والفنا موشحة بالبخارة الهندية محلات بأنواع التجاسيم الفاخرة الذهبية مبسوطة بالحجر المرمر اللامع وفي وسطها بركة ذات منافذ منها الماء نابع فنزهنا الطرف في حسنها وحلاها وشفينا الغليل بمشاهدة سناها وفي تلك المرة دعانا عليّ الجناب والشأن إلى حمام مستضافة للسلطان فذهبنا مع ذلك الهمام إلى لطيف تلك الحمام فإذا هي نضرة زاهية مضيئة باهية مفروغة في قالب اللطافة مجملة بالنضارة والنظافة فاغتسلنا من ذلك الماء الذلال وخرجنا إلى البيت البراني بالإعزاز والإجلال فشربنا القهوة والسكر المذاب المبرد بالثلج واستعملنا ماء الورد والعود الذي أرجه قد عج وثاني يوم من تلك الخطرة دعانا محمد أفندي المحترم للاغتسال في الحمام التي تلي الحرم فوجدناها في غاية اللطافة وكمال الحسن والظرافة واستعملنا ماء الورد المكرر وتناولنا كؤوس السكر المقطر ثم دعانا في يوم آخر لحمام الدرويشية التي لا نظير لها في الديار الحلبية والديار الشامية فإنها في غاية السعة والكلافة وحسن البناء والإضاءة والنظافة وفي البيت الثاني بركة ماء لطيفة وأجران من الحجر المرمر ظريفة وأما البيت الثالث فإنه مستوفٍ للشروط والأحكام مؤسس على قواعد الحكماء بالإحكام ولقد ضبطنا أجرانها فبلغت اثنين وعشرين جرناً كلها من الرخام المرمر الزاهي جرما ولونا واجتمعنا في تلك الحمام بنخبة الفضلاء الخل الأمجد ابن المفتي الشيخ محمد فجرى بيننا وبينه مطارحة أدبية ومذاكرة علمية ثم خرجنا من الحمام

وعدنا لمحلنا الشريف بسلام واجتمعنا أيضاً بعمدة العلماء وزبدة الأتقياء والصلحاء الشيخ محمد الشهير بابن الأفندي ذي السمت الحسن والمنطق العذب القندي فجرى بيننا وبينه أبحاث علمية ومذاكرة فقيه فوجدناه عالماً عاملاً بعلمه يستخرج درر المسائل من زاخر زكائه وفهم ودعانا تلك الخطرة ابن العم الغالي السيد الحاج خليل ابن السيد إبراهيم الكيالي فوصلنا رحمه بالزيارة وعدنا من مكانه بالخفارة ودعانا افتخار الأماجد و الأمراء سليل الأكابر والوزراء سليم بيك مسلم حماة ذلك الوقت السعيد بعد تشرفه بلثم راحات الأستاذ ذي المقام المجيد فذهبنا لشريف مكانه فتلقانا بوجهه البشوش وصفاء جنانه وقد أهدى للأستاذ هدية سنية ثم أروفها بعد بمركوب ولدى الوداع بخرجيه وكان قد شرف الوزير الوقور والجناب الدستور حضرة الحاج عبد الله باشا عظم زاده نوله الله من العز والخير مراده للسلام على الأستاذ و ألثم راحاته والتملي بأنور طلعته ومشاهدة ذاته فأمرنا حضرة الأستاذ أن نزوره في معيته فذهبنا لشريف مقامه وتشرفنا بسعادته وجاء تلك الساعة لتقبيل راحة الأستاذ رئيس الدالاتية الحاج إسماعيل أغا الملي واستدعى من حضرة الوزير مشافها له بقوله أدع الأستاذ لمحلي فعرض له بواقعة الحال فلم يلق لمقوله بال ثم ذهب الأغا المذكور و وضعت مائدة الفطور فأكلنا مع جنابه الخطير ثم بادرنا



الصورة ٥٥–الجامع الكبير في حماة – تصوير اوبنهايم ١٩١٣م

بالمسير وعدنا لمحلنا النفيس وجلسنا مع خير جليس وذهبنا لحمام الأسعدية والعثمانية في يومين على التوالي فحصل لنا فيهما النشاط والعيش الحالي وذهبنا بعد ذلك للجامع الكبير ذي الروحانية والوضاءة التي ليس لها نظير فصلينا فيه تحية المسجد ودعوناه تعالى أن يكون لنا

المسعف والمنجد واجتمعنا مرة أخرى بابن الأفندي ذي المقام السامي فأدخلنا لمدرسته وأكرمنا بالخوخ و التوت الشامي و مررنا في طريق الجامع على مسجد فيه سنا الأنوار ساطع فسألنا عنه بعض المجاورين فأخبرنا أن فيه مقام أحد النبيين ومدفن ولي من المقربين فزرناهما والتمسنا من بركاتهما وذهبنا لجامع يوسف باشا الذي بناه في أيام دولته فرأيناه في غاية الإتقان مع بديع نضارته ثم توجهنا لجامع النوري العجيب وعظيم الضياء واللطافة كثير المياه فإنها تجري من أسفله وأعلاه وفي تلك المرة التي خطرنا فيها حماة وتدرعنا بحصن حضرة عليّ الجناب وحِماه تواعدنا معه ليلة المحيا على الذهاب إلى جامعه الذي أوجد له وأحيا فذهبنا إلى ذلك الجامع الباهي وشاهدنا ذلك البناء الزاهي وجلسنا مع سعادته في مقصورة سنية وجرى بيننا وبينه مطارحات أدبية فقادنا قائد التوفيق إلى ذكر أحوال أهل الطريق فسئلنا صائب الرأي وثاقب الفكر عن المانع لنا من نشر بساط الطريق بالذكر فأجبناه بأنه ولله الحمد سندنا في الطريق إلى الرفاعي ممدود ومتصل وكذا بالنقشبندي والخلوتي وغيرهما على يد الأستاذ وغيره مشدود غير منفصم ولا منفصل إلا على أني حاذٍ حذو والدي المرحوم فإنه كان يذكر في سره ويشتغل بأقراء العلوم مع اعترافي بالقصور عن مقام الإرشاد وانحطاط مرتبتي في بياني للسالك معرفة المريد والمراد وكذا جهلي بمعرفة آداب الطريق وأركانه وآداب المريد مع شيخه وأخوانه ومن كان بهذه المثابة لا يصلح للجلوس على بساط الطريق حتى يفتح عليه ويذوق طعم التوفيق وحلاوة التحقيق فأغضى عن هذا المقال وأجاب مسرعاً في الحال أن ما لا يدرك كله لا يترك كله والأمور بمقاصدها تنال بركات فوائدها وعوائدها ومن المعلوم أن شرف أبناء الطريق بلزومه والعمل بمقتضاه حسب الإمكان في خصوصه وعمومه فألزمنا بفتح بساط الطريق ونشره وحثنا على جمع الخلق على طاعة الله وذكره فلم يسعنا حينئذ التخلف وجانبنا وقتئذٍ طريق التعسف فأجبناه لما أراد مستمدين منه الإمداد ثم إني استشعرت من سعادته الميل لأخذ العهد والطريق عليه والحال أن القلب والجوارح منذ زمان متشوقة لذلك ومائلة إليه فعرضنا عليه القضية في الحال فأجاب إلى ذلك بمجرد المقال فتلقينا منه العهد الوثيق ولبسنا من يده الشريفة خرقة الطريق كما لبسها من يد شيخه و والده ذي المحيا النوراني السيد الشيخ عمر أفندي الكيلاني وهو لبسها من شيخه صاحب الوجه الحسن جناب الشيخ حسن وهو لبسها من يد شيخه ذي الفضل المبين حضرة السيد الشيخ ياسين وهو لبسها من يد ذي السر الجلي حضرة السيد الشيخ علي وهو لبسها من صاحب الخلق الكريم حضرة الشيخ إبراهيم وهو لبسها من ذي الوجه البراق جناب السيد الشيخ

عبد الرزاق وهو لبسها من ذي الغرم المتميز جناب الشيخ شرف الدين وهو لبسها من صاحب المقام المكين جناب الشيخ جلال الدين وهو لبسها من صاحب المدد الشيخ شهاب الدين أحمد وهو لبسها من الصالح الأواه حضرة الشيخ عبد الله وهو لبسها عن الثامل من كؤوس الصفا جناب الشيخ شمس الدين إلى الوفا وهو لبسها عن الإمام الأمجد حضرة الشيخ شهاب الدين أحمد وهو لبسها من القانت القائم حضرة الشيخ قاسم وهو لبسها ممن بالمحاسن والكمالات حائط حضرة الشيخ عبد الباسط وهو لبسها ممن هو للفضائل نبراس الشيخ شهاب الدين أبي العباس وهو لبسها من شيخه الذي بحب مولاه أفتتن الشيخ بدر الدين الحسن وهو لبسها من شيخ المريدين حضرة الشيخ علاء الدين وهو لبسها من بديع المحيا حضرة الشيخ شرف الدين يحيى وهو لبسها من ذي المقام الأوحد الشيخ شهاب الدين أحمد وهو لبسها من العبد الصالح الشيخ نصر أبي صالح وهو لبسها من حضرة الممدود بمد الباري الخلاق حضرة السيد الشيخ عبد الرزاق وهو لبسها من يد والده القطب الرباني والعارف الصمداني صاحب الإشارات والمعاني سيدي ومولاي محي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله تعالى سره وأعلا في الملأ الاعلى ذكره وهو لبسها من شيخ الإسلام الولي الإمام أبو الحسن علي وهو لبسها من يد ذي السر السادي الشيخ أبي الحسن الهكاري وهو لبسها من يد من رؤياه تطفي وهج المهج الطرطوسي الشيخ أبو الفرج وهو لبسها من يد من ناداه لسان الحال شب لي حضرة الشيخ أبي بكر الشبلي وهو لبسها من يد ذي الفضل والأيادي شيخ الطائفة الجنيد البغدادي وهو لبسها من يد القطب الولي ذي التمكين جناب السقطي الشيخ سري الدين وهو لبسها من يد هو بالولاية معروف حضرة سيدنا الكرخي الشيخ معروف وهو لبسها من ذي النور الآلاء حضرة الشيخ داوود الطائي وهو لبسها من شيخه الذي كل من احتمى به حمي حضرة الشيخ حبيب العجمي وهو لبسها من يد شيخه التابعي الكبير سيدنا الشيخ حسن البصري الشهير وهو لبسها من يد الليث الغالب سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وعن كل الصحابة والتابعين والأزواج والأهل والقرابة وهو لبسها من يد ابن عمه سيد الأنام ومصباح الظلام نقطة الوجود ومراءة الشهود سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وبارك وعظم وكرم وهو لبسها من السيد جبريل عليه السلام وهو لبسها من حضرة رب العزة الملك القدوس السلام جل جلاله وعم فضله ونواله وقد حرر لنا إجازة سنية وأرسلها مع خاص خواص حضرته العلية وفي ثاني يوم من دخولنا يوم السبت في الخطرة الثانية أتى لتقبيل أيدي الأستاذ مسلم حماة الحاج محمد بيك عظم زاده ذو الكمالات السامية

فدخل لشريف ذلك النادي وحظي بلثم هاتيك الأيادي وبعد ذهاب المذكور والفراغ من تناول الفطور صعدنا لدى عبد الله أفندي وأخيه نيري فلك المجد والإمارة بقصد التسلية بهما والزيارة فسررنا بمرآهما ومتعنا النواظر في محاسن حلاهما وارتوينا من زلال محادثتهما ورطبنا القلوب بمفاكهتهما ثم نزلنا لمأوانا المعمور وبتنا تلك الليلة في أكمل سرور إلى أن طلع فجر يوم الأحد التاسع عشر جمادى الأول الميمون دعانا فيه أيضاً حضرة مفتي أفندي ذي السر المصون فقبل الذهاب لشريف المقام ذهب بنا لحمام الباشا البديعة النظام ثم خرجنا منها لزيارة المسلم الثاني حميد الشيم كامل المعاني فلاقي لحضرة الأستاذ إلى الباب وأصعدنا إلى فسيح ذلك الرحاب وبعد أن شربنا القهوة المبخرة خرجنا إلى دار مفتي أفندي المنورة فصعدنا إلى الطبقة العالية التي هي على ثلاثة قصور حاوية فجلسنا في القصر الذي فيه كأس المرمر البديع التركيب فإنه ذو طبقات ثلاثة في الشكل غريب دائرها ينابيع من جنس ذلك الحجر ينفذ منها الماء لتعليل المزاج وتنزيه النظر فحصل لنا برؤيته الانشراح وتقشعت الأكدار والأتراح لاسيما بسماع أصوات المطربين والأغاني الحسنة البديعة التلحين فتسامرنا عنده في ذلك اليوم إلى ثلث الليل فمالت النفوس حينئذ إلى الرقاد أي ميل فخرجنا من مكانه اللطيف وأتينا إلى المنزل الشريف وبتنا تلك الليلة في حبور وفزنا بالحظ الموفور إلى أن أشرف صبح يوم الاثنين العشرين من جمادى الأول السعيد صلينا الفريضة وابتهلنا بالدعاء إلى الولي الحميد وقد كنا ذلك اليوم مدعوين عن الكامل الأديب والبارع الأريب جامع شتات المفاخر بضعة سيدنا محي الدين عبد القادر جناب أمين أفندي المتقدم ذكره الفايح نشره والمشرق بدره فذهبنا لمكانه في أبهج الساعات فأحضر بمجرد الدخول أبناء الفن وأنواع الآلات فاستقمنا على تلك الحال لمغيب الشمس وقد حصل من لذايذ الأطعمة كفاية النفس فخرجنا من محله مسرورين وبتنا بإيراد الهناء آمنين إلى أن أدبر الليل بظلامه وأقبل الصبح بإشاراته وأعلامه وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء الحادي والعشرون من جمادى الأول عزمنا فيه على السفر فلم يأذن المولى بأن نسافر ونتحول فدعانا إلى الفطور من هو في حماة إذ ذاك ناوي قرينا السيد الشيخ عثمان الكلاوي فذهبنا لبيته صحبة الأستاذ فأكلنا عنده ما تيسر من الطعام والزاد فحصل له بذلك جبر الخاطر ثم عدنا إلى المحل الباهر فأقبلت السماء بماء منهمر وفجرت الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فازداد نهر العاصي وطغى وتجاوز الحد المحدود له وبغى فأبطل حركة النواعير والطواحين وطغا على الجناين والبساتين حتى تسلق على جدار سراية الحكم ولم يبال بالجنود والعساكر التي هي في محل

الظلم ثم برزت له المأمورية بمروره على الجسر المقابل للناعورة المأمورية فقطع الطريق وحل بالناس كرب وضيق حتى كاد أن يزيل الغصة وينتهز الفرصة بالارتفاع إلى دخول ذلك الحرم الحرام ليتشرف بلثم ترب بني عبد القادر ومواطي الأقدام لكن مهابة المكان أمسكته وصولة السكان أخمدته واستمر على هذا الحال ثلاثة أيام مع ليال ثم اتضع بعد ما كان ارتفع وتذلل لعظمة الجبار وخضع ولقد أخبرنا شيخنا علي القدر والشأن أنه في بعض السنين دخل حماهم ساعة من الزمان واستفاض هذا القول في ألسنة القوم فعدمنا تلك الليالي الكرى خشية أن يصادف حال النوم وقد كان نهاية الزيارة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الأول المؤذن بصرف البلاء ولم نخرج فيه ولا فيما قبله لمحل حذراً لبلل بالمطر والتلويث بالوحل فلما أصبح صباح يوم الخميس حصل فيه للناس فرح وتنفيس وكنا ذلك اليوم في دعوة مسلم حماة فذهبنا لمحله وتمتعنا برؤياه فأجلسنا في قاعة نفيسة تطل على العاصي وعلى البساتين وارتفعت فيها أصوات المغنيين بلطيف الإنشاد والتلاحين إلى أن مدت المائدة المعتبرة الحاوية على أنواع من الأطعمة المفتخرة فأكلنا على حسب الكفاية وعدنا لمحل الصيانة والحماية فأهدى إلى الأستاذ الأكرم هدية فاخرة وظهر له منه بالعزل إشارة ظاهرة وبتنا تلك الليلة عازمين على السفر إلى أن كشفت براقع الصباح عن وجهه الأسفر وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الرابع والعشرين من جمادى الأول الذي غيومه متقشعة فاتفق الرأي على المسير ضحوة النهار فدعانا للفطور فيه المفتي الكيلاني ذو المجد والفخار فذهبنا صحبة الأستاذ لداره واجتلينا من أشعة أنواره فأكلنا ما أحضر لنا من الزاد وكفانا الله تعالى من فضله وزاد وعدنا لشريف المقام وودعنا الأغرة والسادات الكرام فمنهم من خرج إلى الباب ومنهم من اقتعد معنا ظهور الدواب فكان ممن صحبنا شمس العلم الشعشاع وقمر الفضل المنير في سماء الإرشاد بسعة الإطلاع محمد أفندي المفتي نخبة الكيلاني وصحبه جماعة من التلامذة والخلان فلم نزل لسيرهم مزاعي حتى وصلنا إلى محل يقال له الرفاعي فنزلنا جملة للراحة والوداع وكان ذلك آخر العهد بالاجتماع ..))

مغادرتهم حماة:

فركبنا متون الخيل وجددنا في المسير لئلا يدركنا الليل إلى أن وصلنا قرية اللطافة والنفوس من مشقة السير(طامنة)(اللطامنة اليوم–المحقق)فخرج شيخ القرية بالجماعة عن القرية غاوة سهم

فتلقون بالبشر والبشاشة ولثموا أذيال ذلك الشهم فمشوا أمامنا لمحل النزول و واجهونا من القرى بغاية المأمول وبتنا عندهم تلك الليلة إلى أن ملأ كل منا من النوم كيله..))

وصولهم إلى خان شيخون:

فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وكان ذلك اليوم يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأول الميمون صلينا فريضة الصبح واقتعدنا من الدواب المتون وسرنا في أشواق إلى الوطن وشجون إلى أن وصلنا إلى (خان شيخون)وقبل أن نصل إلى الخان ظهر لنا سنا مقام صاحب البرهان حضرة الشيخ أحمد القطب الشهير بالصياد فعزمنا على الوصول إليه فلم يمكن مخافة الطريق من القطاع والقصاد وهو على تل مرتفع ونوره ساطع متشعشع فقرأنا ونحن على ظهور الخيل ما تيسر من القرآن وأهدينا ثوابه لصاحب ذلك المقام المملوء بالبرهان وتوسلنا به إلى المريد الفعال أن يكفينا شر الأشرار في جميع الشؤون والأحوال وقد كنا في زيارة حماة الأولى خطرنا الخان المذكور وبتنا فيه ليلة عند سليمان بك عظم زاده المشهور فتلقانا بصدره الرحيب في ذلك الآن وأخذ بزمام دابة الأستاذ يقودها على يده إلى أن أدخله للخان فرفعنا مكاناً عليا وأهدى للأستاذ مهراً نجدياً وزرنا في ذلك المرور الولي الكبير السيد الشيخ يوسف الكيالي أبا شيبة النور وفي الخطرة الثانية لم يتأتى معنا النزول لما فيه من المخاوف بغارات الخيول ولقد



الصورة٥٦- مبنى الخان المملوكي في خان شيخون-الرسم عام١٨٨٩م

حل بأهله الضعف والوهن ونزل بهم الخوف وقلة الأمن فخيولهم سارحة ونفوسهم بالأكدار طافحة فمررنا عليه من خارج وجاوزناه ونزلنا للراحة والفطور على بئر ماء في قناة ثم ركبنا في ذلك الأوان ونحن في غاية الخوف من العربان لكن لله الحمد ببركة حضرة الأستاذ المأنوس لم نشاهد في جميع الطريق ما يزعج النفوس إلى أن وصلنا مدينة المعرة من غير ماشين ولا معره فخرج لملتقانا نخبة السادات الأكابر ابن العم الأكرم الشيخ عبد القادر وكذا من هو بالكمالات معروف ابن العم المحترم السيد الشيخ عبد الرؤوف فنزلنا في مكان ابن العم وزال عنا الهم والغم وقد سبق منا في الخطرة الأولى لزيارة حماة بقصد علي الشأن ..))



الصورة٥٧- معرة النعمان-صورة قديمة

بقاؤهم في معرة النعمان:

أن أقمنا ستة أيام في بلدة(معرة النعمان) وقد من الله علينا بزيارة السادات أهل المحيا الذين هم في قبورهم أحيا وهم في مدفنين في ساحة واسعة فقرأنا لهم الفاتحة والتمسنا من أنوارهم الساطعة وعن يمين الداخل إلى تلك الساحة حوش صغير سماوي وفيه جدث لم يدانيه قبر ولا له مساوي فعلى ما اشتهر عند أهل تلك البلدة من الخاص والعام أنه جدث سيدنا شيث عليه الصلاة والسلام فدخلنا بسكينة و وقار و وقفنا بذلة وانكسار وشاهدنا تلك الأنوار الطافحة ثم قرأنا لحضرته الشريفة الفاتحة ثم خرجنا من مقام هذا الطود الراسي وشربنا من الماء الفرات المنسوب

للآسي وكذا في تلك الخطرة ذهبنا لزيارة وسيع الرحاب والحضرة أحد الأنبياء والرسل الكرام سيدنا يوشع عليه الصلاة والسلام ومرقده الشريف في مسجد لطيف وهو على مده في مقصورة منفردة فدخلنا تلك البقعة المنورة وتملينا بمشاهدة أنوار حضرته المطهرة ووقفنا بالذلة والخضوع والحضور مع الخشوع وقرأنا الفاتحة إلى ذلك الجناب وتوسلنا به في نيل المرام إلى رب الأرباب ثم خرجنا خارج البلدة لزيارة رأس الزهاد العارفين وخاص خواص السادة العباد التابعين من حبه شعاري وسنتي سيدنا أويس القرني فدخلنا لمقامه السني المفرد والتمسنا من حضرته المدد وقرأنا ما تيسر من القرآن مستشفعين به في الموت على الإيمان ثم خرجنا من مقامه وأعطينا ما قسمه المولى لخدامه فمررنا في الطريق على مدفن من رقا علا الإمام الجليل والفاضل النبيل أبي العلا فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى بالدعوات الصالحة وذهبنا لزيارة ذي الأمناح و الأعطا الولي الشهير عند أهل البلدة بالشيخ عطا ولعله الصحابي الكبير ذو النور الوضاح سيدنا ومولانا عطاء بن رباح ثم ذهبنا للجامع الكبير ذي الرحبة الواسعة والحرم الباهي النفير فشاهدنا منارته محكمة البنيان عالية الأركان تفوق في الزخارف والصناعة الهندسية منارة مدينة حلب المحمية ورأينا فيه بركة ماء من بئر معين ممدودة وكذا فيه بئر من جمع ماء المطر شهير بالصفاء والبرودة وقد ذهبنا للزاوية الكيالية لزيارة جدثي صاحبي الأنوار المضية أحدعما الشيخ الجليل صاحب السر الظاهر ابن العم الشيخ إسماعيل والد الشيخ عبد القادر والثاني هو أخو حضرة الأستاذ والسيد السند الملاذ نخبة الأولياء الأمجاد الممنوح بالإسعاد والإمداد درة صدفة الأفراد السيد الشيخ أحمد بن حضرة السيد الشيخ عبد الجواد فدخلنا في معية الأستاذ لمدفنهما وقرأنا



الصورة٥٨-مسجد يوشع في معرة النعمان

الصورة٥٩-مسجد عطا في معرة النعمان-الصورة عام١٩١٣م-عن اوبنهايم

لهما الفاتحة الشريفة راغبين في بركاتهما المنيفة وفي تلك الخطرة المذكورة دعانا لضيافته ذو المآثر المشهورة أمير الأمراء سليل الوزراء مسلم ذلك الآن السيد حسين بك عظم زاده جليل الشأن وكذا حميد الأخلاق والأوصاف بطال أفندي النقيب على الأشراف وكذا أسد العرين وليث الوغا ابن آغت كفرومة باش أغا(كفر روما غرب معرة النعمان-المحقق) وكذا الصديق المحب ذو اللطف والإيناس مصطفى أغا التركماني أخو عباس وأما في هذه الخطرة الثانية لكثرة الملاقين وحصول المشقة والكلفة للداعين رددنا دعوات متعددة ولم نمكث في المعرة إلا ليلة واحدة فلما أصبح صبح يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الأول صلينا الفريضة وهيئنا الدواب للركوب قاصدين إلى جهة الوطن نتحول فعلونا ظهور الدواب وسرنا في جملة الملاقين من اللائذين والاحباب ولم نزل سائرين إلى أن أقبلنا على(قرية منطف) فكان شيخها لنا بالفطور مسعف بعد أن خرج لملتقانا بأخوانه واستدعى دخولنا لمكانه فاعتذرنا خشية الإطالة وحذراً من السآمة والملالة فاتفقنا أن ننزل على السبيل وأن يخرج لنا ما تيسر من الزاد إلى محل المقيل فأخرج لنا ما حصلت به كفاية الحاضرين وبادرنا بالركوب و ودعناه ومن معه..))

عودتهم إلى ادلب:

وسرنا حامدين شاكرين فمن ذلك الحين بدا ركب الملاقين فحثثنا السير بالجد والاجتهاد شرقا للقيا الأهل والأولاد وكلما كثر السوق تزايد الشوق كما قال ذو القال :

وأعظم ما يكون الشوق يوماً ** إذا دنت الخيام من الخيام

فما مضى ساعة من الزمان إلا وأقبلت علينا أفواج الأحبة والخلان ولم نزل على هذا السنن إلى أن أشرفنا على الوطن ولمت في الخواطر لوامع السكان وأقبل السواد الاعظم من الرجال والنساء والولدان وعلى مقدمتهم العلماء والأكابر أهل المحامد والمحاسن والمفاخر ثم أقبلت النوبات والأعلام وحصل الوجد والهيام والتقي الجمع بالجمع وصار الكلام بالمشافهة للسمع وتصافحت الأرواح وتعانقت الأشباح ثم دخلنا في معية الأستاذ من باب البلد ممدودين من الله تعالى بنظم المدد وصحبنا أولو العرفان والألباب وأهل الكمال والآداب إلى أن دخلنا دار المقام بأمان وسلام واجتمع شملنا بالأهل والعيال وصفى برؤيتهم الخاطر والباب وقرت العين بالعين وقر البين من البين ونلنا المقاصد والأماني وجاءتنا رسائل التهاني فممن سلم على الأستاذ الأكرم بقصيدة بديعة

النظم في حسنها فريدة الأخ الفاضل والعالم الكامل البدر الغالي والكوكب المتلألىئ ولد القلب السيد الشيخ الحاج محمد الغزالي وكذا ممن سلم أيضاً بقصيدة زها نورها وأشرق في أفق الفضل نورها السيد الفاضل الأديب والكامل الحسيب النسيب ابن العم الراقي ذري المعالي السيد الشيخ محمد أبو النور الكيالي ولقد أحببت أن أضمخ ختم هذه الرحلة بشذا عرف مسكها وأقلد جيدها ببديع جواهر عقدها وهذه فريدة عقد الغزالي التي نظمها وبنت فكرة التي من مخدرات قريحته استخرجها :

ضحك الوجود وقد غدا مبتسما ** وأزاح غيم البعد غيث قدهما

وبدا السرور فأصبحت أوقاته ** بعد الظلام تخال حقاً أنجما

وغدا لسان الحال ينطق معلنا ** أهلاً بروح الأنس من أهل الحما

ضاء الزمان بقربهم فلطالما ** حكم البعاد وجيش صبري أهزما

عذبتم قلب المحب ببعدكم ** فابعد فقد الدمع يبكي العندما

فدواءه لقياكم في ربعكم ** بمسرة تجلو عن القلب الظما

يا جيرة ملكوا القلوب بحبهم ** وغدوا كفجر ضاء في أفق السَّما

فبهديهم يهدى الأنامَ لأنهم ** طرق الهدى قد فاز من قديما

فلحانهم بادروا كن مستصرخا ** كيالهم تلقاه ليثاً قشعما

فمدير خمرة حانهم أستاذهم ** قطب الوجود غدا طرازا معلما

فلذكره تبدي الرجال مهابة ** وبعرفه حبل العداة تصرَّما

وغدت له الأكوان طموع يمينه ** وبها غدا فرد فزره لتغنما

فلعترة منه الصيانة دائما ** ولمِنُتّمٍ فله الرعاية والحما

ولقد حبا لمحمد نجلافة ** ونقابة عمر الشجاعة الضيغما

فهما كنجم قد أضاء لشارد ** وهما كعقد قد تسوَّر معصما

فحمد النحرير والبحر الذي ** جعل الطريقة والحقيقة مغنما

وبجمعه النوعين زاد مهابة ** وغدا يفيد الطالبين تكرما

ولقد رقى أوج المعالي رفعة ** عمر الهمام فجود كفيه نسما

فتراه غوثا للهيف ومنجدا ** وتراه غيثا قدهما و انسجما

فهما بإسماعيل طين شجية ** فجزاهم عبق الوجود وعمما

تبكي دمشق لفقدهم بتأسف ** ولحمص غاضت ماءها وكذا حما

وكذا البقية قد تعاظم وجدها ** لفراقهم وغصت كطين أبكما

وديارهم كجنان خلد أصبحت ** وبها غدا شمل الأحبة منظما

فلطالما أشتاق طيف خيالكم ** لوفى الكرى حتى أشاهد أنجما

فلك الهنا يا قلب أبشر هذه ** أعلامهم فأطرب وصِحْ مترنما

فلمرحبا بقدومكم حل الهدى ** فمن أنتما لجنابكم فلقد سما

ولقد أقول مؤرخاً يبدوا لنا ** بقدومكم نلنا الهناء وخيَّما سنة ١٢٣٢

وهذه الفريدة الثانية تؤمها بنت فكر ثاقبها وناظمها ابن العم (يقصد أبو النور الكيالي) المتقدم ذكره الذي فاح عبيره ونشره :

تاق النسم إلى الربا متنسما ** والصبح وافا بالهنا فتبسما

قم يا نديمي بالسرور إلى المنا ** وأدر من الصهباء ما يروي الظما

في روضة قد فتحت أزهارها ** والطير قام على الغصون ورنما

عبث النسيم بها ففاح عبيرها ** والزهر كلله الندا فتمما

يا حسنها من روضة قد أينعت ** وهزارها غنا وزاد ترنما

فرحاً بمقدم سيدٍ ذي همة ** معلومة وبكل فضل قد سما

أعنيه إسماعيل مولانا الذي ** هو قطب هذا الوقت والحامي الحما

شمس الحقيقة والطريقة مرشد ** للسالكين ومن إليه قد انتما

وله الكرامات التي قد شوهدت ** ولم تخف إلا عن أصم وذي عما

فمريده يلقى النجاة بنظرة ** منه مع التوفيق أني يمما

هو كنز أسرار ومجلى حضرة ال ** إمداد منه الفضل أصبح مغنما

طوبى لمن منه يفوز بلمحةٍ ** وبنفحةٍ منها العبيرُ تنسَّما

وبنظرةٍ وبهمةٍ علوية ** يغدو بها في العالمين مكرما

وعلى الخصوص العالم النحرير وال ** فرد الشهير فبالمحاسن تمما

الأكرم ابن الأكرم ابن الأكرم ** المفضال من أضحى طراز معلما

فرد الكمال محمد الكيال من ** هو بالخلافة منه فاز تكرما

فلقد حوى شرفاً على شرف لذا ** تلقاه بدراً بالكمال متمما

وأقامه أعلا المقام ففاز في ** نيل المرام وبالمنايح أكرما

واختاره في السر خير مصاحب ** ليعود بالإمداد منه منعما

فنما بذاك السير كوكبه وهل ** ينمو بدون سرّيه بدر السما

ولقربه ولفضله ولأنسه ** عمن سواه بالخلافة قدما

ولقد حبا بنقابة عُمُر الذَي ** أضحى على أهل الكمال مقدما

صافي السريرة درة في عقد أهلِ ** المجد شهم ذو نوال قدهما

قالت له رتب المعالي مرحبا ** لما غدا أعلا الذري متسنما

هذا لعمري الفوز والفخر الذي ** ركب السعادة في حماه خيما

بشراً كما يا فرقدي صبح الهدى ** فالفضل يروي في البرية عنكما

وسواجع الأرواح بالأفراح قد ** غنت وشادي الحي قام مرنما

يا جيرة سكنوا الفؤاد وسادة ** بذلوا الوداد لمن يروم الأنتما

منا القلوب تباشرت وعيوننا ** قرت وقد نلنا السرور الأعظما

لقدومكم بعد الغياب فيا له ** يوماً به أضحى السرور مخيما

حزنت لفرقتكم دمشق وأصبحت ** تبكي وحمص بعدها وكذا حما

ويادلب الأفراح أسفر صبحها ** ولسان أهل المدح عاد مترجما

وهواتف البشرى تنادي أرخوا ** أن السرور لقد بدا متبسما

لا زلتم أبد الزمان بنعمة ** تترى دواما ما الآله تكرما

بفضائل الهادي الشفيع المرتجي ** صلى عليه ذو الجلال وسلما

وكذا أمتدحه الفاضل الأديب والبارع البنية الأريب من للأكارم منتمي السيد الحاج علي الخاتمي مسلماً على سعادته بعقده الفريد ومهنئا له وللائذين بدره النضيد ولقد أثبتناها في هذه الرحلة لئلا نبخس نبله وفضله وهي هذه :

صاحت بلابل أشواقي وأشجاني ** أهلا بأكمل أسياد وأعياني

أيا ندامای طاب الوقت وانبسطت ** أيدي السرور وساقي القوم حياني

وقادم البشر وافى بالحبور كما ** تهلل الروض وجها بعد هتاني

والزهرا بدى ثغور الزهر باسمةً ** وما يئس الغصن يحكي عطف نشواني

كأنه عاشق وافى الحبيب وقد ** رام اعتناقا فوافاه عذولاني

ومحدقات عيون النور شاخصة ** من شاهديها بفردوس ورضوان

لله ظل ظليل الدوح تلحظنا ** منه الغزالة لحظ الخائف الجاني

قامت به خطباء الطير ساجعة ** على منابر مخضلات أغصاني

يا طائر البان غرد زدتني شجنا ** بالله غرد وزدني طائر البان

أسعف أخي جوى الوفاء وأشد لنا ** لا يعلم الوجد غير المدنف الفاني

عيداً أعيذكما يا صاحبي على ** سمعي بحي الصفا أموات عيداني

ورجعاً طيب ألحان الصفا وعجا ** لحان أنسي وحثا كاس ندماني

وباكر أبي إذا اعتل النسيم لما ** يشفي غليلي وتبر يحيى وأحزاني

ما أومض البرق عن ثغر الحبيب روى ** أمن تذكر جيران وأخدان

فبلغن يا نسيم الصبح فرط جوي ** إلى الكرام الوجوه الصبح عن عاني

فيا سقى الله حي القوم سارية ** بحور جنات أنسن ذات أفنان

طوبى لمنتشق من طيبها أرجا ** وحبذا ينعها منه الجنى دان

تحملي يا صبا من عرف نافحها ** ما ضاع من عرف أنفاس وعرفان

إني ونشأته الفيحاء ناشئة ** عن فيض حكمة إلهام ببيان

تفجرت من فؤاد عامر بولا ** من يعلم الغيب ربٌ جل عن ثاني

حبا الولاية إسماعيل أشهده ** من حضرة القرب منه أرفع الشان

فهام بالوجد لما أن سما رتبا ** رفيعة الشان حطت هام كيوان

فكيف بصحو وفي فيه معتقة ** من يوم يوم بكأس ثم من حان

فالشمس تشرق من دل وتغرب في ** ثغر فمشرقها والغرب بحوان

أمسيت يا عارفاً بالله مغترفا ** من ذلك الدن فيض الفضل رياني

سفن النجاة ببحر الحب قائلة ** سبحان من من هوى الأهواء أنجاني

سقى الإله لإسماعيل من قدم ** يحبهم فأتاه الحب ربَّاني

به تألق برق الجمع فانقشعت ** غياهبٌ فرفتها أي قرآن

فهات حدث لنا عنه حديث جدا ** بحر الكرامات ما دام الجديدان

أما الرفاعي والكيال شمس هدىً ** وبدر فضل لإسماعيل جدَّان

صنو الرفاعي قد طابت محامده ** والفخر من سيد الكونين صنوان

غوثاه غوثاه كيالي من مدد ** الغوث والغيث منه يستمدان

من بحر جدوى رسول الله جدك من ** لولاه ما أشرق أنوار إيمان

أما الغزالة جاءته مسلمة ** وقد كساها سنى نبراس نوراني

أما بنوه شموس الفضل جاء بهم ** مدح الكتاب وحسبي مدح قرآن

حمداً لباري الورى أني الولوع بهم ** ولي بعلياهم تمداح حسان

لن نستطيع ثنا شاوي مكارمهم ** وركا قريحة جعدي وذبيان

شادت دعايم بيت المجد همته ** على قواعد تمكين بإمكان

مذ كان في مهده العلياء رتبته ** من العلوم تغذَا در البان

علومه من لدن مولاه واردة ** عليه إذ صدره والبحر سِيّان

إنسان عين الهدى نور الكمال هل ** شاهدت عيناً ترى إلا بإنسان

فكم مكارم أسدتمها مصافحة ** من عرف راح به روحي وريحان

وكلٌّ نادٍ به قد جاز حاز علا **	والخصب بشراه نادت جاء أباني
لذاك لما أرانا بدر طلعته **	أرخت هلا أباهي روض نيسان
على لله أيدي الفضل سابغة **	فكيف لله ومن الأستاذ أدناني
غرت لعمري مقامات الفخار به **	والله أيده تأييد رحمن
لبحر بر فسيح الرحب كهف حما **	غوث الملتجئ غيث لظمآن
وافت مليحة بنت الفكر جالية **	حلا عقود الثنا في سلك عقيان
غراء باهية حسناء حالية **	تهديك أثنية في كل أزمان
وللصلاة مع التسليم تالية **	على نسبي ختام الرسل عدنان
ما جاء بدء مديحي في محامده **	صاحت بلابل أشواقي وأشجاني

ثم إنه افتتحت أبواب العزائم والضيافات ودارت كؤوس الهنا والمسرات ووفدت المسلمون من كل جانب وأصبح الكدر عنا مجانب وبدلت الأتراح بالأفراح ودقت بشائر البسط في حانات شرب الراح وانجلت غيوم الغموم والأحزان وماست بأبرادها الأشواق والأشجان واستمر الحال على هذا النمط والمنوال من يوم الأحد السادس والعشرين جمادى الأول إلى ليلة الجمعة عاشرة شهر شوال



الصورة٦٠- فرقة النوبة في موكب جنازة

بالعيش الرغيد والتجلي الحميد فالأيام مغانم الصفا والليالي مواسم خمر الحب بين ندمان الوفا وفي تلك الليلة دقت نوبة الذكر وصفا من الكدر الخاطر والفكر فحصل لأستاذ وجد وهيام فبادر في حال شطحه بالقيام فأخذ يدق بالمزهر إلى أن ردَّ من الغيبة وانتهت مدة تلك النوبة فافتتح الذكر بالإنشاد ولاحت بوارق الأولياء الأمجاد فتطور الأستاذ بطور الجلال وتغير مزاجه في الحال ودخل بعد تفرق الجمع لمقامه ولم نجتمع به بعد ان غاب الاستيقاظ من منامه فدخلنا على حضرته العلية فأخبر أنه أصيب برجة سماوية وطلب منا الاستغفار فشاهدنا عليه لوايح الذل والانكسار وقد كان عازماً في بلدتنا على الإقامة فظهر لنا منه تلك الساعة العدول والندامة فرجع عما كان من أمله لمكاشفته والله أعلم بانقضاء أجله فطلب النزول إلى الوطن وحن إلى الأهل والسكن فأكد ذلك بصريح الطلب وأمرنا بمصاحبة إلى مدينة حلب فوجلنا من ذلك غاية الوجل ولم ندر أنه علم بانقضاء الأجل مع أنه في بعض الأحيان قد صرح به في ضمن كلامه فم نؤله بما ذكر لعدم الاطلاع على قصده ومرامه ولم يتناول ذلك اليوم شيئا من الطعام لما نزل به في ذلك الوقت من العلل والأسقام فبتنا تلك الليلة في كرب شديد ووهم كل ساعة يربو ويزيد إلى أن أصبح الصباح ولم نحتج إلى ضوء المصباح وكان ذلك اليوم يوم السبت الحادي عشر يوما من شوال دخلنا لدى سعادته فوجدنا قد سرى عنه ذلك الحال وقد خف انزعاجه واستوى بالنسبة لما قبل مزاجه ولم نزل في وسواس وخيال إلى أن صح جسمه وكان نشط من عقال فانسر الفؤاد وابتهج وأذن الله ذلك الحين بالفرج غير أنه استمر عزمه على النزول فبادرنا أمره الشريف بالطاعة والقبول ..))

مغادرة ادلب إلى حلب:

وشرعنا نتدارك مهمات السفر إلى أن طلعت طلايع صبح يوم الأربعاء الذي هو من شوال الرابع عشر فتواعدنا مع ذي الكمال المعروف حضرة ابن العم الأكرم السيد الشيخ عبد الرؤوف بأن يلاقي لنا إلى قرية(بنش) العامرة لنكون في خدمة الأستاذ في الطرق حتى ندخله إلى زاويته الفاخرة ولما شاع خبر نزول الأستاذ ذلك اليوم جاء في الصباح بعض أهل القرية يستدعون النزول عندهم مع النوم فأجبناهم لما قصدوا ورددناهم لتهيئ النزول من حيثما وفدوا وأقبل الناس من وضيع وشريف يودعون الأستاذ ويستلمون كفه الأسعد اللطيف ثم بعد أداء فريضة الظهر الشريفة ركبنا من البلدة وجماعات الناس به مطيفه فخرجنا من البلد وظننا أن لم يبق فيها أحد

فتصاعدت زفرات البين من بين الضلوع واستفاضت مقل العين بالدموع فعلى البكاء والنحيب لفراق هذا السيد الحبيب فودَّعنا معظم الناس في تلك الحالة المذكورة ورافقنا آخرون إلى القرية المعمورة فخرج أهلها لملتقانا فأدخلونا وأحسنوا نزلنا ومثوانا وأكرمونا غاية الإكرام وبذلوا جهدهم في إحسان الطعام فلما رفعت مائدة العشاء وصليت فريضة العشاء أمر الأستاذ الأكرم بقيام الذكر المنير وحضر من أهل القرية جم غفير فلما انقضت تلك الساعة انصرف من حضر من الجماعة واستقمنا إلى نصف الليل فحين مرور القافلة بادرنا لركوب الخيل ورجع من كان مودعا لنا من البلد وسرنا متوكلين على الواحد الأحد وإنما كان سيرنا في تلك الليلة المنيرة حذراً مما ينالنا من وهج حر الظهيرة وأنزلنا الأستاذ في الطريق مرتين لحصول الراحة والاطمئنان ثم نزلة أخرى للفطور في(خان طومان) ثم عقب الفطور أركبناه في الحين وطفقت ترد علينا وفود الملاقين ولم نزل سائرين بالمدد الساري حتى وصلنا إلى(سبيل الأنصاري) فوجدنا المشايخ والأفاضل والأكابر والأعيان والأماثل قد خرجوا لملتقى الهمام والأسد الضرغام وأقبلت لسلام دراويش المولخانة ومشايخ الطريق بالزردخانة وترافعت الأصوات بالتهليل والإنشاد بين يدي صاحب الهدى والإرشاد واتفق رأي الجميع على الدخول من باب الفرج تفاؤلاً بذهاب الضيق والحرج فسرنا حتى واجهنا المولوية وإذا بالأستاذ قد رجع وتغيرت النية فدخل بعد رجوعه من باب الجنين تلويحاً بتمام الأجل وإشارة إلى الانفصال والبين كما إذا تمت أشهر الجنين ينفصل عن بطن أمه ويتخلص بخروجه لفضاء الفضل من قفص ضيقه وعمه فحثثنا السير من شدة الزحام إلى أن نلنا بالوصول إلى الزاوية المرام فحين حلول أنواره فيها عادت باهية زاهية بعد أن كانت خاملة زاوية فأمر لنا حضرة الأستاذ حين الوصول بمحل خاص هو أشرف منزول فوجدناه بفرشه وطقمه ونصب لقضاء مصالحنا جماعة من خدمه وحشمه وقد أسدانا معرفوه التام وحبانا بالإعزاز والإكرام مع أنه المقلد لنا أولاً وآخراً أطواق المنن وصاحب اليد البيضا في السر والعلم وأمر بالاعتناء في عمل الطعام الفاخر وبلغ الغاية في الإجلال جبر للخاطر فابتهجت بقدومه أهل البلدة واستيقنوا زوال الأكدار والشدّة وأقبلت لسلامه جموع الخاص والعام يقبلون بين يديه مواطي الأقدام وكلما دخل عليه أحد من أهل الخصوص أمره أن يزورنا على الانفراد والخصوص فلم نزل في سرور وفرح وانشراح ومرح إلى صباح يوم السبت السابع عشر من شهر شوال أحضرنا إلى بين يديه العلية ودعانا إلى حمام الأبرية فجلسنا في مجلسه ساعة زمانية ثم توجهنا إلى الحمام مع سعادته البهية فاغتسلنا بمائها الحار وأزلنا فيها درن الأقذار وعدنا منها بالراحة

والانشراح وبتنا مسرورين بين الأخلاء الملاح إلى أن طلع فجر يوم الأحد الثامن عشر من شوال صلينا الفريضة وحمدنا المولى المتعال فتواردت الأخلاء والأحباب وعذب الحديث فيما بيننا وطاب فذهب الأستاذ للحام ثم عاد وحين رجوعه أذن لنا بالعود إلى الوطن والناد مع أن المتيقن من حاله والصريح من مقاله عدم الأذن من سعادته الجليلة وإن صدر منه ذلك فبعد مدة طويلة فاستشعرنا منه بما تقشعر منه الجلود ويقضي بسيل الأعين على الخدود لما رأيناه من تغير الحال وشاهدناه من الأسقام والبلبال ثم عقيب الظهر أمر بفتح رمسه وأذن بأفول شمسه ولا زال يكرر ذلك مراراً ويند به جهارا..))

وفاة الشيخ اسماعيل الكيالي في حلب:

حتى دخلنا على سعادته في غاية الرعب والرهب فقبلنا أقدامه وتجاسرنا عليه أن يبين السبب فشافهنا بصريح الخطاب أنه قد دعى فأجاب فحينئذ وجلت القلوب وأطبقت غيوم الغموم والكروب ورأى تلك الليلة في المنام بعض الأخوان أن حضرت السيد الرفاعي دخل على الأستاذ في ذلك المكان فلاقى له الأستاذ وسلم عليه وشافهه أنه قد جاء يدعوه لديه فأجاب بالسمع والطاعة واستمهله حتى يخلع ثيابه ويأتي بعد ساعة ولقد كانت رؤيا الرأي صادقة حيث جاء ت لواقعة الحال موافقة فخرجت روحه الشريفة البهية في سابع ساعة من الليل زمانية فأظلم الوجود بكسوف شمسه المنيرة وضلت الأحلام بفقد نور البصر والبصيرة وغرقنا في بحر تلك الصدمة تقبلنا أمواجه في لجج كل مهمة حتى توالت علينا من الأسف كل ظلم وإذا الوارد والطارق في ذلك الليل الغاسق يطرق باب الفؤاد بتحية السلام والتسليم ومعية المعية التفويض للمفيض الحكيم قائلاً سلام يتصل بوابل الرحمة من سماء التسليم إلى روضة الفؤاد الكليم المخاطب بلسان القدرة بمثال ولنبلونكم إلى آخر نسق الآيات من الصلوات والرحمات حتى تملأ دنكم وأفهم شمس الإيناس الذي فقدناه غمس في بحار المنّه وجعل في مقعد صدق على رفارف الجنة وقد فاز بما فاز وحاز من كرم الله ما حاز فارجع لمولاك الرجا وراجع منك الحجا وإياك والاعتراض وكن بما كان خير راض وما مضا مما مضى فات فأعرض عن الماضي واستعد لما هو آت فلا بدلك منه ولا محيص لمكون عنه وكن على وجل من عتاب مولاك علا وجل أولم نعمركم وهذا كتابي بين أظهركم يحذركم واذكر مذكر وما محمد إلا رسول تجزم بأن ما في الكون متلاش فبقاؤه غير مأمول فحينئذ أديرت كؤوس مدامة التسنيم في حان الرضا والتسليم فصيرت ما في الحشا من نار

الفقد برداً وسلاما وأطفأت بذكر هجير الرمضاء وشفت أواما فاهتدت الألباب في مهامه الحيرة بعد أن ضلت وثبتت أقدام الأقدام على الإنابة في مداحض الجهل غب أن زلت وانجلت غشاوة البصر والباصرة با.. يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة فأبصرت أن الدنيا دار كدر وضير وعلمت أن ما عند الله خير فجلينا القلوب بجلاء لا إله إلا الله وداوينا ما وقع بالجسم من جراحات البين بمرهم إنا لله ودررنا على كلامها من درر وردد ربنا أفرغ علينا صبراً باطناً وظاهرا فتفضل علينا المولى بذوق وجدان إنا وجدناه صابراً فسبحنا من لأراد لما قضا ولأدافع لما أمضا كتب على نفسه بالدوام والبقاء وحكم على عباده بالموت والفناء وجعل لنا رسوله الأكرم خير أسوة ليكون لنا فيه عما سواه من الخلايق سلوة قال تعالى في كتابه الذي فصله وبينه لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فلا شك أن الموت واللقا خير من البقاء في هذه الدار ولو لم يكن كذلك لما مات النبي المختار وكتب بعضهم كتاباً لصديق له يعزيه وذكر له في ضمنه بيتين من الشعر يسليه :

تأسَّ أطال الله عمرك بالأولى ** مضوا أولهم ذكر جميل مخلد

فلو لم يكن في الموت خير لمن مضا ** لما مات خير الأنبياء محمد

ثم بعد الاستيقاظ من دهشة الملمة باشرنا ليلاً جميع ما يقتضي لتلك المهمة فلما أصبح الصباح وانفطر وشاع بين الناس سيء الخبر ارتاعت الأجسام والنفوس لأفول شمس الشموس وعلا الضجيج والعج فأقبلت الناس من كل فج وأمر حاكم الشرع القائم بالحق المبين مؤذني الجوامع والتكايا بالإعلان بوفاة قطب العارفين فحصل له رضي الله عنه ذلك اليوم مشهد عظيم لم يتفق لأحد قبل في العهد القديم فإنه شهد جنازته ما ينوف عن عشرين ألفاً من العدد واجتمع فيه الأمراء والكبراء والعلماء وأهل المراتب والمدد وبعد مغيبه في لحده البنا الكسوة لولده فإنه لجدير بها ومن خاص خاصة أهلها ثم عقب الدفن والتلقين وقفنا مع المومى إليه لتعزية المعزين أنزل الله تعالى على جدث ذلك الهمام صيب الرحمة والرضوان وأسكنه الغرف العالية في فراديس الجنان ومن بعد مغيب شمسه لم يحل هيكل شخص للإنسان ومن بعد أفول كوكبه لا تصلح رتب المعالي لإنسان فكان الهاتف قد عناه ولم يقصد في هذين البيتين سواء وهما :

يا دهر بع رتب المعالي بعده ** بيع الهوان ربحت أم لم تربح

قدم وأخر من تشاء من الورى ** مات الذي يا دهر منه تستحي

وقد استمرت قراءة القرآن من ليلة وفاته إلى الأسبوع بحضور ربعات عديدة مفرقة على أولئك الجموع وعملنا في بعض الليالي تهليلات ولطائف أذكار مع تواصل قراءة القرآن في الليل والنهار وفي اليوم الثالث من وفات المرحوم عقب التعزية افتتحنا الذكر في حضرة المشايخ في تلك الزاوية وفي خلال الذكر بويع ابن الأستاذ الأمجد الشاب الصالح السيد الشيخ محمد وكانت المبايعة له في مقام جده من الحقير الجاني بطريقة قطب الأقطاب محي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وأرضاه وأدخلنا بمدده في سلك أهل ولاه وكانت مبايعة السيد الشيخ عبد الرؤوف من لحقوق القرابة مراعي بطريقة جدنا وشيخنا الفرد الكامل السيد أحمد بن الرفاعي نور الله شريف مرقده ومدنا في الدنيا والآخرة بمدده وقد ألبست ولد الأستاذ الخرقة القادرية ثم بعد تفرق الجمع جزته بالطرايق الأربعة السعدية و الرفاعية و الشاذلية و النقشبندية حيث أجازني والده بذلك ليكون ما ذكر جزاء وفاقا وهو بحمد الله وكرمه أهل له مستحقه بالأصالة والوراثة استحقاقاً كيف لا وقد مدَّ عليه مظهر السادة الصوفية ونشر عليه رواق الأسرار القادرية و الرفاعية ومنطق بنطاق العزائم الشاذلية و النقشبندية وغذي بلبان الإمدادات الكيالية وترعرع في حجر التربية الإسماعيلية مدنا الله وإياه بالمدد الرباني وأفاض علينا وعليه من فيضه السبحاني وجعله خير خلف ليحي آثار والده وآثار من سلف ثم أنا تقاعدنا عن السفر بعد انتقال المرحوم لقطع علايق ذلك العرض وتخلفنا إلى أن لم يبق للأهل والقرابة في عهدتنا حق مفترض فعزمنا على السفر يوم الأحد الثالث يوم من ذي القعدة المبارك وفي صباحه شرعنا نتعاطى أسبابه ونتدارك ولما أذن المؤذن لصلاة الظهر بادرنا نحن ورفقانا بتجديد الطهر وصلينا بالجماعة واقتعدنا متون الخيل في تلك الساعة ..))



الصورة٦١-با ب قنسرين في حلب

مغادرتهم حلب :

فخرج أمامنا المودعون إلى(باب قنسرين) فودعناهم وفارقنا تلك الهياكل التي بها مستأنسين فسرنا إلى جهة الوطن واجتمعنا بالأهل والسكن فوجدناهم في غاية الكروب وشدة الأحزان والخطوب لأفول شمس الإيناس وفقد نور النبراس ورابنا الأخ الكامل النبيل والفاضل البارع الجليل زينة الأيام والليالي السيد الشيخ محمد الغزالي قد رثى الأستاذ بمرتبة عديمة المثال لم يحيك مثلها على منوال وهذه المرتبة للطلعة البهية :

أعيناي سحا بالدموع تأسفا **	وبها أسعفاني حسرةً وتلهفاً
وجودا بغيث وبله متواتر **	بوقع صداه للقلوب مرجفا
وإن سح دمع منكما لنفاده **	فسحًّا دماء واتركا من عنفا
أعيناي ما هذا لتماهل منكما **	فعونا دعونا بادرا وتكلفا
أعيناي ما هذا القصور الذي أرى **	فزيدا انسجاماً فالمصاب على شفا
أعيناي ما هذا التواني بعدما **	غصن الوصال من الأحبة جففا
أعيناي ما هذا الثبات جزيتما **	يحزن طويل كربه لن يكشفا
أعيناي ما هذا الفتور لديكما **	وحادي المطايا سار لن يتوقفا

أعيناي ما هذا التبرص أسعفا ** مصاباً غدا عن ألفه متخلفا

أعيناي ما هذا التوقف بادرا ** بقطر يفوق المزن لن يتخلفا

ويطفي لهيبا قد تزايد حره ** لأفول بدر نور طلعته اختفا

هو قطب شمس العارفين وفردهم ** أعنى به أستاذ أهل الاصطفا

همام سمي إسماعيل شاع بذكره ** إمام غدا حصناً لمن رام مسعفا

كراماته لا يمكن النطق عدها ** وقد حفه المولى مقاماً مشرفا

مزاياه ضاق الحصر عن بعض وصفها ** بذكراه يا شادي المسامع شنفا

فتى بين أهل الله فرد زمانه ** ظهورا و إرشادا وفضلاً مضعفا

لقد فاه يوماً معلناً متحدثا ** عن الجسر حدث يا مريد بلا خفا

فمدت إليه يد الفراق أكفها ** فيا ليتني قد كنت عنه أكففا

ولكن جرى قلم القضاء بحكم من ** يمحي ويثبت ما يشاء كما اصطفا

آله قضى عدلاً يسابق علمه ** بتحشيم آجال فتركا تعسفا

وصبراً جميلاً صادقاً تنل المنا ** بوعد آله نصه لن يخلفا

لقد خاطب المختار فاصبر مبادرا ** لأجسر فأنت الهاشمي المصطفى

عليه صلاة الله ثم سلامه ** يدوران ما وعظ الهزار وألفا

وآل وأصحاب مد الدهر كلما ** أدام حمام الدوح نوحا ورفرفا

وما قد غدت دار الأحبة قفرة ** لفقد حبيب كان الله عارفا

سراجاً بدا للسالكين فليته ** لم يغدد هنا في الجنادل خلفا

بروض غدا مثوى لكوكب عصره ** فأمطره يا رحمن سحباً تعطفا

وأعظم قراه منة وامنحنَّه ** رحيقاً غدا صرفا شرابا مقرقفا

وسقيا لرمس جاده صوب الحيا ** بقصر أمرد وقعه صم الصفا

وختما بحسنى أرخنَّ فقبره ** جليل به الإقبال بالعز اتحفا سنة ١٢٣٢

وكذا اقتفى أثره النبيه الأكمل والبارع الأفضل الجوهر الفرد الغالي ابن العم السيد الشيخ أبو النور الكيالي فإنه أيضاً رثى حضرة الأستاذ والسيد السند الملاذ بمرثية صيغت صوغ التبر الأحمر ونظمت نظم الدر و الجوهر قد كسيت حلة الجلال وتوجت بتاج الجمال عظيم شأنها وهي الآتي بيانها وهي هذه فقال :

بدر الكمال لقد تحجب بالخفا ** يا عين فابكيه الزمانَ تأسُّفا

ومحاسن عنا توارت شمسها ** يا ليت ذاك النور عنا ما اختفا

لله من كرب دها ومصيبة ** عنها سحاب الدمع لن يتوقفا

كرب ألمَّ بكل مهجة شاهد ** مع غايب ولكل قلب أرجفا

ما مثله عهدت نفوس حلها ** سلب الشعور مع القلوب ما اكتفى

ما أولع الدهر الخؤن بفرقة ** الأخوان ليس بدونها يبغي أكتفى

أو ما كفى يا دهر توقع حسرة ** وتحزنا بقلوبنا أو ما كفا

هل كنت يا دهر الإساءة مغفياً ** عن جمع أحباب فتدعى منصفا

دمع يشح من التلهف تارةً ** ويشح أخرى لم يكن متوكفا

ذي حالة والله أعظم حالةٍ ** قد أشبهت بالحزن قصة يوسفا

الله أكبر أن هذا الكرب لن ** تلقى له أهل المودة مصرفا

فترى الأحبة فاقدين الرشد إذ ** من عيشهم أضحى يكدر ما صفا

وترى المنازل قفرة والربع من ** بعد احتجاب ذوي الفضائل قد غفا

بذلوا نفوسهم الكريمة بالرضا ** في طاعة المولى العظيم تشرفا

أسفاً عليهم ما لزمان بمثلهم ** يسخو ونمظم الشمل لن يستأنفا

تلك المحاسن قد توارت في حجاب ** البين أبَّان القطيعة والجفا

وعلى الخصوص أفول شمس نتيجة ** الأزمان من وأفا مقام الاصطفا

شيخ الطريقة والحقيقة مرشد ** للسالكين ومن يروم الاقتفا

قطب الزمان ومظهر العرفان إسماعيل ** ذو الإمداد ليس بذي خفا

ذو المورد العذب الذي أن أمه ** مرضى القلوب فعنده تلقى الشفا

فرد المزايا أوحد الدهر الذي ** قد كان بالله المهيمن عارفا

كم نال من بركات إمداد له ** راج ومن بعهود صحبته وفا

من لاذ منه بالجناب يفز به ** ويجده شهماً في الشدايد مردفا

يا صاح لذ بجنابه واستوحه ** أبداً وعنه لا تكن مستنكفا

فالأولياء لهم الكرامة في الحياة ** وبعدها حقاً فهم أهل الوفا

وأبو علي ملجأ الأخوان زوال ** أمداد يحمي المستجير الخائفا

أسفاً عليه مدى الزمان وحُقَّ لي ** في كل آن أن أرى متلهفا

هيهات نحظى في الورى من بعده ** بجميل أخلاق تجل تلطفا

قد كان كنزاً للفضائل جامعا ** بل نجماً طالعاً ثم اختفا

ولقد حباه بالنعيم إلهه ** وعليه بالفردوس جاد تعطفا

وإلى مقام المصطفين رقى به ** لجواد خير العالمين المصطفى

فعليه رضوان من الرحمن ما ** جدث بدى فضل غدا متشرفا

أو ما غدا تاريخ بدر كماله ** يا عين فابكيه الزمان تأسفا سنة ١٢٣٢

وقد تم ما أردنا جمعه من الأخبار الشامية وشهدنا لمعة من البوارق الحاتمية والنابلسية برسم قطب دائرة الأولياء ونخبة الأفراد والأصفياء الأستاذ الأفخم والملاذ الأعظم من نلت بخدمته ولله الحمد مرادي حضرت السيد الشيخ إسماعيل الرفاعي الكيالي الجوادي رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأنزل على جدثه من بركات فيوضاته الهامعة ومددنا بمدده الرباني وهدانا إلى الرشاد بهديه الصمداني قاله بفمه ورقمه بقلمه أحقر الورى وخادم نعال الفقراء محمد بن السيد عمر ابن الشيخ إسماعيل الكيالي نسباً الرفاعي أيضاً وطريقة النقشبندي مشربا غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه فستر ولكل المسلمين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الأشراف وسيد السادات وعلى آله وذريته وصحبه وحزبه وكان الفراغ من هذه النسخة الشريفة المباركة ليلة الأربعاء لثلاثة عشر يوماً خلون من شهر جمادى الثاني من شهود سنة الاثنا عشرة بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له في مقام النبوة أعلا وأغلا مقام ووصف بقلم من هو أقل الناس جرما وأكثرهم جرما الفقير الحقير إليه تعالى الكريم السيد محمد وفا ابن الحاج إبراهيم ابن الحاج عبد الفتاح ابن الحاج إبراهيم الشهير بالطيبي أوصله الله إلى قرة عيني وحبيبي محمد النبي الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم وغفر ذنوبه وستر عيوبه ولوالديه ولذريته ومحبيه وجميع المسلمين .))

تم التحقيق في هذه الرحلة في ادلب- شهر شباط-٢٠١٩م

ملحق:العناوين الجانبية من وضعنا تسهيلاً للقارىء..والحمد لله تم لنا خدمة تراث البلد..

المحقق فايز قوصرة

٢٢٢

وقد تم ما اوردناه جمعه من الاخبار الشاميه وشهدنا المعه من البوارق الخاتمية والنابيه

برسم قطب دائرة الاولياء ونخبة الافراد والاصفياء الاستاذ الافخم

والملاذ الاعظم من نلت بخدمته ولله الحمد مرادي حضرت السيد الشيخ اسماعيل

الرفاعي الكيالي الجوادي رحمه الله تعالى رحمة واسعة وانزل على جدثه من

بركات فيوضاته الهامعه ومددنا بمدده الرباني وهدانا الى الرشاد بهديه

الصمداني تم بعونه ورقم بقلم احقر الورى وخادم نعال الفقرا محمد بن السيد عمر

ابن الشيخ اسماعيل الكيالي نسبا الرفاعي نسبا ايضا وطريقة النقشبندي مشربا

غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه فستر ولكل المسلمين والحمد لله الذي بنعمته

تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف الاشراف وسيد السادات

وعلى آله وذريته وصحبه وحزبه وكان الفراغ من هذه النسخة الشريفة المباركة

ليلة الاربعاء لثلاثة عشر يوما خلون من شهر جمادى الثانية من شهور سنة ١٣١٢

الاثنا عشرة بعد الثلاثمائة والالف هجرة من له في مقام النبوة اعلا واغلا

مقام ووصف بقلم من هو اقل الناس جرما واكثرهم جرما الفقير

الحقير اليه تعالى الكريم السيد محمد وفا ابن الحاج ابراهيم ابن الحاج

عبد الفتاح ابن الحاج ابراهيم الشهير بالطيبي اوصله الله

الى قرة عيني وحبيبي محمد النبي الاعظم صلى الله تعالى

عليه وسلم وغفر ذنوبه وستر عيوبه ولوالديه

ولذريته ومحبيه والجميع

المسلمين

الصورة٦٢-الصفحة الأخيرة من المخطوط

الفهرس

**

صدر للمؤلف

١-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الأول، حلب ١٩٨٥م.
٢-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الثاني، حلب ١٩٨٨م.
٣-حصن شغر – بكاس (حطين الثانية).
٤-حارم دمشق الصغرى، ١٩٨٨ (نفد).
٥-قلب لوزة درة الكنائس السورية ١٩٩٥م، وآخر بالانكليزية.
٦- من إبلا إلى إدلب، ٢٠٠٤م.

٧-ولاية الفوعة –حلب ٢٠٠٨ م تم إنجازه ثانيةpdf
٨-التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب، دمشق، وزارة الثقافة ٢٠٠٦. (نفد).تم إنجازه ثانيةpdf
٩- الثورة العربية في الشمال السوري (ثورة إبراهيم هنانو)، دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨م. (نفد). تم إنجازه ثانيةpdf
١٠- إدلب ... البلدة المنسية – دراسة تاريخية ميدانية. في ثلاثة مجلدات(منجزالأول في ٢٠١٩م) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١١-الحلة السنية في الرحلة الشامية-رحلة محمد الكيالي ١٨١٦/ ١٨١٧م من تحقيقنا(منجز)pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٢- أضواء جديدة في تاريخنا الأثري(دراسات في الحواضر السورية)pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٣- شهبا في التاريخ الأثري(قيد الإخراج) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٤-آثارنا في لوحات فوغويه (منجز)pdf في ٢٠١٩م)
خطاب إلى أبناء إدلب (كتيب).
-وعي الزمن التاريخي-(منجز)pdf

وله قيد الإعداد :

من سلسلة الجولات:

جولة أثرية في جبل باريشا – محافظة ادلب (منجز).

جولة أثرية في جبل الأعلى – محافظة ادلب(قيد الإنجاز).

جولة أثرية في جبل الزاوية – محافظة إدلب (منجز).

جولة أثرية في جبل الحلقة وسهل الدانا- محافظة ادلب (منجز).

جولة أثرية في جبل الوسطاني - محافظة ادلب(قيد الإنجاز).

جولة في متحف ادلب (مخرج)

جولة في متحف معرة النعمان (قيد الإخراج)

رحلة مع نهر بردى (قيد الإخراج)

رحلة تاريخية مع نهر العاصي(قيد الإخراج)

رحلة مع نهر قويق(قيد الإخراج)

عرب على عرش روما (قيد الإخراج)

إبلا في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)

ملكات عربيات-(قيد الإخراج)

دافني في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)

لقمان في وصاياه وحكمه (قيد الإخراج)

د ليل أسماء مدن ،وقرى محا فظة ادلب (قيد الإعداد)

مملكة أرواد الفينيقية (قيد الإخراج)

حواضر بلاد الشام في أقدم الصور(قيد الإخراج)

جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)

عجائب مريم——تحقيق مخطوطة

صحائف سوداء،وبيضاء (مذكرات فايز قوصرة)



الحلّة السنيّة في الرحلة الشاميّة